

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر

ترجمة: أ.د. غانم النجار




سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر
ترجمة: أ.د. غانم النجار



ديسمبر 2016
443

العنوان الأصلي للكتاب

Why Leaders Lie
The Truth about Lying and International Politics

By
John J. Mearsheimer

Oxford University Press, 2013

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

ربيع الأول 1438 هـ ـ ديسمبر 2016


المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب



سلسلة شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
تليفون: 22431704 (965)
فاكس: 22431229 (965)
www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 531 - 0

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتوى

مقدمة المترجم

«الكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس، وقابل للهضم والفهم والاستيعاب، بعيدا عن التعقيدات الأكاديمية...»

لآل سيكيل كتاب جميل ومعبر بعنوان «أساتذة التضليل»(*)، لا يتحدث فيه عن التضليل السياسي، لكنه يسهب فيه عن منشط آخر من مناشط الحياة وهو الفن. يتحدث سيكيل بالكلمة والصورة عن فناني الخداع البصري، وعلى رأسهم المثير للجدل دائما سيلفادور دالي، وإم. سي. إسشر، فهما يضللان العين بمتناقضات بصرية تترك تفاعلات في حاشية ومتن الذات البشرية. يستعرض الكتاب أكثر من 400 سنة من فن الخداع البصري بما يتجاوز التوقعات.

حاول ونجح فنانو الخداع البصري في تحقيق التناغم بين الواقع وما وراء الواقع، بتحويل الأشياء إلى بشر والعكس، وإدخال البشر في الأشياء، بطريقة تظهر الصورة على غير حقيقتها، وتدفع الرائي إلى التخيل. حدث ذلك على أيدي فنانين كبار مثل سكوت كيم (Scott Kim) وغويدو موريتي (Guido Moretti) وريكس

(*) Al Seckel, *Masters of Deception: Escher, Dali, and the Artists of Optical illusion* (Sterling, 2007).

ويسلر (Rex Whistler) وإسشر (Escher) ومونيز (Vik Muniz) ودالي (Dali) وغونسالفيز (Rob Gonsalves).

وبقدر الجمال والتمايل والتلاعب الذي يخلقه فن الخداع البصري، والذي يسعى فنانوه إلى خلق زوايا مختلفة للنظر إلى الأشياء، فإنه لا يرتكز على الخداع الذي يقوم به البشر تجاه البشر الآخرين، فالإبداع هنا كان في استخدام الثابت وتحويله إلى حركة صاخبة؛ تحويل للصورة واللون وأدوات أخرى إلى حركة ذهنية وربما حتى جسدية.

ويعد الخداع الحاوية الرئيسة للكذب. هو سلوك بشري، يستهدف طمس الحقيقة عن بشر آخرين، وهو سلوك عادة ما يكون له هدف، وقد يكون ذلك الهدف أحيانا نبيلا، كما يرى مؤلف كتاب «لماذا يكذب القادة».

على المستوى الفردي، وبين البشر، هناك على الأقل 31 نوعا من أنواع الكذب، يمارسه البشر فيما بينهم. ومع ذلك فإن عموم ثقافات البشر تتعامل مع الكذب على أساس أنه فعل ممجوج، مكروه، ويعكس انخفاضا في القيم، أو هكذا يفترض. والكذب، كما وصفه إيمانويل كانت، أكبر انتهاك يقوم به الفرد ضد نفسه. ومع ذلك لا يتورع الناس عن ممارسته والتفنن فيه في كل وقت، حتى صار يبدو جزءا أساسيا من تعاطي البشر مع ذواتهم ومع محيطهم. ومع أن الناس تمارس الكذب بأشكال مختلفة، ومستويات متنوعة، فإنهم في المجمل لا يقرون بكذبهم، بل يبررونه. وبالطبع، لا أحد يقبل أن يوصف بأنه كاذب.

لزمن طويل كنت منشغلا في محاولة تفسير الحدث السياسي، طارحا السؤال التالي: هل الأحداث التاريخية الكبرى ليست إلا نتيجة طبيعية لتغير ونضج ظروف مجتمعية واقتصادية وسياسية؟ أم أن هناك دورا فاعلا وحقيقيا ومؤثرا للأفراد في خلق تلك الأحداث؟ بمعنى آخر، حتى لو قبلنا بالظروف الموضوعية العامة كمحرك أساس للأحداث الكبرى، هل كان لتلك الأحداث أن تتحقق لو أن أشخاصا أساسيين لم يكونوا في المشهد السياسي؟ أو على الأقل هل كانت ستحدث بالطريقة نفسها؟ على سبيل المثال، لو أن الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون كان هو الرئيس في العام 2003، فهل كان سيغزو العراق حينها؟ من يدري. إنه سؤال افتراضي.

كلما امتد بي العمر وزادت حصيلتي من المعرفة، والخبرة العملية، والشهادة الشخصية على أحداث كبرى، ومعرفة تفاصيل الأحداث، والاطلاع على ما كتبه

الكاتبون أو الكاذبون أحيانا عن ذلك الحدث، أكتشف أنهم قد أهملوا أو صرفوا النظر عن دور الأفراد في الحدث، ولجأوا إلى العوامل الكبرى الحاكمة للتغيير، وابتعدوا، عن قصد أو عن جهل، أو عن موقف فكري ومنهجي، عن تثبيت دور الأفراد وإعطاء كل ذي حق حقه. بالطبع هذه ليست دعوة لإلغاء دور العوامل العامة في التغيير لكنها تنبيه إلى ما قد نخسره كثيرا في فهم تفاصيل وتحولات المجتمعات. هل التحولات السياسية الكبرى هي جزء من عجلة التاريخ؟ هل التغيرات التاريخية تحدث لأسباب ومعطيات اجتماعية؟ فإن كانت كذلك، فما دور الفرد في هذه المتغيرات؟ وهل للفرد وسلوكه أثر ما في تلك المتغيرات، أم أنه مجرد عنصر صغير بسيط الأثر لا يستحق الدراسة إلا بقدر؟ وحتى لا نخوض في جدل نظري، حيث إن موقعه ليس هنا، أرى أن تأثير الأفراد - وعلى الأخص السياسيون، والقادة، والديبلوماسيون، والعسكريون، وربما الشخصيات العامة – لا يبدو بارزا في سياق الأحداث. وحتى إن جرى هنا أو هناك تركيز على دور هذا الفرد أو ذاك في الحدث، فإنه يجري التقليل منه بشكل مخل، وإبعاده عن مسرح الأحداث، انطلاقا من أن الأحداث هي صنيعة عوامل أوسع من الأفراد. وتتحول تلك المسألة إلى مأساة عندما يقوم المرجفون بتضخيم وإعلاء دور فرد ما، أو قائد ما، حتى تلغى الأدوار الأخرى للأفراد أو للجماعات أو أي تكوينات أخرى على المستويين الأعلى أو الأدنى.

وربما كان ذلك هو الدافع لحماسي لترجمة كتاب «لماذا يكذب القادة». عرضت فكرة الكتاب على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وسلسلته الرائدة «عالم المعرفة»، والذين تلمسوا مشكورين ندرة الموضوع وأهميته، وإضافته المطلوبة للمكتبة العربية. والاهتمام بترجمة الكتاب لم تأت فقط بسبب التشويق الذي يثيره موضوع الكذب، وهو تشويق مطلوب ومحمود، لكنه جاء ضمن محاولات فهم دور الفرد، عبر أدوات سلوكية عادية، كالكذب، في التأثير في الأحداث العامة والدولية.

يحاول هذا الكتاب رصد ظاهرة الكذب وتحليلها في إطار العلاقات الدولية بأسلوب رشيق ورصين في آن. فالكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس وقابل للهضم والفهم والاستيعاب، بعيدا عن التعقيدات الأكاديمية، على رغم أن مؤلفه، البروفيسور ميرشيمر، أكاديمي متميز. وهذا الكتاب محاولة جريئة ومستحقة تحسب للمؤلف الذي اعتاد طرق المواضيع غير التقليدية.

بطبيعـة الحـال كان التركيـز على الولايـات المتحدة، دون إغفـال العديد من التجـارب الأخـرى، ومـن الواضح أن المؤلف قـد بذل جهدا كبـيرا في رصد ظاهرة الكـذب عبر التاريخ في العديد من الدول الغربيـة، ولم ينس في ذلك كذب إسرائيل على العالم لتبرير احتلالها واغتصابها لفلسـطين، خصوصا أنه كان قد وضع للمكتبة الدوليـة كتابه المهم والمؤثر «اللوبي الإسرائيلي وسياسـة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجيـة»[*]، الذي خلق جدلا واسـعا ومازال داخل أمريـكا وخارجها. ويبدو أن توافر المعلومات والدراسـات والوثائق في المحيط الغـربي كان مبررا منطقيا للتركيز على ظاهرة الكذب الدولي في الغرب. وفي ظني أنها لو كانت قد تضمنت دولا عربية أو مـن العـالم الثالث، مثلا، لربمـا نجدها قد تحولت إلى رجـم بالغيب، وظنون لا أدلة عليها ولا مسـتندات، وتخرصات قد لا توصلنا إلى نتائج قريبة من الواقع حول الكذب ودوره في العلاقات الدولية.

ومع أن البروفيسـور ميرشـيمر كان قد انطلق من فرضية، أن هناك وظيفة، قد تكون مفيدة للكذب في السياسـة الدولية، وعالجها بعمق مبينا أين من الممكن أن تحدث الاختلالات والانتكاسـات للكاذبين من السياسـيين، فإنـه أكد في المقابل أن حالات الكـذب التي تعامل معها هي تلك التي يطلق عليها الكذب الإسـتراتيجي، الذي يتوخى في مساعيه تحقيق مصلحة عامة وطنية. بمعنى آخر، هو لا يتعامل في الكتاب مع الكذب الأناني أو الشـنيع الذي يسعى السياسي الكاذب فيه إلى تحقيق أهداف شخصية أنانية، أو يهدف إلى حماية أفراد بعينهم.

بالطبع نقف هنا أمام إشكالية تحديد ماهية المطامح الشخصية والأنانية. وهل ممكـن أن يكون البقاء في السـلطة وتحطيم الخصوم، داخليـين كانوا أو خارجيين، جزءا من أهداف ومساع شـخصية؟ السؤال يظل مفتوحا، وتحدده طريقة تعريفنا للكذبة الإسـتراتيجية، وهي مسـألة متصلة وخاضعة لمزيد مـن المراجعة، فالمؤلف أوضح أنه على عتبات مجال جديد سيحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص.

وقد يشـجع طرح الموضوع أكاديميا باحثين عربا لتوسـعة دائـرة التحليل لكي تشـمل مناطق جغرافية أوسـع، وبالذات منطقتنا العربية والشرق الأوسـط، لكي يقوموا بدراسـة مقارنة للكذب في السياسة الإقليمية. أظن أننا لو فتحنا هذا الباب

(*) John J. Mearsheimer, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (Farrar, Straus and Giroux, 2008).

عـلى مصراعيه، وأخضعنا الكذب للدراسـة المنهجية، فإننـا موعودون بمفاجآت قد تسـهم في إضافة نوعية للسـياق العلمي الـذي تناوله الكتاب. بالطبع سـتواجهنا مشـكلة حقيقية في حالة دراسـة هذه المنطقة، وهي ضعف التوثيق، وعدم وجود المصادر الموثوقة والمعتمدة.

«لماذا يكذب القادة» رحلة في ما هو مسـكوت عنه في العلاقات الدولية، وهي رحلة كاشـفة لكثير من الأدوات التي أسـهمت في تحريك حـوادث تاريخية. ومن المؤكـد أن الكتاب الذي بـين أيدينا ليس إلا باكورة بحـوث مماثلة في ذات المجال ستؤدي إلى منهجية أفضل وقدرة أكبر على توقع مجريات الأمور.

غانم النجار

الكويت - مايو 2016

توطئة

«إن أكثر آرائي إثارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا»

في ربيع العام 2003، اتصل بي سيرج شميمان من جريدة نيويورك تايمز، من دون سابق إنذار، وأبلغني بأنه يعمل على موضوع حول الكذب في السياسة الدولية للنشر في عدد الأحد من الجريدة. وقال إنني خطرت في ذهنه لسبب أو لآخر، لذلك قرر الاتصال بي. ولم يحدث أن التقينا أو تحدثنا من قبل. بينت له أنني لم أفكر في الموضوع مطلقا، ولا أظن أن هناك أصلا كتابات علمية حول الكذب الدولي. فاقترحت عليه أن يسترسل في شرح فكرته، ومن ثم أعقّب عليه. وقد قمنا بذلك فعلا، ونتجت عن ذلك مناقشة مثمرة ومفيدة، استمرت ساعة كاملة. بعد ذلك، دونت بعض الأفكار حول المحادثة الهاتفية، ووضعتها في أحد الملفات.

وبعد بضعة شهور، وتحديدا في سبتمبر من العام 2003، وُجهت لي دعوة من جامعة MIT للتحدث في موضوع وفق اختياري. فكرت حينها، في أنه قد يكون مفيدا أن أتحدث عن الكذب في السياسة الدولية، وهكذا استخرجت

الملاحظات التي كنت قد دونتها سابقا بعد محادثتي مع شميمان، ورتبتها بطريقة لتقديمها. وخلال السنوات الست التي تلت ذلك، كتبت بحثا، وقدمت ثماني محاضرات أخرى، وتسنى لي النقاش والحديث مع عدد كبير من الأصدقاء والزملاء بشأن الموضوع.

وفي إطار ذلك السياق، أذهلتني درجة تفاعل الناس مع موضوع الكذب الدولي. فكل جمهور، وتقريبا كل فرد تحدثت معه، كان يتفاعل سريعا وبحماس ملحوظ، وكثيرون يريدون الحديث بإسهاب عنه. عدد منهم أرسل لي رسائل إلكترونية لمتابعة المناقشة، بمن في ذلك أشخاص لم ألتق بهم في حياتي وكانوا حاضرين خلال إحدى محاضراتي.

أستطيع استخلاص أسباب عديدة وراء اهتمام الناس بالموضوع. ابتداء، أغلب الناس يعدون الكذب سلوكا مستنكرا، على الأقل للوهلة الأولى. وهم لا يتقبلون أن يطلق عليهم أحد أنهم كاذبون، حتى إن كانوا يمارسون الكذب بين الفينة والأخرى. بالطبع، فالكذب تهمة خطيرة، وعادة ما يتردد الناس في إطلاقها على أحد، حتى لو كانوا يعتقدون أن التهمة مستحقة؛ نجدهم يستخدمون لغة أقل وطأة. وهكذا وجدنا عضو مجلس الشيوخ جون كيري(*)، غير قادر على وصف الرئيس بوش بالكاذب خلال الحملة الانتخابية الرئاسية في العام 2004، مستخدما عبارة أقل حدة حين قال: «إنه قد فشل في قول الحقيقة» عن العراق وإنه «قاد الشعب الأمريكي إلى الطريق الخطأ»[1] ولكن يبدو أن اعتبار الكذب فعلا شريرا هو أحد الأسباب التي تجعل الناس يحبون التحدث عنه.

ويبدو أن ما يجعل الموضوع أكثر إثارة لاهتمام الكثيرين هو أنني أجادل بأن هناك مبررات إستراتيجية للقادة لكي يكذبوا، في بعض الأحيان، على دول أخرى، وعلى شعوبهم أيضا. بعبارة أخرى، فإن الكذب الدولي، ليس بالضرورة فعلا خاطئا؛ في الحقيقة، فهو كثيرا ما ينم عن فراسة، وقد يكون ضروريا، بل فاضلا في بعض الظروف.

بيد أن أكثر آرائي إثارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا. ولم يتفق مع مقولتي تلك إلا قلة قليلة، خصوصا عند سماعهم لها للمرة الأولى. فأغلبية الناس يستهزئون بهذه الفكرة. فهم يتصورون

(*) جون كيري هو وزير الخارجية الأمريكي الحالي منذ 2013، وقد كان منافسا على الرئاسة ممثلا عن الحزب الديموقراطي في العام 2004 ضد الرئيس جورج دبليو بوش [المترجم].

أن هنـاك أمثلة لا حصر لها كـذب فيها القادة بعضهم على البعـض، وبالتالي فإنه من السهولة بمكان اسـتعراض حالات كثيرة من هذه الأكاذيب. وفي الأساس، فإنهم يعتقدون أن الكذب بين الدول، هو أمر اعتيادي في السياسة الدولية. كنت أقول لمن أحاورهم إن واقعيتي تجعلني ميالا إلى الاتفاق معهم، ولكني اقتنعت بعد دراسـة الموضوع بأنهم مخطئون، فـلا يوجد فعليا كثير من الكذب بين الدول. بالطبع هذا لا يعني أنه لا يوجد كذب إطلاقا. لقد لاقى الموضوع اهتماما بسبب حرب العراق. فكثير من المطلعين على بواطن الأمور، مقتنعون الآن بأن حكومة الرئيس بوش كذبت على الشعب الأمريكي في مرحلة تحضيرها للحرب، التي انتهت إلى كارثة إستراتيجية للولايات المتحدة. عندما تسوء الأمور في الحرب، ويرى الناس أن الخداع كان السبب الرئيس لشـن الحرب، فإنهم يتحمسـون جدا للحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلت القادة يكذبون، وعن العواقب الناتجة عن ذلك الكذب. يضاف إلى ذلك أن الغياب الملحوظ للكتابات العلمية عن الكذب في السياسـة الدولية، يسـمح للناس بمناقشة هذه المواضيع بصورة خلاقة، بل يدفعهم إلى ذلك.

وأخذا في الاعتبار قلة الكتابات العلمية عن الكذب الدولي، وفي المقابل الاهتمام الكبـير بالموضوع، فقد قررت أن أطور بحثي عن الكذب إلى كتاب. هدفي الأسـاس هو توفير أطر تحليلية قد تساعد في تنظيم تفكيرنا عن الكذب في السياسة الدولية، وكذلـك الدفع ببعض التصورات النظرية حول جوانب أساسـية في الموضوع. أتمنى أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق لمناقشة موضوع على درجة عالية من الأهمية، وإن لم يجد الاهتمام الكافي بعد. فإن كنت قد نجحت في مسعاي، فسيتابع خطواتي آخرون ليحسّنوا أو يتحدوا أفكاري ومزاعمي وافتراضاتي.

ولقد تأثرت أفكاري ورؤاي بشأن الكذب كثيرا بردود أفعال الجمهور في الأماكن المختلفـة التي تحدثت بهـا مثل: مجلس العلاقـات الدولية في نيويـورك، ومعهد سالتزمان لدراسـات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا، ومؤتمر سنة 2004 للجمعية الأمريكية للعلوم السياسـية، وندوة بجامعة مونتانا، ومركز براون للسياسة الدولية بجامعة بنسـلفانيا، وقسم العلوم السياسية بجامعة MIT، وبرنامج سياسات الأمن الدولية بجامعة شيكاغو، وملتقى لون ستار للأمن القومي، وورشة عمل «الشمال - الجنوب» بإدارة أساتذة العلاقات الدولية بجامعة نورث ويسترن وجامعة شيكاغو.

عندمـــا بدأت في ترتيب أفكاري حول الموضوع، اســتفدت كثــيرا من ندوة غير رسمية مع خمسة من زملائي في جامعة شيكاغو: دونغ سن لي، وتاكا نيشي، وروبرت بيب، وسيباستيان روساتا، وجون شوسلر. وأجدني ممتنا جدا للتعليقات المهمة التي قدمها كل من أليكســاندر داونز، وشون لين جونز، ومارك تراكتنبرغ، وستيفين ولت، والذين تجدون بصماتهم منتشرة في كل الكتاب.

هناك شــخصان آخران يســتحقان كلمات شــكر خاصة. ديفيد ماكبرايد، محرر الكتاب في دار جامعة أوكسفورد للنشر، إذ أدخل عددا من التعديلات المهمة ليظهر الكتاب بشــكل أفضل. كذلك أقدر عالي التقدير حماسته العالية لفكرة الكتاب، مما ســهل من عملية الانتهاء منه بالصورة المطلوبة. ولكن لا أحد كان في حماس ودعم وكيلي بيــل كليغ، حيث لم يقتصر دوره على تشــجيعي للانتهاء من الكتاب، ولكنه قدم استشارات حكيمة لا يمكن الاستغناء عنها خلال عملنا.

كما أنني أقدر عاليا الخبرة التحريرية لجيســيكا رايان وبن ســادوك في دار نشر جامعة أكســفورد، واللذين ســاعداني كثيرا في وضع المشروع على الجادة الصحيحة. كذلك فقد وصلتني تعليقات ممتازة ومقترحات من شخصين مجهولين قاما بالمراجعة للصحافــة، وقائمة طويلة من الأفــراد وبعضهم لم ألتقِ أيا منهــم. ويتضمن هؤلاء، إيريك ألترمان، وستيفان أنسولابيهير، وروبرت آرت، وريتشارد بتس، وديفيد بلاغدن، وريسا بروكس، ومايكل إي براون، وجوناثان كافيرلي، وجوزيف سيرينسيوني، ومايكل ديش، ولويس ديســيولي، ودانييل دريزنر، وديفيد إيديلســتاين، وفرانسيس غافن، وهاين غومانس، وتشــارلز غليسر، وإيميلي غولدمان، وجينيفر هوكتشــيلد، وإيان هيرد، وروبرت جيرفس، وكايم كوفمان، وكريســتوفر لــين، وكير ليبر، وإيريك لوربر، وكارلو مســالا، ونونو مونتيرو، ومايكل أوكونر، وجوزف بارنت، وســوزان بيتيرسون، وآرند بلاغ، وإيريك بوزنر، وريتشــارد بوزنر، وســينثيا روبرتس، ولورنس ساموليس، وديفيد شــوارتز، وجاك ســنايدر، وإيفان أريغوين - توفــت، ومونيكا توفت، وبيتر توفــت، وماثيو توبين، وســتيفين فان إيفــيرا، وإبراهام واغنر، وأليكســاندر وندت، وجويل ويسترا. وأعتذر إن كنت قد نسيت أحدا.

أتوجه بخالص الشــكر إلى كل من قدم يد المســاعدة، حيــث لم يكن في إمكاني كتابة هذا الكتاب من دون تلك المساعدة. وكلمات شكر خاصة إلى سيرج شميمان،

الذي عرفني على موضوع الكذب الدولي وساعدني على التمعن فيه. وبالطبع، فإنني مسؤول عن كل خطأ أو تصورات غير صحيحة، ولكني مدين للآخرين بكل ما يتضمنه الكتاب من بصيرة.

وختاما، أتوجه بالشكر لعائلتي، وعلى الأخص زوجتي، باميلا، والتي كانت عامل تشجيع لي في قضاء الساعات الطوال التي يستغرقها إنتاج كتاب عادة. وعلى أي حال، فقد استمتعت بالبحث والكتابة، ولكنها تصبح عملية أكثر سهولة، عندما يكون أكثر الناس المتضررين من انشغالك هم من يمنحك الدعم لتحقيق ما تصبو إليه. وعند الحديث عن الأسرة، أود أن أهدي هذا الكتاب لأولادي الخمسة الرائعين، آن وماكس ونيكولاس وجوليا وديفيد، والذين ظلوا مصدرا للسعادة والافتخار لما يزيد على ثلاثة عقود.

المقدمة

«إن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: الأكاذيب النبيلة»

أصر كبار المسؤولين في حكومة الرئيس بوش، والذين دفعوا الولايات المتحدة دفعا إلى غزو العراق قبل 19 مارس 2003، على أنهم متأكدون من امتلاك صدام حسين أسلحة دمار شامل. وادعوا أن مزاعمهم تلك تستند إلى أدلة قاطعة دامغة. كما ظل مؤيدو الحرب من خارج الحكومة يرددون تلك المزاعم مرارا وتكرارا، حتى تمكنوا من تشكيل جوقة من الأصوات المتشددة، التي أقنعت الشعب الأمريكي بضرورة نزع سلاح صدام والإطاحة به. فبموجب هذه الرؤية، تغدو الحرب على العراق حربا ضرورية، وليست حربا اختيارية. وكل من شكك في تلك المزاعم، كان يُوصَم بالتأكيد بأنه أبله أو ساذج، أو حتى بأنه غير وطني(*). وعندما انجلى الأمر،

(*) بلغت الاتهامات بعدم الوطنية في الولايات المتحدة أوجَها خلال ما عرف في فترة الخمسينيات بحقبة «المكارثية»، نسبة إلى عضو الكونغرس جوزيف مكارثي، الذي قاد حملة اتهامات شنيعة ضد من سماهم «الحمر»، وصارت المكارثية مصطلحا يُقصَد به توجيه اتهامات بالخيانة من دون دليل. وشملت تلك الحملة، التي سادت بين العامين 1950 و1956، آلاف الأمريكيين من العاملين في المجال العام والكتابة والفن وغير ذلك. [المترجم].

واتضح أنه لا أسلحة دمار شامل في العراق، صار على أركان «حزب الحرب» أن يفسروا لماذا كانوا مخطئين في مزاعمهم بهذه الصورة، وكيف كان ممكنا أن يخطئ هذا العدد الكبير من الأشخاص الموقنين بقدرات صدام، وإلى هذا الحد؟

إحدى محاولات التبرير لهذا التخبط ألقت باللوم كليا على صدام، استنادا إلى أنه كذب على الأمريكيين وأوهمهم بأنه يملك أسلحة الدمار الشامل، وقالوا إنه فعل ذلك تحديدا بسبب خشيته من هجوم إيراني - أو حتى أمريكي - على العراق، لأنه أصبح في غاية الضعف، بعد هزيمته المدمرة في حرب الخليج في العام 1991، وبسبب الحصار المفروض عليه، ونظام التفتيش الذي فُرض بعد هزيمته. وللحيلولة دون تلك الهجمات المحتملة، كما تقول الرواية التبريرية، اختلق صدام رواية كاذبة ليوهم إيرانِ وواشنطن بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وأنه على استعداد لاستخدام تلك الأسلحة دفاعا عن بلده. وقد ساعده على ذلك موقف الأمم المتحدة التي لم تتمكن من تأكيد عدم امتلاكه الأسلحة، على الرغم من أنه لم تكن لديها أدلة قاطعة على وجودها.

ظهرت تلك الرواية بوضوح على صفحات ما عرف بـ «تقرير دولفر» الذي صدر في العام 2004 عن «مجموعة مسح العراق»، الفريق الدولي الذي تشكل من أكثر من ألف عضو من المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وبنيته التحتية، وقد ترأس تلك اللجنة تشارلز دولفر، المفتش السابق في العراق. ويقول التقرير، بعد وصف أنواع التهديدات التي تواجه العراق: «للتصدي لتلك التهديدات، استمر صدام في التظاهر بامتلاكه أسلحة دمار شامل»[1]. ويمضي التقرير: «بينما يتضح أن العراق بحلول منتصف التسعينيات، كان في الواقع خاليا من مخزون لأسلحة الدمار الشامل، فإن دوافع صدام للتحايل حول امتلاكه تلك الأسلحة جعلت الإفصاح للمجتمع الدولي بأنه لا يملكها، وعلى الأخص لإيران، أكثر خطورة»، وقد كرر المقولة نفسها جورج تينيت[*]، في مذكراته الصادرة بعنوان

(*) شغل جورج تينيت منصب المدير العام للمخابرات المركزية الأمريكية من العام 1997 وحتى العام 2004، وتعتبر هذه الفترة ثانية أطول مدة يبقى خلالها المدير العام للمخابرات المركزية في منصبه، وهو يشغل الآن منصب المدير التنفيذي للبنك الاستثماري «ألن آند كومباني». [المترجم].

«في قلب العاصفة»[*]، حيث قال: «لم تكن لدينا خبرة سابقة مع بلد آخر ليست لديه أسلحة دمار شامل، ولكنه يتظاهر بأنه يمتلكها... وقبل الحرب، لم نكن قد استوعبنا أنه كان يخدعنا»[2].

ومع أخذ هذه المزاعم في الاعتبار، لا يوجد دليل في السجلات العامة على أن صدام حاول خداع العالم بشأن امتلاك العراق أسلحة دمار شامل. فتقرير دولفر، على سبيل المثال، لم يقدم أي دليل لدعم تلك المزاعم، ولم يقدم كتاب التقرير أي حقائق لدعمها، بل إن التقرير ذاته ألقى قدرا من الشكوك على هذه المقولة. فقد ورد فيه «أن صدام لم يطرح استخدام الخديعة كسياسة»، وأن أحد المقربين له ذكر أنه لم «يفصح بأنه كان يخدع العالم بخصوص وجود أسلحة دمار شامل»[3]، ولم يكن ذلك مفاجئا، نظرا إلى غياب الأدلة على أنه كان يخدع العالم، بل إنه ذكر في مناسبات عدة أنه لا يملك أسلحة دمار شامل، وكان يقول الحقيقة[4].

من ناحية أخرى كانت حكومة الرئيس بوش قد أطلقت أربع أكاذيب رئيسة خلال تجهيزها للحرب على العراق سأناقشها بالتفصيل لاحقا، لكن دعوني أوجزها باختصار: لقد زعمت شخصيات بارزة في حكومة الرئيس بوش، كذبا، أنها متيقنة تمام اليقين، وبما لا يدع مجالا للشك، من أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل. وكذلك كذبوا في القول بأن صدام كان حليفا وشريكا لأسامة بن لادن، كما صرحوا عدة مرات بما يوحي بأن صدام متورط في تفجيرات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة، وأنه يتحمل قدرا من المسؤولية. وأخيرا زعم عدة أشخاص من الحكومة الأمريكية، ومن ضمنهم الرئيس بوش نفسه، أن خيار الحل السلمي لايزال مفتوحا مع صدام، في حين أن قرار الحرب كان قد اتُّخذ مسبقا.

خلاصة القول أنه في حين أن صدام كان يقول الحقيقة حول عدم امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، قبل حرب العراق في العام 2003، كذبت القيادات العليا بحكومة الرئيس بوش حول ما كانت تعرفه عن أسلحة الدمار الشامل، كما أنها كذبت في أمور أخرى لا تقل أهمية. وقد يبدو هذا السلوك غريبا من الجانبين

(*) George Tenet, *At the center of the Storm: My years at the CIA* (Harper Collins, 2007).

بعـض الـشيء، أو ربما صادما لبعض القـراء. وقد يظن البعـض أن هذه حالة غير عادية، ولكن هذا غير صحيح. فكلا الطرفين قد سلك طريقا متوافقا مع النتائج التي توصلنا إليها في هذا الكتاب. وبالتحديد، فقد توصلت إلى أن القادة لا يكذبون كثيرا على دول أخرى، ولكنهم بدلا من ذلك، يميلون إلى الكذب على شـعوبهم. وسأشرح المقصود من ذلك.

على الرغم من أن الكذب يعد عملا مشـينا في الحياة العادية، يبقى سـلوكا مقبولا في السياسـة الدولية، حيث تظهر في بعض الحالات مبررات إسـتراتيجية لكي يكذب القادة على دول أخرى، أو على شعوبهم. ومع ذلك لا يمارَس الكذبُ بكثرة بين الدول. عندما بدأت بحثي هذا، كنت أتوقع أن أجد أدلة كثيرة ودامغة على كذب القادة والديبلوماسـيين بعضهـم على بعض، لكن سرعان ما اتضح لي أن تلـك الفرضية غير صحيحة. فقد بذلت جهدا كبيرا كي أضع يدي على حالات الكذب في السياسـة الدولية التي أناقشـها في هذا الكتاب. القادة يكذبون على الـدول الأخرى في حـالات معينة، ولكن أقل بكثير مما كنـت أتصور. وعليه، لم يكن مستغرَبا عدم كذب صدام حسين بشأن حيازته أسلحةَ الدمار الشامل قبل الحرب، من دون أن يعني ذلك بالطبع أنه لا يكذب في مواقف أخرى.

إضافة إلى ذلك، يبدو أن القادة أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم في شؤون السياسـة الخارجية من كذبهـم على الدول الأخرى، ويبـدو أن هذا صحيح في الدول الديموقراطية والتي لديها سياسات خارجية طموحة، وتميل إلى شن حروب باختيارهـا، أي عندمـا لا يكون هناك خطر واضح يهـدد مصالح البلد الحيوية ولا يمكـن التعامل معه إلا بالقوة، وينطبق هـذا الوصف بالطبع على الولايات المتحدة في السـبعين سنة الأخيرة. لذا لم يكن مسـتغربا أن تكذب الشخصيات الرئيسـية في الإدارة الأمريكيـة - ومن ضمنها الرئيس بـوش - على الأمريكيين في الفـترة التي سـبقت حرب العراق. وبهذا يكون بوش قـد اقتفى أثر الرئيس فرانكلين روزفلت، الذي كذب بخصوص الحادثة البحرية في العام 1941، سـعيا وراء إدخال أمريكا في الحرب العالمية الثانية، والرئيس ليندون جونسـون الذي كـذب بخصوص أحداث خليج تونكين في صيف العام 1964، من أجل الحصول على دعم الكونغرس لشن حرب على فيتنام الشمالية.

من الضروري تأكيد أنه لا توجد حالة واحدة مما استعرضناه كذب فيها رئيس أو رجاله لتحقيق مكسب شخصي(*). كانوا يعتقدون أن دافعهم هو المصلحة الوطنية لأمريكا، غير أن ذلك لا يعني أنهم تصرفوا بحكمة. ولكن تظل الحقيقة الماثلة هي أن هناك أسبابا إستراتيجية تحمل القادة على الكذب على شعوبهم، وعلى الدول الأخرى. وهذا المنطق العملي يتجاوز دائما القيود الأخلاقية المعروفة ضد الكذب. وبالفعل، يعتقد القادة أحيانا أن عليهم مسؤولية أخلاقية للكذب لحماية بلادهم. وهم لا يكذبون دائما في قضايا السياسة الخارجية، ولكن أحيانا، عن قصد وتعمد، يقولون أو يوحون بأمور يعلمون أنها غير صحيحة. كما أن شعوبهم عادة لا تعاقبهم بسبب خداعهم، إلا إذا أدى ذلك الفعل إلى نتائج وخيمة. وعليه يبدو أن القادة والشعوب قد توصلوا إلى أن الكذب هو جزء لا يتجزأ من العلاقات الدولية.

أما بالنسبة إلى الشؤون الداخلية، فإن الكذب لا يعد أمرا مقبولا، إلا في حالات وظروف خاصة، مثل المساومة حول السعر عند شراء منزل أو بيعه، أو عندما يكون ضروريا لحماية شخص بريء من أذى دون وجه حق. كما يجيز أغلب الناس «الكذبة البيضاء» التي عادة ما تكون بين الأصدقاء، مثل المجاملات البسيطة عند قيام ضيوف بامتداح طعام رديء، أو عندما يكذب الآباء على أبنائهم من أجل حمايتهم. على أي حال، فإن هذه الأكاذيب البسيطة لا تسبب ضررا يُذكر، بل عادة ما تُلفِّق لمصلحة شخص ما[5]، إنها أكاذيب إيثارية ولكن في العموم يعد تأثير الكذب مفسدا على الأفراد، ومن ثم على المجتمع الذي يعيشون فيه. لذا ليس بمستغرب أن يقول البعض الصدق حتى لو لم يكن لمصلحتهم[6]. وهنا نحن لا ننفي أن هناك عددا كبيرا من الأكاذيب غير المقبولة في كل مجتمع. ولكن كلما قلت الأكاذيب، كان الوضع أفضل[7]. لذا من المفيد ألا يشجع المجتمع على الكذب، بل يحاربه.

ويبدو لنا أن هناك تفسيرا بسيطا للتباين في وجهات النظر المتعددة تجاه الكذب المحلي والكذب الدولي. إن المسؤولية الأولى والعليا على عاتق الرئيس هي الحفاظ على بلاده وبقاؤها. ولكن الدول تعمل في نظام فوضوي، حيث لا وجود

(*) بالطبع مسألة المكسب الشخصي خاضعة للنقاش، فأحيانا يكون خوض المعارك أو التلويح بها ليس سوى أداة للبقاء في السلطة، أو زيادة الهيمنة من قبل هذا القائد أو ذاك، وهي ليست بالوضوح والحتمية التي توصل إليها المؤلف. [المترجم].

لســلطة يمكن اللجوء إليها في حال تعرضها لتهديــد حقيقي من دولة أخرى. ففي السياســة الدولية القاسية، ليس هناك خط هاتف ســاخن للاتصال لإنقاذ الدولة، وحتــى إن وجد هاتف للاســتغاثة، فلن يكون أحد على الطــرف الثاني للرد. لذلك يدرك القادة وشــعوبهم جيدا أن الدول تعيش في عالم يعتمد منطق «ساعد نفسك بنفســك»، مما يضطرهم إلى فعل كل ما هو ممكن لتحقيق أمنهم واســتقرارهم. فــإن كان هذا يعني الكذب والغش، فلا بأس من ذلك. فالسياســة الدولية، بمعنى آخر، هي عبارة عــن مضمار عادةً ما تُكسَر فيه القواعد، وتخالَف النظم واللوائح، من دون عقاب. ولا يعني هذا أن قادة الدول متحمســون لقول الكذب، أو إنكار أن الكثير مــن القادة يفضلون أن تصبح الحلبة الدوليــة محكومة بمبادئ أخلاقية محددة وواضحة المعالم. ولكن ذلك غير واقعي في غياب بنية ســيادية متفق عليها تتولى فرض تلك المبادئ.

في مقابــل النظــام العالمي، فإن البناء الهيكلي للدولــة هرمي وليس فوضويا[8]. ففي الدولة المنضبطة، هناك ســلطة عليا - الدولة ذاتهــا - والتي يلجأ إليها الأفراد لتوفير الحماية لهم. وعليه، فإن الدوافع التي تجعل الدول تغش وتكذب، في تعاملها مــع دول أخرى لا تنطبق على الأفراد داخل الدولة. بل إن انتشــار الأكاذيب داخل دولة ما، قد يدمر كيانها ويضعف من استقرارها وأمنها الداخلي. فلا يمكن للدولة أن تستمر بكفاءة وفعالية، إذا ظل أفرادها يكذب بعضهم على بعض طوال الوقت، كما يمكننــا محاربة الكذب من منطلق أخلاقي داخل الدولة، حيث يعيش غالبا مجتمعٌ واضــح المعــالم، وهو ما لا ينطبق على السياســة الدولية، وقــد أوضح ذلك توماس هوبز(*) في كتابه الشهير «اللفياثان» (Leviathan) حيث قال: «قبل أن يوجد مكان لكلمات العدل والظلم، قبل أن يسبقها وجود قوة قاهرة تجبر الرجال سواسية على إنجاز عهودهم... حيث لا توجد ثروة عامة، لا شيء يكون ظالما» [9].

إذن، الكــذب هو نوع من أنواع الخداع، ولكــن ليس كل الخداع هو بالضرورة كــذب. فللخديعة نوعان آخران وهــما الإخفاء (الكتــمان) والتلفيق. وعلى عكس

(*) توماس هوبز، من أبرز فلاســفة ومنظري علم السياســة الإنجليز لحقبة القرن الســابع عشر، ويعرف بإسهاماته الكبيرة في تطوير علم السياسة، كما أنه من منظري نظرية العقد الاجتماعي التي تعد الأساس لأغلب الإنتاج العلمي والفكري الغربي في الفلسفة السياسية. [المترجم].

الكذب، ليس مطلوبا من أي منهما قول عبارة كاذبة، أو رواية قصة ليست حقيقية. ولكن الإخفاء والتلفيق لا يعنيان كذلك قول الحقيقة.

هــذان نوعان من الخداع نجدهــما في كل مناحي الحياة اليومية تقريبا، ونادرا مــا يثيران اعتراضا عليهما[10]. فعلى ســبيل المثال، عندما يتقدم شــخص إلى المقابلة للحصــول على وظيفة، فمن المقبول أن يلفق ســيرته الذاتيــة لتوائم تلك الوظيفة، فيحــذف أحيانا ويضيــف وفق ما يراه مناســبا[11]. وفي عالم السياســة نجد الأرض خصبة لاســتعمال الإخفاء والتلفيق. فيســتطيع الرئيس أن يصور الاقتصاد الأمريكي بروايــة وردية تبرز الجوانب الإيجابية، ويقلل، بل ربما يتجاهل الجوانب الســلبية، وفي المقابل فإنه يحق لشخص من الحزب المعارض أن يفعل العكس تماما. ولكن من غير المسموح لكليهما أن يكذبا لإثبات القضية. فضبط أي منهما متلبسا بالكذب في الأغلب سيسبب ضررا سياسيا كبيرا.

بيــد أن ذلــك لا ينطبق على حالة السياســة الخارجية. فنادرا مــا يتعرض القادة والديبلوماســيون للعقاب حين يكذبون، وخصوصا عندما يفعلون ذلك تجاه شــعوب أخــرى. وربما يكون الاســتثناء الوحيد لهذه القاعدة حين يصبــح معلوما أن القائد قد كذب على شعبه بخصوص سياسة فاشلة أضرّت بالمصلحة الوطنية. ولكن حتى في هذه الحالة، الغضب الشــعبي على القائد، كان بســبب فشــل السياسة المتبعة، وليس لأنه كذب عليهم. لذلك فمن غير المحتمل أن يدفع القائد الذي يكذب على شعبه بخصوص سياســة معينة ثمنا سياسيا إن نجحت تلك السياسة في تحقيق أهدافها. فعندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية، فإن النجاح يغفر الكذب، أو على الأقل يجعله متقبلا.

خلاصة القول، إن الإخفاء والتلفيق هما ســلوكان مقبولان ومشروعان بشــكل عام، ســواء على المســتوى المحلي أو على مستوى السياســة الدولية. ولكن الكذب مســألة أخرى[12]. الكذب غير مقبول في كل مناحي الحياة، إلا في السياسة الدولية، حيث يتم التعامل معه على أنه أمر مؤسف، ولكنه ضروري أحيانا.

المهمة المطلوب إنجازها

تتوافــر عن الكــذب كتابات كثيرة وغزيرة، بيد أننا بالــكاد نجد منها ما يعالج بوضــوح مســألة الكذب في السياســة الدولية. أحــد الاســتثناءات المميزة في هذا

الصدد هو كتاب «عندما يكذب الرؤساء: تاريخ الخداع الرسمي وعواقبه» لإيريك ألترمان(*)، والذي يزودنا بسياق ممتاز عن الكذب الرئاسي خلال السبعين سنة الماضية[13]. غير أن ألترمان ليس متخصصا في العلوم الاجتماعية، ولم يكن يحاول أن يخلق نظرية في الكذب الدولي. كما لم يفعل أحد آخر ذلك. ولربما يقول قائل إن هنالك دراسات عديدة عن الخداع بين الدول. وفي حين أن هذا الأمر صحيح، فإن تلك الدراسات لا تميز بين الإخفاء والكذب والتلفيق، والأهم من ذلك لا نجد من تلك الكتابات ما يركز على الكذب، ويحاول أن يطور مقاربات عامة حول ذلك السلوك تحديدا. لذا فإن الهدف الأساس لهذا الكتاب هو ملء ذلك الفراغ، من خلال التأسيس لنظريات في الكذب السياسي الدولي، وليس معالجة مفهوم الخداع بمعناه العام.

وعلى المستوى العام، فمن الممكن التفكير في الكذب إما من منظور مطلق وإما من منظور نفعي. فأصحاب المذهب المطلق، أمثال إيمانويل كانت(**) وأوغستين(***) يعتبرون أن الكذب دائما خطأ، ومن النادر أن تكون له جوانب إيجابية. فالكذب وفق كانت، يمثل «أكبر انتهاك يرتكبه الإنسان في حق نفسه»[14] . أما المنفعيون في الجانب الآخر، فإنهم يرون أن الكذب يكون منطقيا في بعض الأحيان، لأنه يحقق غرضا اجتماعيا مفيدا، ولكنه لا يحقق تلك الفائدة في أحيان أخرى. ولعل النقطة الأساسية هنا تحديد متى وكيف تتحقق تلك المنفعة.

وقد نظرت إلى الكذب الدولي من وجهة نظر نفعية بحتة، وذلك لوجود أسباب قوية لتبرير ذلك، ولم يكن مستغربا أن نجد أكثرها في السجلات التاريخية. ويعتقد الكثيرون أن هناك ظروفا في السياسة الدولية يكون فيها الكذب مفيدا. بيد أن هذا لا يعني بالطبع أن ننكر البُعد الأخلاقي لهذه الظاهرة. على أي حال، فإن هذه المهمة تتطلب منا الأخذ في الاعتبار جملة من الحسابات المختلفة والاعتبارات التي تقع خارج نطاق هذا الكتاب.

(*) Eric Aherman, *When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences (Viking Adulh, 2004).*

(**) إيمانويل كانت، من أبرز فلاسفة ألمانيا للقرن الثامن عشر، ويعتبر من آخر فلاسفة عصر التنوير، ركز كانت على نظرية المعرفة، وأكثر أعماله شهرة كتاب «نقد العقل المجرد» الصادر في العام 1781. [المترجم].

(***) أوغستين، لاهوتي وفيلسوف من القرن الخامس، وقد طورت كتاباته الفلسفة الغربية إلى حد كبير. [المترجم].

وعـلى وجـه العموم، فإن القـادة يكذبون دوليا لسـببين مختلفـين. فهم قد يكذبون خدمة للمصلحة الوطنية. وهذا ما يعرف بـ «الكذبة الإسـتراتيجية» والتي عادة ما يسـتخدمها القادة ذريعة للحفاظ على مصلحة بلدانهم في وجه التقلبات السياسية مع الغير. كذلك، فإن القادة يكذبون «أكاذيب شخصية أنانية»، لا علاقة لها بمصلحة الدولة، ولكنها موجهة للحفاظ ولحماية مصالحهم الشخصية أو مصالح أصدقائهم. غير أن اهتمامي في هذا الكتاب ينصب على الكذب الذي يطلقه القادة لأجـل المصلحة العامـة، وليس لأجل مصالحهم الشـخصية. وعليـه فإنني عندما أسـتخدم عبارة الكذب الدولي، فإنني أعني بها الكذب الإستراتيجي وليس الكذب للمصلحة الشخصية(*).

ويرتكز التحليل التالي على أربعة أسـئلة. أولا، مـا أنواع الأكاذيب الدولية التي يطلقها القادة؟ ثانيا، لماذا يكذبون؟ وما المبررات المنطقية الإستراتيجية وراء كل نوع مـن أنواع الكذب؟ وبالتحديد، ما المنافع المحتملـة للكذب التي دفعت القادة إلى الدخول في مثل هذا السـلوك المشـين؟ ثالثا، ما الظروف التي تجعل من حدوث أي نـوع من الكذب أكثر أو أقل احتمالا؟ رابعا، ما التكاليف الكامنة للكذب، وما مدى تأثيرها في السياسـة المحلية للدولة وكذلك سياسـتها الخارجيـة؟ وبعبارة أخرى، ما الجانب السـلبي للكذب الدولي؟ وبالتالي سـأتطرق إلى المنافع والأضرار الناتجة عن الأكاذيـب المختلفة التي يطلقها رجال الدولة والديبلوماسـيون بعضهم على بعض وعلى شـعوبهم أيضا. غـير أنني في المقابل لن أتطرق إلى السـؤال المهم، وهو متى يمكـن للكذبة أن تحقق الهـدف المطلوب من إطلاقها؟ وذلـك لأنني لم أتمكن من الحصول على إجابة شافية وكافية.

أحـاول الإجابة عن تلك الأسـئلة من خلال أطر تحليلية بسـيطة، تسـتند إلى المؤلفات النظرية في العلاقات الدولية، وكذلك إلى الأدبيات الكثيرة عن الكذب. كما حاولـت أيضا أن يكون نقاشي للموضوع منطقيـا ومقبولا، وقد اعتمدت على إبراز البراهـين التاريخية لإثبات ذلك. بيد أنني لم أختبر فرضياتي المختلفة لترتيب الدلائل بشـكل منظم. فهذه المهمة، هي أوسع من نطاق هذا الكتاب، الذي يتركز همه في

(*) أخذا في الاعتبار أن المؤلف يركز منهجيا على الكذب الإستراتيجي، غير أنه من الصعوبة بمكان الجزم بأن كذبة ما قد أطلقت لأسباب إستراتيجية، حيث من الممكن أن يكون شكلها الظاهري إستراتيجيا بينما حقيقتها شخصية. [المترجم].

توفـير أطروحة نظرية عن الكذب في الإطار الدولي. وأتمنى أن يقوم باحثون آخرون بفحص واختبار ما عرضته في الصفحات التالية بصورة منهجية.

المقاربات الرئيسة وخريطة الطريق

ســوف أطرح كثيرا من المزاعم في تحليلي التالي، غير أن خمسة منها تتقدم على غيرها. أولها، أن الكذب الدولي يأتي بأشــكال كثــيرة، لكن أهمها التمييز بين الكذب بين الدول، والكذب الذي يطلقه القادة على شعوبهم.

ثانيها، أن القادة عادة ما يطلقون أكاذيب دولية لأســباب إســتراتيجية منطقية، لا لأنهم ضعفاء أو فاســدون. وحتى لا يُســاء الفهم، فإنني هنا لا أقول إن الكذب فضيلة عظيمة، أو أن الإكثار من الكذب على الساحة الدولية يعد أفضل من التقليل منه. ولكن مــا عنيته هو أن الكذب أحيانا يكون وســيلة مفيدة للدولة في عــالم تتجاذبه المخاطر. حقيقة الأمر هي أن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: «الأكاذيب النبيلة».

فمثلا، كذب الرئيس فرانكلين روزفلت على الشعب الأمريكي فيما يخص الهجوم الألماني على الســفينة البحرية الأمريكية (Greer) في أغســطس مــن العام 1941. كان حينهــا يحــاول إدخال الولايات المتحــدة في الحرب العالميــة الثانية ضد ألمانيا النازية، والتي بدا أنها كانت في طريقها لغزو أوروبا بأجمعها. كانت مقاصد روزفلت صحيحة، وكان مناسبا بالنسبة إليه أن يكذب في تلك الحالة.

أما ثالث المزاعم، ففي حين يبدو أن الكذب يشكل مظهرا ثابتا بين الدول، فإنه لا يمارس بشــكل اعتيادي. ففي نقاشي للكذب بين الدول، في الفصل الثالث، أعرض لحــالات كثيرة نجــد فيها الحكام يكذبون على دول أخرى غــير دولهم. وقراءة هذا الفصــل قد توحي للقارئ بأن الكذب بين الدول هو ســلوك روتيني يمارس بشــكل اعتيادي لدى رجال الدولة والديبلوماسيين. غير أنني وجدت صعوبة في العثور على حالات تؤكد ذلك. علاوة على ذلك، فإن الفصل الثالث قد شــمل كل الحالات التي استطعت الحصول عليها. وقد أثار استغرابي مدى الصعوبة التي واجهتني في العثور على الدليل لإثبــات محاولات خداع الدول بعضها لبعض في حالات التفاوض[15]. في الحقيقة، يبدو أن الحكام أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم مما يكذبون على الدول المنافسة. ويظهر هذا بالأخص في الدول الديموقراطية مثل الولايات المتحدة.

رابعـا، من أخطر أنواع الكذب الدولي ذلك الذي يطلقه الحكام على شـعوبهم. وفي الأغلب يعود ذلك الكذب بالضرر على موقف الدولة الإستراتيجي أكثر مما يسببه كـذب الحكام عـلى دول أخرى. كذلك فإنه على الأرجح يفسـد ويعكر صفو الحياة الاجتماعية - السياسية داخل الدولة، مما يكون له أثر سلبي في الحياة اليومية.

خامسـا، وبسبب أن أمريكا دولة بالغة القوة، ومنغمسة بثقلها في أنحاء العالم، يواجـه قادتها أحيانا كثيرة مواقـف صعبة يكون فيها الحافز على الكذب قويا جدا، سـواء على الدول الأخرى أو على الشـعب. وهذا ما يدعو إلى القلق الشديد، إذ إن الكذب الدولي قد تكون له عواقبه السـلبية والوخيمة، وخصوصا على ديموقراطيات مثل الولايات المتحدة.

يتكون الكتاب من تسـعة فصول، أبدأها بتعريف الكذب والنوعين الآخرين من الخداع وهما: الإخفاء والتلفيق. ويتناول الفصل الثاني: قائمة بالأكاذيب الدولية. وقد فرقت بين الكذب الإسـتراتيجي والكذب الشـخصي، وأوضحت لماذا سـيكون التركيز على النوع الأول. وفي الفصول الخمسة التالية، أمعنت النظر في تفاصيل كل نوع من أنـواع الأكاذيب الإسـتراتيجية، والمنطق وراء كل واحد منهـا، والاحتمال في وقوع أو عدم وقوع الكذبة. وفي الفصل قبل الأخير، تناولت السـلبيات والأضرار التي قد تنتج مـن الكذب الدولي. كما عمدتُ إلى تقويم أي من تلـك الأكاذيب قد يحدث أفعالا ارتدادية عكسية قد تضر بالسياسة الخارجية للدولة، وأي من تلك الأكاذيب قد يؤثر سـلبا في الجبهة الداخلية. وينتهي الكتاب بنقاش قصير بشأن معنى كل هذا الجدل بالنسبة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، والولايات المتحدة ذاتها بصورة عامة.

1

ما الكذب؟

قبل تعريف الكذب والتلفيق والتكتم (الإخفاء)، حريٌّ بنا أن نعرّف الخداع، العنوان الشامل الذي يتضمن السلوكيات الثلاثة المذكورة. كما يجدر بنا أيضا أن نعرّف قول الصدق، وهو السلوك المضاد لمفهوم الخديعة.

فقول الصدق هو أن يعرض الفرد الحقائق على أتمّ وجه وبطريقة مباشرة وأمينة. كل منا لديه قدرات متباينة ومحدودة في معرفة تفاصيل مجريات حادثة ما وتحيزاتها أيضا. كذلك فإن الذاكرة قد لا تسعف الإنسان، مما يجعل من المستحيل استعادة كل واقعة يعرفها الإنسان حين روايته الحادثة. بيد أن النقطة الأساسية هنا هي أن الراوي الصادق يبذل جهدا حقيقيا للتغلب على أي تحيزات أو نوازع شخصية ربما تكون كامنة لديه ليروي الوقائع ذات الصلة بصورة منطقية وعادلة قدر الإمكان.

«إن الكذب والتلفيق وإخفاء المعلومات هي كلها من أنواع الخديعة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق».

على العكس من ذلك، نجد الخديعة هي أن يتخذ الفرد، بطريقة مقصودة، خطوات متعمـدة لمنع الآخرين من معرفة الحقيقة كاملة - كما يفهمها هو - بخصوص أمر محـدد. بمعنى آخر، أن يكـون الهدف المخطط له، هو عدم إيصال رواية مباشرة أو وصف شامل للأحداث.

أما الكذب، فهو عندما يتحدث الإنســان بمقولة يعرف أو يشك في عدم صحتها، ولكنه يأمل أن يظن الآخرون أنها حقيقة. فالكذب هو فعل مخطط لخداع جمهور معـين. وقد يتضمن الكذب تأليف حقائق يـدرك مؤلفها أنها غير حقيقية، أو إنكار حقائــق يعــرف أنها صحيحة. غـير أن الكذب لا يتعلق فقط بمــدى صدق حقائق معينــة، بل يمكن أن يكون عن طريق ترتيب الأحداث بطريقة خادعة ماكرة لتحكي قصة خيالية[1]. وفي هذه الحالة، يقود الكاذبُ المستمعَ إلى خلاصة خاطئة، من دون التصريح بوضوحٍ بتلك الخلاصة.

وبالطبـع، هناك احتمال دائم ألا يكون الشــخص الذي يظن أنه يطلق الكذبة عــلى علم بالحقائــق، فينتهي به الأمر إلى قــول الحقيقة بطريقــة غير مقصودة. كــما يمكن أن يكون العكس أيضا صحيحا: شــخص يعتقد أنه يقول الصدق، ولكن الحقائق التي بين يديه تكون خاطئة. وعلى أي حال نحن غير معنيين بهذه النقطة، وهي خارجة عن الهدف الأساس للكتاب، فاهتمامي ينصب تحديدا على ما إذا كان شــخص ما صادقــا - يقول الحقيقة، أو يروي حكاية يعتقــد أنها صحيحة – وليس عــلى صحة أقواله من عدمها. بعبــارة أخرى، فإن اهتمامي منصبّ على الصدق، لا على الحقيقة[2].

أمــا التلفيق، فيختلف عن الكــذب، وإن كان التمييز بينهــما ضبابيا في بعض الحالات. التلفيق هو حين يروي شــخص ما حكاية يركــز فيها على أحداث معينة، ويربــط بعضهــا ببعض بطريقة تصب في مصلحته، بينــما يقلل من أهمية حقائق أخــرى أو يتجاهلها. فالتلفيــق هو عرض الأحداث المعروفة بصــورة معينة تخدم مصلحــة الفرد المعني. في حالــة التلفيق، لا تبذل أي محاولــة لتقديم عرض وافٍ للأحداث، فالقصة المروية هنا مشــوهة، لكنها ليســت كذبة. إنه نوع من المبالغة أو التشــويه. وقد استطاع تايغر وودز(*)، القبض على جوهر هذا المعنى في مقابلة

(*) تايغر وودز، لاعب الغولف الأمريكي. [المترجم].

أجرتها معه مجلة «سبورتس إلستريتد» في العام 2000، حين قال «تعلمت أنه بإمكانك دائما أن تقول الحقيقة، ولكنك لست ملزما بقول الحقيقة كلها»[3].

ما يحصل عادة في أروقة المحاكم الأمريكية يعطينا توضيحا كاملا للفرق بين الكذب والتلفيق. فعندما ينادى على أحد الشهود، عليه أن يؤدي القسم بأن يقول «الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة»، وبعدها يُسأل عدة أسئلة من المفترض أن يجيب عنها بكل صدق. والشخص على منصة الشهود قد يكذب، ولكن النقطة الأساسية هي أن عليه، بموجب القانون، أن يدلي بما يعتقد أنه حقيقة. وفي المقابل يكون الهم الأكبر بالنسبة إلى محامي الدفاع أو الادعاء هو كسب القضية، وليس التأكد من الحقيقة الكاملة في النزاع. وعليه فإن كلا منهما يبدأ مرافعته وينهيها بتلفيق الأحداث والحقائق بعضها مع بعض بطريقة براقة تعطيه الأفضلية. وبالتالي يروي المحاميان المتنافسان قصتين مختلفتين، ولكن من غير المسموح لأي منهما أن يكذب. فنقابة المحامين الأمريكية، على سبيل المثال، تشترط في لائحتها السلوكية أنه «من غير المسموح للمحامي أن يدلي عن علم ببيان كاذب أمام المحكمة»[4]. أما التلفيق، فليس مسموحا به فقط، بل إن المحامين يعتمدونه بشكل روتيني لمصلحة موكليهم.

النوع الثالث من الخديعة هو الكتمان أو الإخفاء أو التستر، وهو يتعلق بحبس الحقائق وإخفائها حتى لا تؤثر في موقف الفرد. وفي هذه الحالة يلتزم الفرد الصمت ببساطة لأنه يريد إخفاء الحقيقة عن الغير. أما إذا سئل سؤالا عن القضية وكذب لإخفاء الحقيقة فإن هذا يطابق تعريفنا للكذب. وأحد الأمثلة الجيدة على الإخفاء تمثل في قرار حكومة الرئيس بوش عدم إبلاغ الشعب الأمريكي قبل بدء حرب العراق في مارس 2003 أن شخصيتين مهمتين في تنظيم القاعدة - هما خالد شيخ محمد وأبو زبيدة(*) - قد أفادا المحققين الأمريكيين، كل منهما على انفراد، بأن أسامة بن لادن قد فكر في عقد تحالف مع صدام حسين ضد أمريكا، ولكنه في آخر الأمر عدل عن ذلك[5]. فلو كشفت هذه الحقائق للشعب الأمريكي، لكانت قوضت مزاعم

(*) خالد شيخ محمد هو أحد الشخصيات البارزة في تنظيم القاعدة، ويتهم بأنه كان العقل المدبر وراء اعتداءات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة. وقد ألقي القبض عليه في باكستان في مدينة روالبندي في مارس 2003، وسُلّم إلى أمريكا، وهو موجود الآن في معتقل غوانتنامو. أما أبو زبيدة، وهو زين العابدين محمد حسين، فيشار إلى أنه سعودي من أصل فلسطيني. اعتقل في مارس 2002 في باكستان، وسُلّم إلى أمريكا، وهو معتقل حاليا في غوانتنامو. [المترجم].

حكومة بوش عن تعاون أسـامة بن لادن وصدام، وهي معلومة كان لها أثر كبير في الحصول على دعم شـعبي ونيابي للحرب. هذا بالطبع سـلوك مخادع، ولكنه ليس كذبا، على الأقل بالنسـبة إلى تعريفنا للكذب، لأنـه لم يتخذ خطوات فعلية لخداع أحد[6]. باختصار، عندما يلفق الفرد قصة أو يخفي حقائق ويكتمها، فإنه لا يكذب، ولكنه في الوقت نفسه لا يكون صادقا تماما[*].

ويعتبر الكذب، كما أكدت سـابقا، تصرفا مشينا ومسـتنكرا، في حين أن البعض يعتقـد أن الكتـمان والتلفيق شيء مقبول، على الرغم من أن السـلوكين قُصد بهما الخديعة. وهناك سـبب محتمل للتمييز بين السـلوكين، وهو أنه من الصعب جدا رصـد الكـذب والحماية منه، كـما هي الحال مـع الكتمان والتلفيـق. فالكاذبون يطلقـون مزاعم باطلة بطريقـة منظمة ومحكمة بهدف ألا يُشـك في مصداقيتها. والكاذبـون المحترفون يعرضون مزاعمهم بقوة وبثقة عالية، مما يجعل من الصعب على الجمهور أن يكتشف الخديعة.

أما في حالة التلفيق، فيسـتطيع الجمهور أن يعـرف أن الصورة التي أمامه غير مكتملـة وغير واضحة، فيعالج الخلل بملء الفراغات في الرواية. تحديدا، يسـتطيع الجمهور أن يقارن بين قصة الملفق والدوافع الخفية التي جعلته يتجاهل ذكر بعض الأحداث بينما يتحفظ عن البعض الآخر. فإن كان هناك شـك ما في القصة، فيمكن للجمهور أن يطالب بمعلومات إضافية، أو يجري بحثا يتحقق من خلاله من الصورة الكاملة، أو يسـتمع إلى طروحات ملفقين معارضين آخريـن، وغالبا ما توجد منهم أعداد ليست بالقليلة، وبالذات حين يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية.

يسـتطيع الجمهور أن يحمي نفسه بطريقة معقولة ضد الكتمان. وعلى الأخص يمكن دائما السـؤال عما إذا كانت هناك معلومـات إضافية عن أمر محدد، وبالتالي توقـع الحصول على إجابة حقيقية. غير أننا لا نسـتطيع تجاوز حقيقة أن الجمهور المعني هنا قد لا يكون ملما بكل القضايا المرتبطة بالموضوع. فأحيانا لا يعلم الإنسان أنه لا يعلم فلا يستطيع أن يحدد أي سؤال يسأل.

(*) هناك أيضا مقولة مشهورة في أروقة السياسة البريطانية، حيث يقول السياسي عند اتهامه بالكذب «إننا لا نكذب ولكننا نقتصد في قول الحقيقة». ويرجع القول إلى السـياسي البريطاني إدموند بورك (1796). كما توجد مقولة أخرى أيضا في الوسط السياسي: «أفضل طريقة للكذب المشروع هي أن تقول نصف الحقيقة». [المترجم].

وتأكيد على أن الكذب يعتبر سـلوكا مشينا، لأنه يصعب رصده واكتشافه، دعونا نأخـذ أمثلة من حياتنا اليومية، حيـث يعتبر فيها الكذب تصرفا مقبولا: ففي المجال التجاري مثلا، عادة ما يتفاوض البائع والمشتري للوصول إلى سعر متفق عليه لسلعة ما كعربة أو منزل مثلا. من المسموح لكل منهما أن يكذب على الآخر بشأن «السعر التحفظي»، وهو أدنى أو أعلى سـعر يقبل به البائع أو المشـتري. ويعرف كلاهما أن الكذب - والتعبير الملطف هنا هو «التحايل» - هو جزء من اللعبة، لذلك، لا أحد من الطرفين امتاز على الآخر فيما يخص سـعر الشراء أو البيع. في الحقيقة نحن نتحدث هنا عن معركة عادلة متكافئة، حيث لا يدعي أحد أنه قد خُدع من الطرف الآخر.

ليس بالأمر المسـتغرب ألا يعتبر الكذب حول «السعر التحفظي» سلوكا معيبا أو مشـينا. ويمكن للفرد أن يقول إن هذا النوع من التحايل لا يعد كذبا، وكما يرى السياسي البريطاني هنري تايلور: «لا يصبح الكذب كذبا عندما يكون معلوما لجميع الأطـراف أن قـول الصدق غير متوقـع»[7]. وبالطبع أنا لا أتفق مـع هذا المنطق، فالبائع والمشـتري لا يقولان الحقيقة بقصد متعمد لخداع الطرف الآخر، وهذا هو جوهر الكذب.

خلاصـة القول أن الكـذب والتلفيق وإخفـاء المعلومات هي كلهـا من أنواع الخديعـة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق. وسـيتمحور النقاش التالي حول كيفية استخدام الكذب لخداع الآخرين في مجال السياسة الخارجية. ولكن على أرض الواقع، تشـمل حملات الخديعة بطريقـة متباينة كلا من التلفيق والكتمان وكذلك الكذب. وفي الحقيقة، فـإن العار الذي يلحق بالكذب بجميع أنواعه، يجعل القادة الذين يظنون أن لديهم الأسـباب المنطقية التـي تدفعهم إلى خداع الدول الأخرى، أو خداع شـعوبهم، يفضلون التلفيق والكتمان على الكذب الصريح. فلا أحد يفضل وصفـه بالكاذب، حتى لو كان القصد من الكذب أهدافا نبيلة. وربما يعود ذلك إلى أنه من الصعب أن يكذب الإنسـان من دون اكتشاف كذبته وإدانته بها. وبالطبع، فـإن القادة أحيانـا يبررون ذلك بأنهم مضطرون ولا خيـار لهم إلا الكذب لمصلحة بلدانهـم. وبصورة عامة، فإن الكذب يكون الخيار الأخير للقادة الذين يسـعون إلى خداع دولة أخرى.

دعونا الآن ننظر في أنواع الكذب في السياسة الدولية.

2

قائمة بالأكاذيب الدولية

«عادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع»

في مضمار السياسة الدولية، بإمكان القادة أن يختلقوا سبعة أنواع من الأكاذيب. ولكل نوع من تلك الأكاذيب غرض محدد، وإن كان من الممكن أن تؤدي كذبة واحدة أغراضا متعددة. فعلى سبيل المثال، الكذبة التي يطلقها قائد لشعبه بخصوص تهديد خارجي محتمل، للحصول على دعم شعبي للتصدي للتهديد (إثارة الذعر)، من الممكن أن تحيي الروح الوطنية في البلاد، من خلال تصوير العدو بطريقة سلبية جدا (خلق الأساطير القومية). وهذا النوع من الأكاذيب، تحديدا، يوجهه صانعو القرار السياسي لشعوبهم، ولكن الأكاذيب يمكن أن توجه أيضا إلى الدول المعادية، كما يمكن أن توجه إلى الدول الصديقة. ولكن الكذبة التي توجه إلى أي من هذه الجماهير، ستصل بالضرورة إلى الأطراف الأخرى، مما قد يجعل لها آثارا إيجابية أو سلبية.

توجــه الأكاذيــب بين الــدول مبــاشرة إلى الدول الأخـرى إمــا لتحقيق تفوق إســتراتيجي، وإما للحيلولة دون تحســن وضعها على حساب وضع الدولة الكاذبة. وعــادة ما يوجه هــذا النوع من الكذب إلى الدول المنافســة، بيد أن الدول تكذب أحيانا على حلفائها. وعادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع.

يظهر أســلوب «إثارة الذعر» عندما يكذب قائد ما على شــعبه بشأن قضية سياســة خارجية بخصوص تهديد يواجه البلد، معتقدا أن شــعبه لا يعطي ذلك التهديــد حقه. والقصد من ذلك هو دفع الشــعب لكي يأخــذ التهديد بصورة جدية، وتقديم التضحيات للتصدي له. لا يلجأ القادة هنا إلى إثارة الذعر، لأنهم أشرار، أو لتحقيق مكاســب شــخصية، لكنهم يضخمون تهديدا معينا في سبيل المصلحة الوطنية.

أما «التغطيات الإستراتيجية» فهي أكاذيب تهدف إلى إخفاء سياسات فاشلة، أو سياسات مثيرة للجدل، عن الشعب، وأحيانا عن دول أخرى كذلك. ولا يطلق القادة هــذه الأكاذيــب لحماية غير الأكفاء الذين فشــلوا في عملهم، أو لإخفاء سياســات غبيــة - وإن كان من الممكــن أن يتحقق ذلك كنتائج غير مقصودة. بل الهدف هنا هو حماية الدولة من الأذى. على ســبيل المثــال، يعتبر الكذب حول ضعف قدرات الجيش في حالة الحرب مهما للحفاظ على تماســك وتضامن الجبهة الداخلية، والذي ربما يشكل الفرق بين النصر والهزيمة.

أمــا «صناعــة الأســاطير القومية»، فهي حــين يطلق القادة الأكاذيب، بشــكل أســاسي لشــعبهم، حول ماضي دولتهم[1]. فنجدهم يروون قصة يكون فيها «نحن» دائمــا على حق، و«هم» دائما عــلى خطأ. وتفعل النخبة ذلك عــن طريق إنكار أن دولتهــم، أو مجموعتهم العرقية، قد اقترفت مــا اقترفته في الواقع، أو ادعاء قيامهم بأشــياء لم يقوموا بها أصلا. وبالطبع، تطلق تلك النخبة ذاتها أكاذيب مشابهة بحق المجموعــات المعادية أو المنافســة لهــا. الهدف هنا هو إيجاد حــس قوي بالهوية الجماعيــة بين المواطنين في العموم، لأن ذلك مهم في بناء الدولة القومية والمحافظة عليها، ولتشــجيع الناس على القتال في الحروب لأجل وطنهم. وأحيانا تســاعد هذه الأساطير الدول على تحقيق شرعيتها بين الدول الأخرى.

وتصمم «الأكاذيب الليبرالية»، للتغطية على سلوك يتناقض مع منظومة المبادئ المتعارف عليها بشكل واسع في أنحاء العالم، والتي تمثل العمود الفقري للقانون الدولي. فالدول بجميع أشكالها ونظمها السياسية، بما في ذلك الأنظمة الليبرالية الديموقراطية، تتصرف أحيانا بشكل وحشي تجاه دول أخرى، أو تشكل تحالفات مع دول ممارساتها سيئة. وعندما يحدث ذلك، يختلق القادة قصة يروونها لشعوبهم، أو للعالم على اتساعه، بهدف محاولة التمويه على تصرفاتهم غير المتسقة مع الأعراف الليبرالية، بأسلوب بلاغي مثالي.

وتأتي ممارسة «الإمبريالية الاجتماعية» حين يطلق القادة الأكاذيب عن دولة أخرى بهدف تنمية مصالحهم الاقتصادية أو السياسية، أو لمصلحة طبقة اجتماعية أو مجموعة بعينها. ويستهدف هذا النوع من الأكاذيب صرف نظر الشعب عن مشاكل أو قضايا مثيرة للجدل في الساحة المحلية لخدمة شريحة صغيرة في المجتمع، وليس المصلحة العامة. فعلى سبيل المثال، قد يحاول القادة أن يزيدوا من هيمنتهم على مفاصل القوة في الدولة، عن طريق المبالغة في تصوير تهديد محتمل، وخلق حالة من الخوف في المجتمع، مما يؤدي إلى التفاف الشعب حول النظام.

وتظهر «التغطيات الشنيعة» عندما يكذب القادة بخصوص تخبطاتهم، أو سياساتهم الفاشلة لمصالح شخصية. ويكون هدفهم الأساسي في هذه الحالة هو حماية أنفسهم، أو أصدقائهم، من عقاب مستحق[2]. ولا يسعى هذا النوع من الأكاذيب إلى تحقيق مصلحة عامة، كما هي الحال مع التغطيات الإستراتيجية. ولكن لأن التغطيات الإستراتيجية تنتهي بحماية الفاشلين والإبقاء عليهم في مراكزهم، فمن الصعب أحيانا، التمييز بين هذين النوعين من أكاذيب التغطية.

هذه هي الأنواع السبعة التي يتكون منها عالم الأكاذيب الدولية[3]. بيد أن النقاش التالي سيتمحور حول الأكاذيب التي تطلق بهدف تحقيق المصلحة الوطنية. تخدم تلك الأكاذيب الإستراتيجية العامة، بعكس الأكاذيب الأنانية، التي تفيد شخصا معينا أو مجموعة أفراد. وبالتالي فإننا لن نطرح للنقاش مجددا أكاذيب التغطيات الشنيعة أو الإمبريالية الاجتماعية.

لقد تجاهلنا هذين النوعين من الأكاذيب، لأنه لا توجد قيمة إستراتيجية لهما. وبالطبع ، نحن ندرك جيدا لماذا يطلق الأفراد أكاذيب من هذا النوع، ولكن لا

أحد يرى أنهما سـلوكان مشروعـان أو مقبولان. بل إن أغلبية المراقبين سـينددون بهذه الأكاذيب الأنانية ليس لأنهما يحملان أثرا مفسـدا في الحياة السياسـية فقط، ولكـن لأنهما يضعفان المصلحة الوطنية عموما. باختصـار، فإن أكاذيب الإمبريالية الاجتماعية والتغطيات الشنيعة ليست لديهما قيمة اجتماعية.

أما الأكاذيب الإسـتراتيجية، فهي موضوع مختلف. حيث إنها تستهدف تحقيق المصلحـة العامـة، وعادة ما يتوافـر لها قدر مـن المشروعية. وفي الأسـاس، يمكن للأكاذيب الإستراتيجية أن تؤدي دورا مفيدا للدولة، مع العلم أن هناك دائما احتمال أن ينتج عنها ضرر أكثر مما يتحقق من منفعة. وبالتالي سـيكون تركيزنا على الأنواع الخمسـة من الأكاذيب الإسـتراتيجية: الكذب بين الدول، وإثارة الذعر، والتغطيات الإسـتراتيجية، وصناعة الأسـاطير القومية، والأكاذيب الليبرالية. وبالإضافة إلى شرح كل نوع من الأكاذيب بالتفصيل، سـأشرح أطرها المنطقية، وأوضح متى من الممكن ظهور هذا النوع أو ذاك. بعبارة أخرى، سأحاول شرح لماذا ومتى تظهر هذه الأنواع المختلفة من الأكاذيب الدولية.

3

الكذب بين الدول

أطلق السير هنري ووتون، الدبلوماسي البريطاني في القرن السابع عشر، تعليقا مشهورا بأن السفير هو «رجل أمين، أرسل إلى الخارج، ليكذب من أجل مصلحة دولته»[1]. وتوضح لنا هذه العبارة حقيقة أن الدول يكذب بعضها على بعض، لاعتقادها أن الكذب يفيد مصلحتها الوطنية. بيد أن تعليق ووتون غير دقيق، لأنه يوحي بأن الدبلوماسيين ورجال الدولة يمارسون الكذب بعضهم على بعض طوال الوقت، بينما واقع الحال أن القادة السياسيين وممثليهم الدبلوماسيين يتعاملون بالصدق أكثر من الكذب. وحتى عندما يضطر أحدهم إلى أن يخدع الآخر، فإنه يلجأ في الأغلب إلى الكتمان والإخفاء لا إلى الكذب الصريح. فالسرية، كما يعرف طلاب السياسة الدولية، هي تقليد عريق تستغله الدولة لتطوير إستراتيجيتها وأسلحتها للتفوق على منافسيها.

«حتى يكون الكذب بين الدول مجديا، فلا بد أن يتم بحذر وانتقائية»

ما الأســس التي ترتكز إليها هذه المزاعــم؟ كما أشرنا، فأنا لا أختبر مقولاتي على ضوء السجلات التاريخية. فمن غير الممكن قياس عدد المرات التي كذب فيها رجال الدولة والديبلوماسيون بعضهم على بعض في الماضي، مقارنة بكم مرة كانوا صادقين بعضهم مع بعض. ولعل أحد أســباب ذلك هو التداخل الكبير في القرون الســابقة بــين قادة الوحدات السياســية المختلفــة التي كونت النظــام العالمي، مما يصعب عملية اختيار عينة من تلك القاعدة الضخمة للبيانات. ولكن، حتى لو كانت عملية الاختيار ممكنة، فإنه يصعب أن نتحرى عما تسرب من كثير من تلك الحالات. ونحن لا نملك إلا القليل من السجلات التي توضح لنا ما حصل في الماضي البعيد، وحتى في الحالات الأكثر قربا، نجد أن السجلات غير مكتملة أحيانا. وللأسباب نفسها، سيكون من الصعب - إن لم يكن مستحيلا - أن نحدد حجم الكذب بين الدول بدقة، مقارنة بالكتمان والتلفيق.

وادعائي عدم وجود كذب كثير بين الدول على مر الســنين مبني على اعتبارين: الأول، الصعوبــات التي واجهتني في الحصول عــلى أمثلة عن حكام يكذب بعضهم على بعض، على الرغم من أني حصلت على بعض الحالات، أغلبها نوقشــت ســابقا. كذلك فقد طلبت من باحثين آخرين لديهم معرفة عميقة بتاريخ العلاقات الدولية أن يمدوني بأنواع من الأمثلة التي يكذب فيها القادة والديبلوماســيون بعضهم على بعــض. كان رد فعلهــم التلقائي – كما كان رد فعلي - أنه لا بد أن هناك أمثلة كثيرة في هذا الشــأن؛ ولكن انتهى الأمر على غير ذلك حيث لم يجد أي من الذين سألتهم إلا حالات قليلة يظهر فيها كذب بين الدول.

وبالطبع فإن تعريف الشــخص لمفهــوم الكذب يؤثر في أي تقييم لمدى وجود كذب بين الدول، أو أي شــكل آخر من أشــكال الكذب. فمثلا، لاحظت سيســيلا بوك في دراســتها المهمة عن الكذب أن بعض الناس يعرفون مفهوم الكذب بصورة واســعة إلى درجة أنهم يعتبرون «كل أشــكال الخديعة أكاذيب، بغض النظر عما إذا تضمــن ذلك أو لم يتضمن عبارات أو بيانات مــن أي نوع». وحين يطبق هذا التعريف الواســع، فعندئذ يمكــن للناس أن يقولوا إن الكذب ظاهرة شــائعة في الحياة اليومية، «وإن متوســط الكذب للفرد يتعدى العشرات بل مئات الأكاذيب في اليوم الواحد»[2].

وإذا طبقنا هذا التعريف الواسع على واقع السياسة الدولية، فإنه سوف يشمل التلفيق والكتمان. كما أنه يشـــمل الإصرار على عدم قول الحقيقة عن قصد، وحينها فقـــط يمكن القول إن الكذب بين الدول هو ممارســـة معتادة. أما إذا جرى تعريف الكذب بصورة أدق وأضيق، كما هي الحال مع سيسيلا بوك، ومعي أيضا، فلن يكون شـــائعا ومنتشرا كما يظن، على الرغم مـــن أنه معروف. وأعتقد أن التعريف الضيق هو أكثر منطقية، لأنه يعطينا الفرصة، كي نميز بين أنواع الخديعة، وكي نبحث في أين، ولماذا، يطبق كل نوع منها.

قد يجادل البعض بأن السياســـيين والديبلوماســـيين الذيـــن يكذب بعضهم على بعـــض لن يعترفوا بأنهم كذبوا، بل ســـنجدهم دائما يبذلون جهـــودا مضنية لإخفاء ذلك. ومن المحتمل أن تكون هناك حالات كذب كثيرة بين الدول، ولكني فشلت في كشـــف أغلبها، لأنها عادة ما تكون محكمـــة الإخفاء عمن هم خارج عملية صناعة القرار. ولهذا النوع من الجدل فوائده الجمة بالطبع، عند تحليل الأحداث المعاصرة، مادامت المعلومات المهمة عادة ما تُحجب عن العامة، وعليه فإنه من الصعب على من هم خارج الدائرة أن يعرفوا ما يدور وراء الأبواب المغلقة. وكذلك، فكلما حاولنا أن نعالج قضايا أقدم تاريخيا، وجدنا أن ســـجلات صنع القرار غير مكتملة، وناقصة، تقريبـــا في معظم البلـــدان، مما يعني أنه ربما كان الكذب بـــين الدول أمرا عاديا في زمن مضى، ولكننا نقف عاجزين عن اكتشـــافه. وحتـــى في الوقت الحاضر، نجد أن الســـجلات التاريخية لبعض الأحداث القريبة غـــير مكتملة، مما يثير احتمال وجود أكاذيب مطمورة في العمق.

وعـــلى الرغم من كل هـــذا، مازلت أعتقد أنه لا توجد أكاذيب كثيرة مخفية بين الدول في الماضي البعيد. وقد أسســـت تصوري هـــذا على حقيقة أن لدينا معلومات كثـــيرة عن قرارات سياســـة خارجية مهمـــة في القرنين الماضيين ومـــن دول مختلفة، مـــما يجعل من الصعب على القادة أن يخفوا أكاذيبهم ويحصنوها من الاكتشـــاف. ويكـــون ذلك أكثر وضوحا بالنســـبة إلى الأكاذيب التي كان لها أثر كبير في سياســـة الدولة الخارجية. وعلى أي حال، فإن حملات الخداع المخطط لها يشـــارك فيها عادة عـــدد كبير مـــن الناس، ويقوم البعـــض منهم على الأقل في نهايـــة المطاف بالإفصاح وكشـــف الأمر. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوثائق المكتوبة، التي عادة ما تكون متوافرة

بكثرة في مثل هذه الحالات، قد ظهرت للعيان. وبالتالي فإن معظم التفاصيل الرئيسة للأحداث التاريخية القريبة قد أصبحت في متناول الجمهور - بما فيها الأكاذيب. ولا يمكن أن ننكر أن بعض الأكاذيب المحكمة قد نجت من الرصد والاكتشـاف، ولكن من الصعب تخيل وجود حالات كثيرة من هذا النوع.

وهناك سـبب آخر يجعلنـي أظن أن الكذب بين الدول هـو أمر غير اعتيادي، وذلـك لأن خداع قـادة دول أخرى أمر بالـغ الصعوبة. وحتى عندمـا يكون الأمر ممكنا، فإن تكلفة الكذب غالبا ما تتجاوز فوائده. بعبارة أخرى، هناك مبررات قوية ترغمنا على ألا نتوقع أن يكون الكذب بين الدول ممارسة عادية .

وبـادئ ذي بدء، فإن المنطـق الواقعي يبين لنا مدى صعوبة تخلص الحكام من جريـرة الكذب عندما تواجه مصالحهم الإسـتراتيجية في الداخـل خطرا ما. فالدول التـي تعيش في حالـة فوضوية تتولد لديهـا في أحيان كثيرة نزعة قوية لاسـتعمال العنـف والطرق الملتوية من أجل البقـاء، وهذه المنظومة بالتأكيد تتضمن الكذب. ولقد أدرك ذلك رئيس الوزراء الإسرائيلي السـابق إسحاق شامير حين قال «من أجل أرض إسرائيل يجوز الكذب»[3]. وعليه، فإنه ليس بمستغرب، أن نجد معظم الرؤساء، وعددا كبـيرا من مواطنيهم، يعترفون بأن العلاقـات الدولية تحكمها، إلى حد كبير، مجموعـة قواعد تختلـف عن تلك المعمول بهـا في الحياة اليوميـة داخل الدولة. ولذلـك عندما يتعلق الأمر بالمواضيع الحيوية المهمة في الدولة، فليس من السـهل أن تؤخـذ تصريحات دولة أخرى عـلى محمل الثقة من دون التمحيص والتأكد من مصداقيتها[4]. وفي السياق نفسه جاء تصريح مشهور للرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان محذرا: «ثق، ولكن تحقق». وعلى سبيل المثال، لن يقبل أي زعيم غربي ادعاء إيران أنها لا تطور سـلاحا نوويا ويترك الأمر عند ذلك الحد. بل سـيصر على تمكين المنظمة الدولية للطاقة الذرية من تفتيش وفحص المنشآت النووية الإيرانية، للتأكد من أنها لا تسعى إلى الحصول على أسلحة نووية.

وتصبح المسـألة في غاية الحدة عند محاولتنا تقييـم نوايا دول أخرى، لأنه من الصعب معرفة تلك النوايا بدرجة عالية من اليقين. من الأسـهل، وإن لم يكن سـهلا بالضرورة، تقييم نشـاط الدولة العسـكري، وقدراتها الحربيـة التي يمكن أن نراها بالعـين المجردة. أمـا النوايا فهي في عقـول صناع القرار، ومـن الصعب ملاحظتها

وقياسها، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تقليل الثقة بين الدول. بالنظر إلى تدني مستوى الثقة هذا، فإنه يستحيل على الرؤساء أن يفلتوا بكذبهم بعضهم على بعض، خصوصا عندمـا تكون المخاطرة عالية. ولـذا، فإنه ليس من المسـتغرب ألا تتضمن الوثائق التاريخية إلا النزر اليسير من الأمثلة المؤثرة والفعالة لأنواع الكذب بين الدول.

إن رجـال الدولة والدبلوماسـيين أكثر ميـلا إلى الثقة بعضهـم ببعض عندما يتعاملـون مع قضايـا لا تترتب عليها عواقب إسـتراتيجية خطـيرة في حال انطلت كذبـة على أحد الطرفين. وبعبارة أخرى، القادة هم عادة أقل انزعاجا عند تعرضهم لخديعـة تتعلق بالاقتصاد أو البيئة - «السياسـات الدنيـا» - مقارنة بقضايا الأمن القومي - «السياسات العليا» - حيث تكون الثقة عملة نادرة[5]. وربما يظن البعض أن هنـاك عددا كبـيرا من الأكاذيب يجـري إطلاقها عند التعامل مع «السياسـات الدنيـا»، وذلك لتوافر الثقة بين الزعماء، مما يزيد من احتمالات تعرضهم للخديعة. بيد أن ذلك ليس هو واقع الحال؛ فلا توجد أكاذيب كثيرة، حتى عندما يتعلق الأمر بالسياسات الدنيا.

أحد الأسباب في قلة الكذب في السياسات الدنيا، يرجع إلى أن الفائدة التي تجنى من الكذب ليسـت كبيرة. ولأن الفائدة المتوخاة من الكـذب قليلة، فإن التكاليف الناتجة من الخديعة على الضحية ليسـت كبيرة، وبالتالي نجدها تتخلى عن الحذر. وهناك سـبب آخر، وهو أنه إذا شـعر الكل بأن الرؤسـاء يكذبـون، فلن يصدقهم أحـد بعد ذلك، وهذا ثمن غـال لا يمكنهم تحمله. فالكذب يكون فعالا فقط عندما يعتقد الضحية المخدوع أن ما يقوله الكاذب هو الحقيقة. وبناء على ذلك، لا بد أن تتوافر أسباب مقنعة للقادة ليقتنعوا بأنهم ليسوا مضللين، مما يعني أنهم لا يكذب بعضهم على بعض بشكل مستمر، وإلا أصبح سلاح الكذب غير مجدٍ. باختصار، حتى يكون الكذب بين الدول مجديا فلا بد أن يتم بحذر وانتقائية.

أما السـبب الأخير، فهو أنه إذا ظل الرؤسـاء يكذب بعضهم على بعض، فإن ذلك سيجعل التعامل البناء فيما بينهم مستحيلا في المستقبل، فلن يعرفوا الصدق من الكذب. أما إن اعتاد أحد القادة الكذب بشـكل متواصل، فستسـوء سمعته بـين أقرانه، ويصعب التعامل معه في عقد الاتفاقات مما يعود سـلبا على دولته. وينعكـس هذا الضرر بالأخص على الأمور الاقتصادية والبيئية التي تتطلب ميثاقا

وتعاونا مستمرا على مدى سنوات مقبلة. بعبارة أخرى، الكذب الكثير غير مفيد.
ونخلص إلى القول إن الكذب له حدوده في العملية السياسية.

لماذا تكذب الدول بعضها على بعض؟

يعـود السـبب الرئيس في كذب القـادة على جمهور أجنبي إلى كسـب تفوق إسـتراتيجي عليـه. ولأن الدول تعيـش في عالم فوضوي، حيث لا أحد يحرسـها من الأخطار، فليس أمامها سوى خيار توفير الحماية الذاتية. وتتمثل أفضل الطرق التي تعزز بها الدول فرصها في البقاء في اكتسـاب القوة للتفوق على قريناتها من الدول. بإمكانها أيضا أن تلجأ إلى أسـلوب الخديعة، الذي من ضمنه الكذب، لكي تكون لها الأفضلية على عدو محتمل. وفي عالم محفوف بالمخاطر كهذا، على القادة أن يعملوا كل مـا في وسـعهم لحماية وبقاء دولهم. وقد أوضح آرثر سلفسـتر، مسـاعد وزير الدفاع للشـؤون العامة في حكومة الرئيس جون كنيدي، هذه النقطة بشـكل جيد عندما نشبت أزمة الصواريخ الكوبية، حين قال «إن حق الدولة الأصيل في أن تكذب عندما تواجه كارثة نووية هو أمر أسـاس»[6]. وبعد عشرين سـنة تالية، وفي حقبة الرئيس جيمي كارتر، علق جودى باول، السـكرتير الإعلامي بأن «سلفستر كان محقا في رأيـه. فتحت بعـض الظروف، ليس للدولة الحـق في أن تكذب فقط، بل يصبح الكذب واجبا إيجابيا»[7].

من واقع الممارسـة، يتخـذ الكذب بين الدول أشـكالا مختلفـة، ويتبع منطقا مختلفا. فلنسـتطلع بعضا من تلك الأسـاليب التي تكذب فيهـا الدول بعضها على بعض. وهذه القائمة ليسـت حصريـة، على الرغم من أن أغلـب أنواع الكذب بين الدول سوف تدخل ضمن هذه الفئات:

النـوع الأول من هـذه الأكاذيب يحدث عندما يبالغ القـادة أحيانا في تصوير قـدرات دولهـم بقصـد ردع العـدو، أو حتى إخضاعه. على سـبيل المثـال، كذب هتلر بشـأن قدرات جيشـه في الثلاثينيات. فقد حاول تضخيم قوة الدفاع الألمانية (فيرماخت) (Wehrmacht) لتثبيط همم بريطانيا وفرنسا في التدخل لإعاقة إعادة تسـليح ألمانيا، بالإضافة إلى تحركات سياسته الخارجية العدوانية، مثل إعادة تسليح راينلاند في 1936[8]. وفي الفترة نفسـها تقريبا، قام جوزيف سـتالين بعملية التطهير

الشـنيعة للجيش الأحمر، مما أثر سـلبا في قدراته القتالية. وخشـية منه أن هذه العملية قد تجعل الجيش الروسي يبدو ضعيفا، مما يحفز الألمان على الهجوم عليه، أطلق سـتالين وضباطه الدعاية الكاذبة بأن الجيش السـوفييتي قوة هائلة خارقة، وهم يعلمون أن الحقيقة غير ذلك[9].

حادثة أخرى من النوع نفسـه، عن الكذب بين الـدول، ظهرت في أثناء الحرب الباردة، عندما أطلق الاتحاد السـوفييتي أول صاروخ باليسـتي في العالم (ICBM) في أكتوبـر من العـام 1957 [10]. كان الميزان الإسـتراتيجي النـووي في ذلك الوقت يرجح بوضوح كفة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد انتهز الرئيس السوفييتي نيكيتا خروتشـوف أسبقية بلاده في إطلاق أول صاروخ باليستي للزعم بامتلاك قوة هائلة في هذا المجال أكثر مما كان عليه الأمر في الواقع. لقد أسـهمت كذبة خروتشوف في السـنين الثلاث التالية في خلق أسطورة «الفجوة الصاروخية»، والتي أبقت الولايات المتحـدة الأمريكية، ظاهريا، في مرتبة أدنى إسـتراتيجيا. وفي واقع الأمر كان العكس هو الصحيح: الاتحاد السوفييتي حينها كان يمتلك صواريخ أقل بكثير من التي تملكها الولايات المتحدة. كانت مبررات خروتشـوف لتلك المبالغة هي الردع والضغط على أمريـكا. وبصورة خاصة، أراد ضمان عدم قيام أمريـكا بإطلاق صواريخ نووية على الاتحاد السـوفييتي في وقت الأزمة. كما كان مصرا على أن يضع ضغوطا كبيرة على حكومة آيزنهاور لكي تتخلى عن خططها بتزويد ألمانيا بالسلاح النووي.

النـوع الثاني من أنواع الكذب بين الدول هـو عندما يكذب القائد للتقليل من قدرات جيشـه الحربية، أو التقليل من سلاح حربي معين، أو حتى إخفائه تماما عن الـدول المنافسـة. وقد يهدف من ذلـك الخداع إلى تحاشي اسـتفزاز أي هجوم قد يهدف إلى تدمير تلك القدرات. أو أن يمنع دولة أخرى من أن تجبره على أن يتوقف عن تسـليح وتطوير قوته. فعلى سبيل المثال، عندما صار الأميرال الفريد فون تربتز رئيسـا للبحريـة الألمانية في يونيو 1897، شرع في بناء أسـطول حـربي ليناهض به تفوق الأسطول البريطاني، ويسمح بذلك لألمانيا بأن تحقق طموحاتها[11]. لكنه أدرك مبكرا أن البحرية الألمانية سـوف تكون مكشوفة لهجوم بريطاني في مراحلها الأولى؛ وقد أشـار إلى ذلك بـ «المنطقة الخطرة». ولكي يمنع حدوث ذلك، أطلق مع بعض السياسـيين الألمان حملة دعائيـة مكثفة تدعي كذبا أن برلين تبني أسـطولا حربيا

لأسـباب دفاعية بحتة - لحماية تجارتها الخارجية المتوسـعة - وعليه فإنها ليسـت لديها النية في أن تنازع الأسطول البريطاني.

وقد كذبت إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات عن مشروعها النووي الناشئ خوفا من أن تجبر واشنطن الدولة اليهودية على إيقاف ذلك المشروع إذا عرفت ما كان يجري في مفاعل ديمونا النووي. وقد كتب هنري كيسنجر في العام 1969 «إن هذا هو أحد البرامج التي ظلت إسرائيل تخدعنا به بإصرار مستمر»[12]. ومثال آخر في السياق نفسـه، عندما وضع الاتحاد السوفييتي صواريخ هجومية في كوبـا في العام 1963، بعد أن أكدوا مرارا وتكـرارا لحكومة الرئيس كنيدي أنهم لن يقومـوا بتلك الخطوة الخطرة. وكان الهدف من ذلك أن يضعوا الرئيس كنيدي أمام الأمر الواقع في لحظة من اختيار خروتشـوف، من دون أن يمنحوه سـببا للتحرك إلا بعد أن تُنصب الصواريخ[13].

ونجـد أيضـا أن بعض الـدول تقلل من شـأن قوتها العسـكرية، أو تحاول أن تخفيها حتى تسـتطيع أن تسـد فرص الدول المنافسـة في التصدي لهـا، إما بتغيير إسـتراتيجيتها، وإما ببناء دفاعات، أو بتسابقها في بناء أسلحة أكثر من النوع نفسه. ففـي الحرب العالميـة الأولى مثلا، اخترعت بريطانيا الدبابة بشـكل سري تماما لكي تكسر حالة الجمود العسـكري على الجبهة الغربية. ولكي تخفي ذلك السـلاح عن الألمان قبل استخدامه ضدهم في ساحة المعركة، أطلقت القيادات البريطانية سلسلة لا حـصر لها من الأكاذيب. فمثلا، أطلقوا شـائعة بأن هذا هـو صهريج لنقل المياه للخطوط الأمامية وليسـت مدمرة حربية أو «سـفينة برية»، وكان هذا هو الاسـم الذي اسـتخدموه كلمة سر بينهم، ومن هنا أخذت الدبابة اسـمها (Tank). وبالغ البريطانيـون في نـشر الدعاية بقولهم إن المصنع الذي يصنـع هذه الصهاريج ليس من اختصاصه صناعة الأسـلحة الحربية. كما حـاول البريطانيون أن يجعلوها تبدو كصهاريـج متوجهة إلى روسـيا، وليس إلى الجبهة الغربية. بـل كتب على كل دبابة عبارة «بعناية إلى بيتروغراد» بحروف روسية وبارتفاع 12 إنش[14].

واعتمدت موسـكو الأسلوب نفسـه في تعاملها مع أسـلحتها البيولوجية خلال الخمس عشرة سـنة الأخيرة مـن الحرب الباردة[15]. فعلى الرغـم من توقيعها على معاهدة حظر الأسـلحة البيولوجية والسـامة، التي دخلت حيـز التنفيذ في مارس

1975، فإن السـوفييت نقضوا تلك الاتفاقية حين بدأوا في تطوير برنامجهم المكثف للأسـلحة البيولوجية والنووية. ولم يحاول السـوفييت أن يخفـوا ذلك البرنامج عن العـالم الخارجي فقط، بل كذبـوا بخصوصه. وقد أصبح ذلك الكذب جليا للعيان في العام 1979، عندما مات نحو مائة شـخص بالقرب من مدينة سفردلوفسك، بعدما أصيبوا بالأنثراكس الذي تسرب مصادفة من منشـأة للأسلحة البيولوجية. وخوفا من أن يتهموا بنقض الاتفاقية، زعموا أن موتهم كان ناتجا من تناولهم لحما مسـموما. وهكذا فإن الهدف من هذا السلوك، كما هي الحال مع الحالات الأخرى التي جرى عرضها، هو التفوق على الدول المنافسة.

نـوع **ثالث** هو عندمـا يخفي زعماء بلد ما نواياهـم العدوانية تجاه دولة ما، للتمويه عـلى نواياها في الهجوم. وربما يكون أفضل مثال على ذلك محاولات هتلر بـين العامين 1933 و1938 إقنـاع الدول الأوروبية بأنه ملتزم بالسـلام، في الوقت الـذي كان مصمـما فيه عـلى الحرب. وقـد صرح في العـام 1934: «إن كان الأمر يتعلـق بألمانيا، فلن تكون هناك حرب أخرى. فألمانيا تدرك جيدا، أكثر من أي دولة أخرى، الأضرار والمآسي التي تسـببها الحرب. وفي اعتقادنا أن مشاكل ألمانيا الحالية لا تحل ولا تحسـم بواسطة الحرب»[16]. وفي خطاب آخر مشهور، في قصر الرياضة (سبورتبالاسـت) ببرلـين، في أثناء الاحتقان الحاد في تلك الأيـام، وقبل التوقيع على اتفاقية ميونخ المشـينة، صرح بجرأة شديدة بأن نواياه في ضم إقليم السوديت إلى ألمانيـا هي «آخر مطلب لي في أوروبا»[17]. وكشـف التاريخ أن كلا التصريحين كان كذبا واضحا وصريحا.

وهناك مثال آخر على هذا النوع، يخص اليابان والاتحاد السوفييتي في آخر سنة مـن الحرب العالمية الثانية. كانت بين البلدين اتفاقية حياد أغلب سـنوات الحرب، ولكـن في يالطا في فبراير 1945، عاهد سـتالين تشرشـل وروزفلـت على أن الجيش الأحمر سـوف يهاجم اليابان في غضون ثلاثة شـهور بعد هزيمة ألمانيا النازية. وقد خالج اليابانيين الشـك بأن ثمة ما يجرى في يالطا، فسـألوا نظراءهم في موسكو عن ذلك، فأكدوا لهم أن «علاقتهم عادية وثابتة ومسـتندة» إلى اتفاقية الحياد[18]. بيد أنه في الثامن من أغسطس من العام 1945 شن السوفييت هجوما على اليابان.

وأحيانا يُجبر القـادة الميالون إلى كتمان تحركاتهم الهجومية ضد دولة ما على

الكذب، عندما تنهال أسـئلة الصحافيين المحليين الملحة بشأن العملية المقبلة. بيد أن المقصـود بهذا النوع من الأكاذيب هو الدولة المسـتهدفة وليس مواطني ذلك الرئيس. على سبيل المثال، خلال حملته الانتخابية الرئاسية سنة 1960 طالب المرشح الديموقراطي جون كنيدي بأن تدعم الولايات المتحدة معارضي الرئيس كاسترو على قلب النظام في كوبا[19]، وكان منافسه، نائب الرئيس ريتشارد نيكسون، يعلم علم اليقين أن أمريكا منغمسة حتى النخاع في هذا المشروع. ولكنه كان يعلم في الوقت نفسه أن الأمر سوف يكون عرضة للكشف إذا أيد رأي جون كنيدي. ولذا وجدناه يهاجـم اقتراح كنيـدي واصفا إياه بأنه «من أخطر التوصيات غير المسـؤولة التي اقترحهـا خلال حملته الانتخابية»، على الرغم من أنه يؤمن في قرارة نفسـه بأنها فكرة جيدة، قد دافع عنها داخل الحكومة. ولقد كان نيكسـون يكذب لكي يخدع كاسترو، وليس الشعب الأمريكي. ولكم كان حينها يود أن يقول الحقيقة .

وقد وجد جودي باول، سـكرتير الرئيس جيمي كارتر للإعلام، نفسـه في موقف مشابه في أبريل 1980، عندما سأله أحد الصحافيين عن مدى صحة نية أمريكا شن عملية عسـكرية على إيران لتحرير الرهائن الأمريكان(*). ومع أن ذلك كان حقيقيا، فإن باول شـعر بأنه لم يكن أمامه خيار سـوى الكذب والإنكار، ويقول إن ذلك غير صحيـح، لأنه لو كان قد فعل العكـس، لعرفت الحكومة الإيرانيـة عملية محاولة الإفراج عن الرهائن[20]، وبالتالي اضطر أن يخدع الصحافي.

النوع الرابع، يمكن للدولة فيه أن تكذب لتتستر على نواياها العدائية تجاه دولة أخرى منافسة، ليس بغرض تسهيل عملية الهجوم، بل لتتحاشى استفزاز تلك الدولة.

(*) في 25 أبريـل 1980، أطلقـت الولايات المتحدة الأمريكية عملية كوماندوز سريـة في إيران من أجل تحرير 52 رهينة أمريكية كانوا محتجزين في السفارة الأمريكية بطهران. وقد أطلق على العملية اسم إيغل كلو (Eagle Claw) أو إيفننـغ لايـت (Evening light) وكذلك رايس بول (Rice Bowl)، بيد أن العملية فشـلت فشـلا ذريعا. ويرى الرئيس جيمي كارتر أن خسـارته في الانتخابات للمرة الثانية كانت بسـبب فشـل تلك العمليـة. وقد واجهت تلك العملية مشكلات عديدة منذ بدايتها، مما أدى إلى إلغائها نهائيا. حيث جرى إرسال 8 طائرات هليكوبتر لمكان التجمع في صحراء طبس، ولكن 5 منها فقط وصلت بحالة جيدة، حيث تعرضت الأولى لمشكلات ميكانيكية، وتعرضت الثانية لعاصفة غبارية عطلتها عن العمل، وتفككت مروحة الثالثة. وقد كان من المتفق عليه أنه إن وصل إلى مكان التجمع أقل من 6 طائرات فإن هذا يعني إلغاء العملية، وعندما اتخذ قرار إلغاء العملية، وفي أثناء المغادرة، تحطمت إحدى الطائرات واصطدمت بآلية أخرى كانت مجهزة بمعدات ووقود وجنود، ما أدى إلى حريق مات بسـببه 8 عسـكريين أمريكيين. فاز بتلك الانتخابات رونالد ريغان الذي دخل في مفاوضات للإفراج عن الرهائن بوساطة الجزائر، بعد قضاء 444 يوما في الحجز داخل السفارة. [المترجم].

وقــد برز هذا المنطق بوضــوح في الأيام الأولى للحرب البــاردة، عندما عقدت دول أوروبا الغربية معاهدتين للدفاع المشــترك، وهما معاهــدة دنكرك في العام 1947، ومعاهدة بروكســل في العام 1948. ويقال إن كلتــا المعاهدتين كانت بمنزلة كوابح لطموح ألمانيا المتعافية. ولكن في حقيقة الأمر، فإن الاتفاقيتين كانتا قد أبرمتا، أساسا، لاحتواء التوســع الســوفييتي في أوروبا. وقد كذب القادة البريطانيون والفرنسيون بخصوص هذه التحالفات لأنهم لا يريدون استفزاز الاتحاد السوفييتي - الذي كانوا يرون فيه تهديدا خطيرا لهم - إن كان بالإمكان تجنبه[21].

النــوع الخامس مــن الكذب بين الدول هــو عندما تحاول الدولــة أن تؤثر في تصرفات ونشــاط دولة أخرى منافســة، وذلك عن طريق التهديــد بالهجوم عليها، حتى إن لم تكن هناك نية حقيقية بشن الحرب. والغرض من هذا التهديد الوهمي هو إخضاع وإجبار العدو على القيام بشيء لم يكن في الأســاس يريد أن يقدم عليه. كان سلوك ألمانيا خلال العامين 1905 و1906، بشأن الأزمة المغربية، مثالا على هذا النوع. كان صُنّاع السياســة الألمانية مُصرين على خلق أزمة مع فرنسا بشأن المغرب تؤدي إلى حل مذكرة التفاهم الموقعة أخيرا بين بريطانيا وفرنسا. فقد هددت ألمانيا بشــن الحرب ســعيا إلى تحقيق هذا الغرض، على الرغم من أنــه، كما كتب المؤرخ نورمان ريتش، «لم يكن التفكير في حل عسكري واردا ولا حظي بأي تأييد جدي من قبل القادة الألمان في أي مرحلة من مراحل الصراع بشأن المغرب»[22].

ومن الممكن أيضا اســتخدام إســتراتيجية التهديد الفارغ تلــك لردع العدو عن الاســتمرار في تحقيق سياســات معينة. فعلى سبيل المثال، شــعرت حكومة الرئيس ريغان في أغسطس من العام 1986 بالقلق من نوايا إرهابية محتملة للزعيم الليبي معمر القذافي. ولمنع تحققها نشر البيت الأبيض تقارير كاذبة بشــأن «ضربة أخرى سوف توجه إلى الرئيس القذافي بقصف أمريكي، وربما بانقلاب عسكري، لإقصائه عن الحكــم»[23]، على الرغم من أن الولايات المتحــدة لم تكن تنوي توجيه ضربة أخرى إلى ليبيا، ولكنها قصــدت أن يأخذ الرئيس القذافي هذا التهديد مأخذ الجد ويتخلى عن نشاطه لدعم الإرهاب.

كما تعتبر سياسة حلف الناتو النووية في أثناء الحرب الباردة مثالا آخر للتهديد الأجوف لوقف سياسات بعينها. فقد كان موقف الحلف الرسمي هو أنه إذا هاجمت

دول حلــف وارســو(*) أوروبا الغربية، وبدأت في التقدم عبر ألمانيا، فســوف يضطر حلف الناتو(**) إلى اســتعمال الســلاح النووي لإجبار الاتحاد الســوفييتي وحلفائه على وقف نشــاطهم العدواني، وإخضاعهم للتراجع إلى مواقعهم الأولى على الحدود الألمانيــة. غير أن هناك شــخصيات مهمة من صُنّاع القــرار في الحكومة الأمريكية، ومنهم هنري كيســنجر، وزير الخارجية الأمريكية الأســبق، وروبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الأســبق، كانــا قد وافقا علنا وأيدا هذه السياســة عندما كانــا في الحكومة، ولكنهــما تراجعا عنها لاحقا عندما أصبحا خارج الحكومــة، وصرحا بوضوح بأنه لم يكن من الممكن اســتعمال الســلاح النووي لحماية غرب أوروبا في حالة أي هجوم واسع من قبل الاتحاد السوفييتي[24]. ويعود سبب عدم رغبتهما في استعمال السلاح النووي إلى أنه من المؤكد أن ترد روسيا الضربة باستعمال سلاحها النووي أيضا، مما يعرض الطرفين لانتحار جماعي متبادل. ومع ذلك، فقد بدا منطقيا بالنسبة إلى صُنّاع قرار الناتو أن يحذروا السوفييت بأن الحلف سيستخدم ترسانته النووية للدفاع عن أوروبــا الغربية، حتى وإن كانوا يعلمون في قرارة أنفســهم أنها فكرة مجنونة، لأن موسكو لا تعلم يقينا أن تلك الأسلحة لن تُستخدم، مما عزز بقوة من عنصر الردع.

النوع الســادس، من المحتمل أن يســعى القادة إلى الكذب لكي يستفزوا دولة أخرى حتى تهاجمهم، أو تهاجم غيرهم. وقد مثل سلوك بسمارك(***) قبيل الحرب

(*) حلف وارسو هو حلف عسكري كان يقوده الاتحاد السوفييتي السابق، ويضم سبع دول في أوروبا الشرقية هي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وهنغاريا وبولندا ورومانيا وألبانيا [انسحبت في العام 1968]. واسمه الرسمي هو «اتفاقية الصداقة والتعاون والمســاعدة المتبادلة»، نشــأ خلال فترة الحرب الباردة كرد فعل على ضم ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو في العام 1955. وفي يوليو 1991، أُعلن انتهاء حلف وارسو، كما حُل الاتحاد السوفييتي أيضا في ديسمبر 1991. [المترجم].

(**) حلف الناتو، واسمه الرسمي «منظمة اتفاقية شمال الأطلسي»، وهو حلف عسكري وُقعت اتفاقيته في أبريل 1949 ومقره بروكســل (بلجيكا)، ويشــمل في عضويته 28 دولة. يتعهد فيه الأعضاء بالدفاع عن أي دولة عضو تتعرض للتهديد. وكاد الناتو يتفكك بعد سقوط جدار برلين وتوحيد ألمانيا وتفكك الاتحاد السوفييتي. ولكن يبدو أن القائمين عليه يحاولون إبقاءه، حيث شارك في عمليات حفظ السلام في البوسنة وأفغانستان. ومن اللافت أن بعض الدول الأعضاء السابقين في حلف وارسو قد انضموا أو أبدوا رغبة في الانضمام إلى حلف الناتو. [المترجم].

(***) أوتوفان بســمارك، ســياسي ومستشار بروســيا وموحد ألمانيا. هيمن على الساحة السياســية الأوروبية من العام 1860 إلى العام 1890. في حقبة ســتينيات القرن التاســع عشر افتعل عددا من الحروب أدت إلى توحيد الإمارات الألمانية. في العام 1862 عينه الملك فيلهلم الأول وزيرا رئاسيا ثم أصبح المستشار ولقب بالمستشار الحديدي، وفي العام 1871 أوجد الإمبراطورية الألمانية وأصبح المستشــار الأقوى، وصار في عهده الملك ويلهلم الأول قيصرا. ولكن القيصر ويلهلم الثاني أزاحه في العام 1890. [المترجم].

البروسية(*) الإسبانية في العام 1870 واحدا من أشهر أنواع الاستفزاز الذي يعطي فيه الحاكم المبرر لدولة أخرى حتى تهاجم دولته[25]. وقد فعلها بإطلاق أكاذيب مصوغة بشكل محكم. كان المستشار البروسي ملتزما بتوحيد ألمانيا، وكان يعلم أن استفزاز فرنسا حتى تعلن الحرب على بروسيا، أو حتى اختلاق أزمة كبيرة لدفع فرنسا إلى حالة فوضى، سيساعد في تحقيق هدفه. ولتحقيق ذلك سعى سعيا حثيثا في ربيع العام 1870 إلى تنصيب أمير من بروسيا على عرش الحكم في إسبانيا، مدركا أن ذلك سيثير غضبا عارما في فرنسا. ومع ذلك، وجدناه ينكر أي دور له في تلك المؤامرة، وكان إنكاره ذاك كذبا.

وقد أطلق بسمارك كذبة أخرى أكبر، وأكثر أهمية، عندما «تلاعب» في رسالة إيمس (Ems Dispatch) الشهيرة من القيصر فيلهلم الأول(**) إلى نابليون الثالث(***). فبعد فشل محاولته تنصيب الأمير البروسي على عرش إسبانيا، طالب الفرنسيون القيصر بأن يتعهد بعدم تكرار ذلك مرة أخرى. بيد أن القيصر رفض ذلك في رده المكتوب، ولكنه ترك الباب مفتوحا لمفاوضات لاحقة. وخشية من أن يؤدي ذلك الوضع إلى حل سلمي للأزمة، تلاعب بسمارك بصياغة مسودة رسالة القيصر، ليبدو الأمر كأن القيصر لم يقل «لا» فقط، بل حتى ليبدو كأنه أغلق الباب نهائيا أمام أي نقاش بشأن الموضوع مستقبلا. وعندما نُشر التلغراف «المعدل»، نتج عنه غضب عارم في كل أرجاء فرنسا. وبعدها بفترة وجيزة أعلن نابليون الثالث، في حماقة ظاهرة، الحرب على بروسيا.

النوع السابع من الأكاذيب هو عندما يؤدي قلق دولة ما من أن حلفاءها لن يأخذوا خطر الدولة المنافسة لها مأخذ الجد، إلى الكذب عبر المبالغة في إمكانيات تلك الدولة الحربية، أو سلوكها العدواني، حتى تثير انتباه حلفائها إلى الخطر. ولقد لجأت حكومة الرئيس بوش إلى هذا النوع من الكذب في العام 2005، عندما شعرت بأن الصين

(*) مملكة بروسيا وُجدت منذ العام 1525 حتى العام 1918، ثم تقاسمتها ست دول من فرنسا إلى روسيا. [المترجم].

(**) فيلهلم الأول تُوج في العام 1861 ملكا على بروسيا، ثم أصبح في العام 1871 أول قيصر ألماني في الرايخ الثاني بعد توحيد ألمانيا على يد بسمارك [المترجم].

(***) نابليون الثالث، هو لويس نابليون بونابارت وريث نابليون الأول. ولد في العام 1808 وتوفي في العام 1873. صار رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية من العام 1848 وحتى العام 1852، وكان أول رئيس لفرنسا يُنتخب بالتصويت المباشر، عندما منعه الدستور والبرلمان من الترشح لفترة ثانية، نظم انقلابا في العام 1851 وأعلن نفسه إمبراطورا بلقب نابليون الثالث في العام 1852. [المترجم].

واليابان وكوريا الجنوبية لم يقدروا جدية الخطورة التي تشكلها كوريا الشمالية[26]. ولكي تستثير انتباههم، بعثت الحكومة الأمريكية بموظفين من مجلس الأمن الوطني إلى آسيا ليدعوا بأن كوريا الشـمالية قد باعت لليبيا مادة اليورانيوم (يورانيوم هيكسافلورايد)، وهو مكوِّن أسـاس لصناعة أسـلحة نووية. بيـد أن ذلك لم يكن صحيحـا. فقد كانت باكسـتان، وليست كوريا الشمالية، هي التي باعت المادة إلى ليبيا. وعلى الرغم من أنه من الممكن أن تكون باكسـتان قد أخذته في الأصل من كوريا الشمالية، فلا يوجد دليل موثق بأن بيونغيانغ أعطته لإسلام آباد، مع علمهم بأنه سيؤول في نهاية الأمر إلى ليبيا. والحقيقة أن الدليل المتوافر يشير إلى أن الصفقتين منفصلتان.

وهناك **نوع ثامن** من أنواع الكذب بين الدول، وهو عندما يحاول الزعماء التضليل لتسهيل عمليات التجسـس أو التخريب في وقت السلم، وكذلك للتخفيف من مغبة السـقوط دوليا في حالة اكتشـاف فعلتهم في التجسس والتخريب. مثلا، كذب عندما كذبت الولايات المتحدة بخصوص طائرتها التجسـسـية «يـو - 2»، التي كان يقودها غاري باورز وأُسقطت في الأراضي السوفييتية في ربيع العام 1960. كان الرئيس الأمريكي آيزنهاور حينها على وشـك التوجه إلى فرنسـا لمقابلة الزعيم السـوفييتي خروتشوف لعقد اتفاقية منع اختبار السلاح النووي، وقد أكد بوضوح أنه لا يريد أن يدخل في أي نقاشات أو تعقيدات بخصوص طائرات «يو - 2» المثيرة للجدل. وبعد إسقاط الطائرة أُعلـم الرئيس بأنهـا مزودة بآلية تحطيم ذاتية، ما يؤكد عـدم نجاة الطائرة وقائدها باورز. لذا، وبعد أن أعلن خروتشـوف إسـقاط الطائرة، صرحت الحكومة الأمريكية بأن الطائرة ليسـت تجسـسـية، بل طائرة أرصاد جوية تابعة لـ «ناسا» ضلت طريقها في الأجـواء السـوفييتية. وعندما عثر الروس على قائد الطائـرة غاري باورز وأظهروه للعلـن، صرحـت الحكومة الأمريكية، مرة ثانية، بأنه مـن المحتمل أن يكون قد فقد وعيه نتيجة لقلة الأوكسـجين وتاه في الأجواء السوفييتية. وأخيرا أجبرت واشنطن على الاعتراف بأن باورز كان في مهمة تجسسية في الأراضي السوفييتية.

ولكـن لم تكـن هذه هي نهاية الكذبـة، فقد اختلقت حكومـة آيزنهاور قصة فحواها أن الرئيس قد وافق على برنامج التجسـس، بيد أنه لم يشـترك شـخصيا في التخطيط لإطلاق الطائرات. غير أن آيزنهاور اعترف لاحقا بالقول «إن كل التعليمات الخاصة بالدخول والتوغل جرى تنفيذها بعلمي وبموافقتي»[27].

وتمثـل فضيحة لافون(*) المشـينة، المتورطة فيها إسرائيـل، مثالا آخر على هذا النــوع من أنواع الكــذب بين الدول. ففي العام 1954 ســعت إسرائيل إلى تخريب علاقة مصر مع بريطانيا والولايات المتحدة، وذلك بزرع شـبكة جاسوسية إسرائيلية داخــل مصر لهدم وتخريب المنشــآت البريطانيــة والأمريكية وجعلهــا تبدو وكأن المصريين هم المســؤولون عن ذلك التخريب. وبعد تفجير مكتبتي مركز المعلومات الأمريكي في الإســكندرية والقاهرة وضرب بعض الأهداف الأخرى في أماكن متعددة، انفــرط عقد الخطة التآمرية، وجرى القبض على المخربين. ولم يكن بالمســتغرب أن يصرح رئيس الوزراء الإسرائيلي موشى شــاريت كذبا بأن «المسألة برمتها هي مكيدة دنيئــة دُبرت في الإســكندرية، وأن محكمة صورية عُقــدت لمحاكمة مجموعة من اليهود الذين سقطوا ضحية لاتهامات كاذبة»[28].

في **النوع التاســع**، تكذب الدول لتحســين وضعها العســكري في أثناء تجهيزها للعمليات العســكرية في زمــن الحرب. ففي الحــرب العالمية الثانيــة، مثلا، أطلق البريطانيــون حملة تضليل واســعة ضد ألمانيا النازية كان الكــذب فيها أمرا عاديا. في هذا الســياق، قال تشرشل كلمته الشــهيرة: «في زمن الحرب يصبح الصدق شيئا ثمينا، لا بد أن يحاط بسياج من الأكاذيب»[29]. ولم يكن البريطانيون استثناء في هذا الشــأن، فقد أكد الرئيــس الأمريكي روزفلت في العام 1942 أنه «على اســتعداد أن يضلل ولا يقول الصدق إذا كان ذلك يســاعده في كســب الحرب»[30]. وفي الحقيقة، فقد انتهج كل المشــاركين في الحرب العالمية الثانية حملات الكذب الإستراتيجية ضد منافسيهم. وتُعتمد هذه الإستراتيجية بالفعل في كل حرب[31].

أمــا **النــوع العاشر** مــن الكذب بــين الدول، فيحــدث حين يلجــأ القادة إلى الكذب للخروج بأفضل النتائج لمصلحة دولهم في أثناء التفاوض بشــأن الاتفاقيات والمعاهدات الرســمية الأخرى. ولربما يكذبون على نظرائهم في التفاوض بخصوص أملاكهم أو قدراتهم، وأكثر من ذلك، ربما يخادعون بشأن السعر التحفظي - الذي فوقه أو تحته لا يمكن أن يتم أي اتفاق. ومن المتوقع أن نجد نماذج كثيرة من هذا النــوع من الكذب في مواقع عديدة، منها حظر الســلاح ومفاوضات وقف الحرب

(*) نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، بنحاس لافون (1904 - 1976)، وعرفت أيضا باسم «عملية سوزانا». [المحررة].

على الصعيد الأمني، والديون العالمية، والتعاملات التجارية في الجانب الاقتصادي. وعلى كل، فإن هذا هو ما يحصل بالضبط عندما يريد الأفراد أن يتفاوضوا على شراء عربة أو منزل. كذلك فإن «النظرية التفاوضية»، التي جذبت انتباه الباحثين في العلاقات الدولية في السنين الأخيرة، تتوقع الكثير من الكذب والخداع في مثل هذه الظروف. «إن قوة التفاوض»، بكلمات توماس شيلينغ الحائز جائزة نوبل في الاقتصاد، «هي القوة في الخداع والتمويه»، والتمويه، بالطبع، هو «تقديم معلومات غير صحيحة»[32].

غير أنني، ولدهشتي الكبيرة، لم أستطع أن أجد إلا عددا قليلا من الرؤساء والديبلوماسيين، يخدعون أو يكذبون بعضهم على بعض في مفاوضات إبرام العهود والاتفاقيات الأخرى[33]. من المحتمل أن تكون هناك حالات كثيرة، لكن إن كانت الحال كذلك، فمن المؤكد أنها قد أُخفيت تماما ولم تعد موجودة في سجلات التاريخ. إذ عندما ينجح الفرد في خداع شخص آخر، يكون من غير المعقول أن يتفاخر بذلك بعد واقعة الخديعة مباشرة[34]، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى مطالبة الطرف المخدوع بإعادة التفاوض بشأن الاتفاق أو امتناعه عن أي اتفاقيات مستقبلية مع الطرف المخادع. ولكن هذا النوع من النقاش ليس منطقيا - كما ذكرت سابقا - لأنه ليس من السهل أن تُخفى الكذبة زمنا طويلا. فمن الصعب أن نصدق أن الخديعة في المفاوضات الدولية أمر وارد ومتكرر عبر الزمن، من دون أن تكشف من هذه الأكاذيب سوى حالات بسيطة[35].

إحدى الحالات التي كُشفت هي ذات علاقة باليونان، عندما حاولت أن تغطي على عجز ميزانيتها حتى يتسنى لها الدخول في منطقة اليورو[36]. فوفق قواعد الاتحاد الأوروبي، يسمح للدولة العضو بأن تستخدم اليورو كعملتها، إذا استطاعت أن تحافظ على ميزان العجز عند أقل من 3 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي. وعندما كان يجري تقييم اليونان في أواخر التسعينيات لاحتمال دخولها إلى منطقة اليورو، كان عجزها قد تجاوز بكثير السقف المطلوب. وللتعامل مع هذه المشكلة كذبت أثينا بشأن أرقامها للسنوات المطلوبة، مدعية أن عجزها أقل من 3 في المائة، في حين أنه لم يكن كذلك. وقد نجحت مغامرتها، واستطاعت أن تستخدم اليورو كعملة لها في العام 2001.

كـما كذبت الولايات المتحدة الأمريكية على حلفائها في أوروبا الغربية (فرنسـا وألمانيا وإيطاليا ودول البنلوكس(*) في بداية الخمسينيات، لكي يصادقوا على اتفاقية الدفاع المشـترك الأوروبية، والتـي وقعوا عليها في مايـو 1952. وقد أيدت حكومة الرئيس آيزنهاور المصادقة بشـدة على أمل أن تساعد هذه الخطوة على التوازن مع الاتحاد السوفييتي، وتمكن أمريكا من سحب معظم قواتها من أوروبا الغربية. وكما وصفها المؤرخ مـارك تراكتنبرغ فإن «النقطة الأساسـية في هذه الاتفاقية هي دمج فرنسـا وألمانيا لتصبحا النواة القوية في هذا الاتحاد لمواجهة روسـيا، وبالتالي يسهل على أمريكا سحب قواتها في القريب العاجل»[37].

لكن الشـك قـد انتاب الـدول الأوروبية الحليفـة بأن دعم أمريكا لمسـألة التصديق على اتفاقية الدفاع المشترك نابع في الأساس من رغبة واشنطن القوية في سحب قواتها من أوروبا، وهو ما لم تكن تريده معظم الدول الأوروبية، وخصوصا فرنسـا. وللتعامل مع تلـك المعضلة، ظلت حكومة الرئيـس آيزنهاور تؤكد مرارا وتكـرارا لحلفائها أن التصديق على الاتفاقية لا يعني سـحب القوات الأمريكية، بينـما لم تكن تلـك التصريحات صادقـة. ولما تسربت الأخبـار إلى الصحافة عن نوايا الأمريكيين، كان وزير الخارجية جون فوسـتر دالاس، كما قال أحد الباحثين، «مسـتعدا لأن يكذب علنا مدعيـا عدم وجود أي خطة معدة لسـحب القوات الأمريكية من أوروبا»[38].

متى تكذب الدول بعضها على بعض؟

هناك أربعة ظروف يكون فيها الكذب محتملا بين الدول، بيد أن ذلك لا يعني أن القادة يكذبون بشـكل متكـرر في مثل هذه الأوضاع. تميـل الدول التي تعيش في مناطـق الصراع الخطـرة، والتي يكون فيهـا التنافس الأمني حـادا، إلى الكذب أكـثر من الدول التي تعيش في مناطق آمنة نسـبيا. وتعود هذه النزعة أساسـا إلى القيمة العاليـة التي تضعها الدولة لبقائها. وبالطبع، فالدول التي تعيش في مناطق النـزاع يتولد لديها شـعور بعدم الأمان والاطمئنان، وأنها دائما معرضة ومكشـوفة

(*) دول البنلوكس هو اتحاد اقتصادي أبرم في العام 1944 يضم 3 ممالك هي بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. والاسم مشتق من الحروف الأولى لكل دولة. [المترجم].

أمام العدو، ولذلك تلجأ إلى كل الطرق والإستراتيجيات المتاحة لتقوية سبل الأمن. باختصار، يكون الكذب سهلا لزعماء يظنون أنهم يعيشون في عالم «هوبزي»(*).

كذلك يكون القادة أكثر قابلية للكذب في الأزمات مقارنة بأوقات الهدوء النسبي. فالدولة التي تسعى دائما إلى تجنب الحرب، تكون دوافعها قوية لنشر الأكاذيب والدعايات إن كان من شأن ذلك أن ينهي الأزمة من دون الدخول في الحرب. من جانب آخر، سيكذب الزعيم الذي يصر على تحويل أزمة إلى حرب بالتأكيد، إن كان يعتقد أن تلك الأكاذيب ستهيئ الظروف لشن الحرب والانتصار فيها. ولا ننكر في هذا المجال أن كلا من الطرفين المتنازعين، يكون في حالة شك وتوجس من تصريحات الطرف الآخر، مما يجعل إطلاق الأكاذيب المقنعة أمرا صعبا، وإن لم يكن مستحيلا.

علاوة على ذلك، نجد أن الكذب يتفشى بين الدول في زمن الحرب أكثر منه في زمن السلم. ففي كتابه الصادر في العام 1928 عن الكذب في الحرب العالمية الأولى، يذكر السياسي البريطاني آرثر بونسونبي أنه «لا بد أن يكون هناك كذب كثير متعمد قد وقع من العام 1914 إلى العام 1918 أكثر من أي وقت آخر في تاريخ العالم»(39). وعلى الرغم من أنه من الصعب عمليا إثبات هذا الادعاء، لأنه من غير الواقعي حساب وجمع كل الأكاذيب الدولية التي قيلت عبر الزمن، فإنه من المؤكد أن هناك كما كبيرا من الكذب في الحرب العالمية، كما أكد بونسونبي وآخرون. وفي الوقت نفسه فإنه من الصعب التفكير في حقبة امتدت خمس سنوات في القرن الماضي قبل العام 1914 شهدت اقتتالا في أوروبا استخدم فيها الكذب بالمستوى الذي شاهدناه في الحرب العالمية الأولى.

وليس من المستغرب أن يلجأ الحكام إلى الكذب عندما يبدأ إطلاق النار فعليا. فالحرب خطيرة، حيث تجد نخب السياسة الخارجية أن وجود بلادهم صار على المحك. لكن، حتى في النزاعات الأقل خطورة - مثل وضع الولايات المتحدة في فيتنام، أو وضع الاتحاد السوفييتي في أفغانستان - فإن القادة عادة ما يعتقدون أن الهزيمة، أيا كانت، تسبب أضرارا بالغة للمصلحة الوطنية. هذا النوع من التفكير يجعل تبرير الكذب مهمة سهلة للقادة. كذلك فإن هناك فرصا كثيرة للكذب

(*) نسبة إلى الفيلسوف توماس هوبز، ويعني السيادة المطلقة للسلطة. [المترجم].

في أثنـــاء الحرب، مادامـــت الحروب تحتوي على عدة اشـــتباكات، على الصعيدين السـياسي والحربي، يكون فيها الحافز على خداع الغير قويا جدا. لذا يصبح الخداع جزءا لا يتجزأ من الحرب.

وأخـيرا، من الأرجح أن يكذب القادة على الدول المنافســة أكثر مما يكذبون على الدول الصديقة. «الصدق للأصدقاء، والكذب للأعداء» كما قال أحد الباحثين منذ سـنوات طويلة[40]. وبالتعريف، فإن المنافـس أكثر خطورة من الصديق، ولا بد من وجـود طرق تجعلك متفوقا على الخصم أكثر مـن تفوقك على الصديق. والكذب أحيانا يؤدي هذا الغرض. ولأن الدول الحليفة عادة تسـاعد حليفاتها في التعامـل مع منافس عنيد، يكون هناك حافز قوي للدول للمحافظة على علاقات جيـدة مع الحلفاء، ولبناء بعض الثقة معهم، فيصبح الكذب سـلعة كاسـدة ولا ضرورة لها. بالطبع قد يؤدي توافر الثقة بين الحلفاء أكثر منها بين الدول المتنافسة إلى تمريـر نوع من الكذب اليسـير البسـيط بينهم مـن دون أن يؤثر في العلاقة القائمة. وتبقى الحقيقة الماثلة أنه حتى في حالة الكذب اليسـير بين الحلفاء فإنه قد يضعف الثقة ويفسد الشراكة إن تم اكتشافه، مما سيؤدي إلى الإضرار بالدولة التي أطلقت الكذبة.

ولا ننكـر أن الـدول تتوصل إلى اقتنـاع أحيانا بضرورة خـداع حلفائها خدمة لمصالحها الإستراتيجية، لأننا لا نجد دولتين متطابقتين في المصالح - بما في ذلك الحلفاء - وفي زمـن الأزمات نجد أن بعض الدول تتخلى عن حليفتها، أو حتى أحيانا تنقلب عليها. فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد. ولنتذكر أن الاتحاد السـوفييتي قد هاجم اليابـان في نهاية الحـرب العالمية الثانية، بعد أن أعطى طوكيـو ضمانا كاذبا بعدم نيته الهجوم. إن غياب التحالفات الدائمة يوضح لنا أسباب قيام النظام العالمي على الفردية المطلقة. وهذا المنطـق المصلحي الذاتي يوضح لنا لماذا كذبت إسرائيل على أمريكا في السـتينيات بخصوص تطوير أسـلحتها النووية. فزعماء إسرائيل قد آمنوا منذ زمن إيمانا قاطعا بأنه من الضروري المحافظة على علاقتهم الجيدة مع الولايات المتحدة. ولكن من الواضح أنهم شـعروا بشكل أقوى بأهمية امتلاك إسرائيل الرادع النووي لتأمين بقائها، حتى لو اضطرها ذلك إلى الكذب على الولايات المتحدة.

4

إثارة الذعر

يُستخدم أسلوب «إثارة الذعر»، عندما يرى قادة الدولة خطرا محدقا بهم، ولا يتمكنون من إقناع الشعب برؤية الذئب الماثل أمام أبوابهم، من دون اللجوء إلى حملات الخديعة. كان وزير الخارجية دين آتشيسون يعاني قلقا شديدا لإحساسه بأن الشعب الأمريكي لا يعير الخطر الآتي من الاتحاد السوفييتي (في أواخر الأربعينيات) اهتماما كافيا، ولذا كان يرى أنه من الضروري أن يحرص القادة الأمريكيون على أن يكونوا «أوضح من الحقيقة»، وإلا فإنهم لن ينجحوا في الحصول على دعم الشعب لتنفيذ الإجراءات التي كان يراها ضرورية للتعامل مع هذا التهديد[1]. ولم يكن الهدف من ذلك هو خداع رجل الشارع البسيط فقط، بل رجال الطبقة المتعلمة المستنيرة، بمن فيهم الخبراء في الشؤون الخارجية الذين ربما يميلون إلى تقليل أهمية التهديد بأساليب خطيرة. ومن الممكن

يتضح لنا جوهر إستراتيجية إثارة الذعر في تصريح شهير لكمال أتاتورك: «من أجل الشعب، رغما عن الشعب»

أيضـا توجيه حملات إثارة الذعـر إلى موظفي الدولة الذين - ربما - يميلون أيضا إلى تلطيف الأمر وتهوين الخطر، على عكس ما يرى قادة الدولة. وعلى الرغم من كون هذا السـلوك منبوذا، فإن القـادة يلجأون إليه لظنهم أنه يخـدم المصلحة العامة، وليس لمكاسـب شخصية. ويتضح لنا جوهر إستراتيجية إثارة الذعر في تصريح شهير لكمال أتاتورك «من أجل الشعب، رغما عن الشعب»[2].

إن القادة الذين يسـتخدمون أسـلوب إثارة الذعر قد يسـتهدفون إثارة حالة خـوف غير موجودة في مخيلة الشـعب، أو - في أغلب الأحـوال - نجدهم يبالغون في تضخيـم أثر تهديد موجود فعلا، ولكنه يخرج عـن الدوائر الحكومية. ويتلخص الهدف النهائي من وراء ذلك في الحصول على دعم شعبي لزيادة الإنفاق العسكري، أو زيـادة التوظيـف في الجيش، أو دعم التجنيد الإجباري. كما يمكن أن يسـتخدم تضخيـم التهديـد للحصول على دعم لشـن حرب على عدو متربـص. وعلى الرغم من أن إثارة الذعر تظهر عادة في زمن السـلم، فإنها يمكن أن تسـتخدم في أثناء سير الحرب، إذا شـعر القادة الرؤسـاء بأن الشـعب قد تراخى في دعمه المعنوي، أو إذا تنصل الجيش من التزامه القتالي.

وقـد أدت إسـتراتيجية إثارة الذعر دورا مهما في السياسـة الخارجية الأمريكية في السـبعين سـنة الماضية؛ فقد لجأت ثلاث حكومات أمريكية إلى اسـتخدام تلك الإستراتيجية لجر الشـعب الأمريكي المتردد إلى الحرب. وكما أشرنا سابقا، فقد كذب الرئيس روزفلت في حادثة السـفينة الحربية الأمريكيـة (Greer)، في أواخر صيف العام 1941، لاسـتثارة الرأي العام الأمريكي ضد الألمان، على أمل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية[3]. كانت السـفينة الحربية تعمل في منطقة شـمال الأطلـسي، وحدث أن التحقت بهـا طائرة حربية بريطانيـة لتتابعا وترصدا غواصة ألمانيـة. فـكان أن ألقت الطائرة قذائـف عميقة، ولكنها اضطـرت إلى الرجوع إلى قواعدها لنضوب الوقود. بيد أن السـفينة «غرير» اسـتمرت في تتبع الغواصة التي لم تتعطـل من ضربات الطائرة البريطانية، فـكان أن ردت الغواصة بدورها بإطلاق توربيـدو على المدمرة الأمريكية التي ردت بدورهـا على الغواصة بقذائف عميقة، ولم تصب أي منهما الأخرى. ثم عادتا إلى الاشـتباك بعد سـاعات قلائل، وأيضا من دون خسائر للطرفين.

وبعد أسـبوع من تلك الحادثة خاطب الرئيس روزفلت الشـعب الأمريكي من خلال الراديو، فأطلق ثلاث كذبات، فذكر بوضوح أن الهجوم على المدمرة الأمريكية حدث من دون اسـتفزاز من جانبها، ولم يتطرق إلى الطائرة البريطانية التي أطلقت النـار أولا، فضلا عن تتبع المدمرة الأمريكيـة قبل رد الغواصة على المدمرة[4]، وذكر أيضـا أن الغواصـة الألمانية هي التي أطلقت النار أولا ومن دون سـابق إنذار، مع سـبق الإصرار على إغراق المدمرة «في المياه الأمريكية الدفاعية»، وانتهى بالقول بأن هذا الفعل هو «قرصنة، أخلاقيا وقانونيا»[5].

كـما أصر روزفلت على أن هويـة المدمرة كانت واضحة بالنسـبة إلى الغواصة الألمانية. بيد أن الحقيقة كانت خلاف ذلك، حيث أبلغ مسـؤولو البحرية الأمريكية روزفلـت - قبـل يومين من الحـادث - بأنه «لا يوجد أي دليل عـلى علم الغواصة بجنسـية المدمرة التي كانوا يطلقـون النار عليها». وأخـيرا صرح روزفلت بأنه «لا ننوي البدء بأي حرب مع هتلر ولا نسـعى إليها الآن». ولكن الحقيقة أنه قد قابل تشرشـل في الشهر السـابق على وقوع هذا الحادث (أغسـطس)، ونقلا عن رئيس الوزراء البريطاني، فقد «أخبره بأنه سوف يشن الحرب على ألمانيا من دون أن يعلنها، وبأنه سـوف يزيد تدريجيا من الأعمال الاستفزازية... وسيعمل كل ما في وسعه لكي يصنع حدثا. كان الرئيـس واضحا بأنه يبحث عن ذريعة تعطيه المبرر لبدء الأعمال العدائيـة». وهكذا، جاءت حادثة المدمرة «غرير» لتعطيه المسـوغ الكافي لتحقيق هدفـه، ولكنها لم تحقـق له رغبته في الدخول في الحرب العالمية الثانية. كان هجوم اليابـان على «بيرل هاربر»، في 7 ديسـمبر من العام 1941، مشـفوعا بإعلان هتلر الحرب على أمريكا، بعد أربع سـنوات من الهجـوم الياباني، هو الذي حقق دخول أمريكا الحرب.

جاء تصرف الرئيس ليندون جونسون ومستشاريه في السياسة الخارجية في أثناء حادثة خليج تونكين، في أوائل أغسطس 1964، مشابها تماما لسلوك الرئيس روزفلت خلال حادثة المدمرة غرير[6]. كانت تداعيات الأحداث في فيتنام الجنوبية تسير من سـيئ إلى أسوأ بالنسـبة إلى الولايات المتحدة. وقد حاول جونسون أن ينقذ الوضع بتصعيـده الحـرب ضد فيتنام الشـمالية، لكنه أدرك - في المقابـل - أن الرأي العام الأمريـكي غير متحمس لخوض حـرب كبيرة في جنوب شرق آسـيا، وأدرك في نهاية

الأمر أنه في حاجة إلى تفويض من الكونغرس ليمنحه الصلاحية لخوض حرب شاملة على فيتنام الشمالية. وبالفعل جاءت الفرصة المواتية للحصول على دعم الكونغرس لخطوات جونسون التصعيدية في 4 أغسطس 1964، عندما وصلت معلومات إلى واشنطن، بأن سفن مراقبة تابعة لفيتنام الشمالية قد هاجمت المدمرة الأمريكية مادوكس (Maddox) في خليج تونكين ولم يضع الرئيس وقته، حيث استطاع في 7 أغسطس تمرير قرار خليج تونكين من خلال الكونغرس. وقد منح ذلك القرار الرئيس جونسون تفويضا مطلقا لشن الحرب على فيتنام الشمالية.

وفي حقيقة الأمر فإن حكومة الرئيس جونسون اختلقت كذبتين عما حدث في مياه شواطئ فيتنام الشمالية، كانت الكذبة الأولى هي إصرار الرئيس ومساعديه وتعمدهم إعطاء انطباع بأن هجوما فعليا قد حدث في 4 أغسطس، ولا مجال للشك فيه، فعلى سبيل المثال، رد الرئيس جونسون على احتجاج الزعيم السوفييتي خروتشوف بأن لديه «دليلا كاملا وغير قابل للنقض» بأن الفيتناميين الشماليين كانوا قد هاجموا «مادوكس»[7]، وفي السياق ذاته، أكد روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع، للسيناتور بورك هيكنلوبر في 4 أغسطس أن «الدليل على الهجوم دليل قاطع تماما»[8]. وقد أقر مقترح مشروع القرار الذي أرسلته الحكومة الأمريكية إلى الكونغرس في الخامس من أغسطس في سرية، بأن الفيتناميين الشماليين «هاجموا القطع البحرية للولايات المتحدة بشكل متعمد ومتكرر»[9].

بيد أن الحقيقة هي أنه وبعد ساعات من الإعلان عن الهجوم المزعوم، تساءل قائد المدمرة مادوكس في تقريره عما إذا كان هناك هجوم قد وقع بالفعل[10]؛ ففي 4 أغسطس، وفقا للمؤرخ فريدريك لوغفول، ضغط الرئيس جونسون بشدة على ماكنمارا «ليتحرى بدقة عن الحادثة»، وقد فعل ذلك لأنه يعلم أن هناك شكوكا فيما إذا كان ذلك الهجوم قد حدث فعلا[11]. وفي صبيحة اليوم التالي أبلغ ماكجورج بندي، مستشار الأمن القومي، موظفيه بأن «الدليل الذي بين يديه اليوم أضعف مما كان عليه في الأمس»[12]. وفي اليوم التالي أيضا (6 أغسطس) أبلغ والت روستاو، نائب بندي، المجتمعين في وزارة الخارجية «بأنه من غير المحتمل أن يكون هناك هجوم قد حدث في الرابع من أغسطس»[13]. وعندما علم بندي بما قاله نائبه روستاو، قال إنه عليه أن «يغلق فمه»[14]. وباختصار، فقد كان كذبا القول بأن الولايات المتحدة

لم يكــن لها أي شــكوك عما إذا كان هنالك هجوم قــد وقع بالفعل على مادوكس في الرابع من أغسطس.

أما الكذبة الثانية، فتتعلق بادعاء حكومة الرئيس جونســون بأن مادوكس كانت مجرد «دورية استكشــافية» روتينية في خليج تونكن، وأن الهجوم المزعوم عليها كان «متعمدا ومن دون اســتثارة»[15]. في حقيقة الأمر فــإن مادوكس كانت موجودة في تلك المياه في مهمة تجسســية، لجمع معلومات لمصلحة قوات فيتنام الجنوبية التي كانت تهاجم ســاحل فيتنام الشــمالية في تلك الأيام، وليس من المستغرب أن يدرك معظم صانعي القرار في السياسة الأمريكية أن هانوي ستتعامل مع المدمرة الأمريكية عــلى أنها جزء من تلك الهجــمات[16]. على الرغم من أن الدليــل لم يكن قويا، فإنه يمكن القول باحتمال أن أمريكا كانت تسعى إلى استفزاز فيتنام الشمالية لكي تهاجم مادوكس[17]، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان روبرت ماكنمارا يكذب حتما عندما أبلغ الكونغرس في 4 أغســطس أن «أسطولنا البحري لم يكن جزءا من الهجمات، ولم تكن له علاقة بفيتنام الجنوبية، ولم يكن على علم بأي تحركات فيتنامية جنوبية، إن كانت هناك أي تحركات أصلا... أقولها بكل وضوح، هذه هي الحقيقة»[18].

وقبل هجومها على العراق في 19 مارس 2003، انغمســت حكومة الرئيس بوش في إثارة الذعر. ليس هناك أدنى شــك في أن الرئيس بوش ومستشاريه الرئيسين كانوا مقتنعين تماما بأن صدام حسين يشكل خطرا، وأنه لا بد من إزاحته عن الحكم عاجلا قبل آجل. وفي الوقت نفســه، كانوا يدركون أن عامة الشعب الأمريكي غير متحمس لغزو العراق. وعلاوة على ذلك لم يكن الجيش الأمريكي نفســه، والمخابرات، ووزارة الخارجيــة والكونغرس ميالين إلى الحرب. وللتغلب على حالة الممانعة لغزو العراق، لجأت حكومة الرئيس بوش إلى حملات الكذب والتضخيم والمبالغة في الخطر الذي يشكله صدام، واشتملت تلك الحملات على التلفيق والكتمان والكذب الصريح على الشعب الأمريكي. وسوف أتناول أربع أكاذيب أساسية:

الكذبة الأولى أطلت برأســها في 27 سبتمبر 2002، حين قال وزير الدفاع دونالد رمســفيلد، إنــه يملك دليلا «لا يخرقه الرصاص» بأن صــدام قد عقد حلفا وثيقا مع أسامة بن لادن[19]، ولكنه في حقيقة الأمر، لم يكن يملك أي دليل، وقد اعترف بذلك في 4 أكتوبــر 2004، في أثناء حديثه لمجلس العلاقات الخارجية بقوله: «وفق معلوماتي،

فإنني لم أطلع على أي دليل فعلي وقوي يربط بين الاثنين»[20]. وفي السياق ذاته، أقرَّ وزير الخارجية كولن باول الذي كان قد زعم قبل الحرب بأن أسامة بن لادن في «تحالف مع العراق»، وأن هناك «علاقة مشبوهة بين العراق والشبكة الإرهابية لتنظيم القاعدة»، واعترف في يناير 2004 بأنه: «لم أجد دليلا قاطعا على العلاقة بينهما، ولكن يظل وجود العلاقة احتمالا قائما، ولذا كان من الحكمة والحيطة أن نأخذ الأمر مأخذ الجد كما فعلنا في ذلك الوقت»[21].

كان لدى حكومة الرئيس بوش دليل قاطع قبل الحرب بأن أسامة بن لادن وصدام لم يعملا معا. فكما ذكرنا آنفا، هناك شخصيتان مهمتان في تنظيم القاعدة أُلقي القبض عليهما بعد الحادي عشر من سبتمبر، واستُجوبا على انفراد، ذكرا أنه لا علاقة بين الاثنين. وعلاوة على ذلك، لم تستطع المخابرات المركزية ولا مخابرات الدفاع أن تجدا دليلا قاطعا ومنطقيا على تلك العلاقة قبل غزو الولايات المتحدة العراق[22]. كما لم تستطع اللجنة الخاصة بالتحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن تكشف النقاب عن التآمر والتحالف بين القيادتين[23].

الكذبة الثانية ظهرت حين زعم مهندسو الحرب على العراق بأن الولايات المتحدة تملك الدليل القاطع، وعن يقين، على أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل، في حين أن ذلك لم يكن صحيحا. وبالطبع كانت هناك مبررات منطقية للشك في احتمالية امتلاك صدام أسلحة كيماوية وبيولوجية، ولكنه لم يكن هناك دليل مباشر على ذلك. في الواقع، عندما التقى رمسفيلد والجنرال تومي فرانكس بالرئيس بوش ليعطياه تقريرا عن الوضع في 6 سبتمبر 2002، قال فرانكس: «السيد الرئيس، لقد بحثنا عن صواريخ سكود، وأسلحة أخرى من أسلحة الدمار الشامل لعشر سنوات ولكننا لم نجد شيئا حتى الآن. لذا فلا أستطيع إبلاغك بأنني أعلم عن وجود أي أسلحة بالتحديد في أي مكان. فلم أرَ أي سكود»[24]. كما لم تستطع هيئات المخابرات أيضا، أن تجد الدليل على أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل[25]. وأكثر من ذلك، لم يعثر مفتشو منظمة الأمم المتحدة على أي دليل بين نوفمبر 2002 ومارس 2003، على الرغم من الحرية المطلقة الممنوحة لهم لتفتيش أي بقعة داخل العراق. وطبعا، لو كانت الحكومة الأمريكية تعلم مكان تلك الأسلحة، لكانت قد أبلغت المفتشين الدوليين بذلك.

وعلى الرغم من غياب الدليل الدامغ، فإن نائب الرئيس ديك تشـيني قد أكد في اجتماع للمحاربين القدامى، في أواخر أغسطس 2002، أنه «لا شك في أن صدام يمتلك الآن أسلحة الدمار الشامل. ليس هناك شك في أنه يجهزها ليستخدمها ضد أصدقائنا، وضد حلفائنا، وضدنا»[26]. وبعد شـهر من هـذا التصريح أدلى وزير الخارجية كولن باول بالتصريح نفسـه: «لا شـك في أن صدام يملك مخزونا من أسلحة كيماوية»[27]. وفي الخامـس مـن فبراير 2003 صرح باول للأمم المتحـدة: «من الواضح أنه لم يعد هناك شـك في أن صدام يمتلك أسـلحة بيولوجية، كما يمتلك القدرة على إنتاج مزيد ومزيد منها»[28]. وفي الاتجاه نفسه، فقد صرح الرئيس بوش، في 17 مارس 2003، بأن «المعلومات التي جُمعت من حكومتنا وحكومات أخرى، لا تدع مجالا للشـك في أن النظام العراقي مسـتمر في تملك وإخفاء أخطر ما عرف العالم من أسـلحة»[29]. وفي الشهر نفسه، ذهب رمسفيلد إلى ما هو أبعد من ذلك، حين أعلن أن الولايات المتحدة تعلم أن صدام حسين يملك أسلحة الدمار الشامل «وتعلم مكان هذه الأسلحة»[30].

إن مثالا آخر لهذا النوع من الخداع هو ادعاء نائب الرئيس تشيني، في 8 سبتمبر 2002: «نحن نعلم، بأعلى درجات اليقين المطلق، بأنه [أي صدام] يسـتخدم قدرات الشراء المتاحة لديه للحصول على الأجهزة التي يريدها لتخصيب اليورانيوم لبناء سلاح نووي»[31]، وقد كانت الأجهزة التي أشـار إليها ديك تشـيني هي أنابيب الألمونيوم التي اسـتوردها من الخارج. ولكن، اتضح لاحقا أن هناك خلافا حادا داخل منظومة المخابرات بشـأن الغرض النهائي من تلك الأنابيب؛ فقد أشـار بعض المحللين إلى أن هذه الأنابيب صممت لتكون قوة نافذة تسـاعد على صناعة السـلاح النووي، وقال البعض الآخر، ومنهم خبراء في وزارة الطاقة - وهي الهيئة التي تمتلك أفضل الخبرات الفنية حـول الموضوع - عن حق، إن هذه الأنابيب قـد صُممت لصناعة الصواريخ الحربية[32]، وبصورة عامة، فقد كانت هناك شكوك جدية داخل أجهزة الاستخبارات عـما إذا كان صدام قد أعاد تأهيل برنامجه للأسـلحة النووية[33]، وباختصار، فإنه لا يمكن لنا أن نزعم أن العراق كان يحاول شراء هذه الأنابيب لتخصيب اليورانيوم.

الكذبـة الثالثـة: أطلقت حكومة الرئيـس بوش عدة تصريحـات قبل الحرب لترسيخ الإيحاء بأن صدام كان مسؤولا جزئيا عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، من دون التصريح الواضح بارتباطه بتلك الأحداث. كان الهدف من ذلك أن يحملوا

الشـعب الأمريكي على اسـتنتاج صورة غـير صحيحة من دون الإفصـاح عن ذلك الاسـتنتاج. وبالتالي فليس من قبيل المصادفة أن نجد نحو نصف الشـعب الأمريكي يؤمن بأن الديكتاتور صدام حسـين قد ساعد في تدمير سوق التجارة العالمي عندما بدأت الحرب في نصف مارس 2003[34]. غير أنه لم يكن هناك أي دليل على تورطه في هجمات الحادي عشر من سـبتمبر، كما ذكر الرئيس بوش ونائبه تشيني ومستشارة الأمـن الوطني كونداليزا رايس والوزير رمسـفيلد، ونائب وزير الدفاع بول ولفوتز، وقد اعترفوا جميعهم بعدم وجود ذلك الدليل عندما سئلوا مباشرة عن الموضوع[35].

ومـع العلم بعـدم وجود دليل، فـإن الحكومة الأمريكية ذهبـت إلى آخر حد في سـبيل تثبيت ذلك الارتباط في عقول الشعب الأمريكي. فعلى سبيل المثال، عندما طلب السيناتور مارك ديتون (ديموقراطي - مينيسوتا) من رمسفيلد، في 19 سبتمبر 2002، أن يوضح «الأسباب القاهرة التي جعلت أمريكا تشن حربها السريعة» على العراق في حين أنها لم تكن مجبرة على ذلك في البداية. أجاب الوزير: «ما الذي اختلف؟ الذي تغير هو أن هناك ثلاثة آلاف شخص قد قُتلوا... أما الجديد فهو العلاقة بين شبكات الإرهاب مثل تنظيم القاعدة ودولة إرهابية مثل العراق»[36]، وفي رسـالته للكونغرس في 18 سـبتمبر 2003، التـي حدد فيها الأبعاد والمبررات لغـزو العراق، كتب الرئيس بوش أن الولايات المتحدة كانت تعمل ضمن أطرها القانونية «لاتخاذ الإجراءات الضرورية ضد الإرهابيين العالميـين، والمنظمات الإرهابيـة، بما فيها تلك الدول، والمنظمات، أو الأشـخاص الذين خططوا، ودبروا، ونفذوا، وأمروا وساعدوا، الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001»[37].

وحتى بعد سقوط بغداد، في أبريل 2003، ظل بوش وقادته يشيرون إلى الارتباط المباشر بين العراق وما حدث في 11 سـبتمبر. فمثلا، عندما تحدث الرئيس بوش من على متن حاملة الطائرات يو أس أس إبراهام لينكون، في الأول من مايو 2003، قال: «إن معركة العـراق هي أحد الانتصارات ضمن الحرب على الإرهاب التي بدأت في 11 سبتمبر 2001 ومازالت مستمرة حتى الآن»[*]. واستمر ليقول «إن تحرير العراق

(*) هنـاك إضافة لحديث بوش من على المدمرة لنكـون، حيث تحدث خلف قطعة كبيرة مكتوب عليها «تم إنجاز المهمة»، وبالطبع لم تكن المهمة قد أنجزت بعد، بل زادت تكاليف وخسـائر الجيش الأمريكي بعد ذلك. وحين طُلِب من بوش تفسـير لذلك قال إن قبطان المدمرة هو من وضع ذلك الإعلان. فما كان من القبطان إلا أن أرسـل تصريحا بأن ذلك غير صحيح، وأن إعلان «تم إنجاز المهنة» جاء به الرئيس بوش وطاقمه، وأنه لم يكن لديه علم به. وأن «كل الترتيبات الإعلامية قام بها بوش وطاقمه»، فاضطر بوش إلى الاعتراف بذلك لاحقا. [المترجم].

هـو خطوة متقدمـة في حملتنا ضد الإرهاب. وها نحن قـد أزلنا واحدا من حلفاء القاعدة... وقطعنا أحد مصادر تمويل الإرهاب... نحن لم ننس ضحايا 11 سبتمبر، ولا المكالمات الهاتفية الأخيرة، ولا قتل الأطفال بدم بارد، ولا البحث في الأنقاض. فبتلك الهجـمات، أعلن الإرهابيون ومؤيدوهم الحرب على الولايات المتحدة، والحرب هي ما سيحصلون عليه»[38].

كما قال نائب الرئيس ديك تشيني، الذي مارس دورا بارزا في نشر هذه الأكاذيب، في 14 سـبتمبر 2003، إنه إذا انتصرت الولايات المتحدة في العراق «نكون قد وجهنا ضربـة قاصمة في قلب الإرهاب في قاعدة الإرهابيين الجغرافية التي كانوا ينطلقون منها ويهددوننا لعدة سـنوات، وعلى الأخص الهجوم علينا أخيرا في 11 سبتمبر»[39]. وللمـرة الثانية، ليس هناك أي دليل على تعاون صدام مع بن لادن، دع عنك الزعم بمسـاعدة الديكتاتور العراقي لتنظيم القاعدة بأي شكل في هجوم 11 سبتمبر. ومع ذلك ظلت حكومة الرئيس بوش تنشر القصة المزيفة لكسب الدعم والسند للحرب ضد العراق، الذي بدا في وضع متدهور في أواخر صيف 2003[40].

الكذبة الرابعة: في السـنة السـابقة على الحرب، ظل الرئيس بوش ومستشاروه يـرددون أنهم يأملون أن يجدوا حلا سـلميا لأزمة العراق، وأن الحرب في ذاتها هي الخيار الأخير، فعلى سبيل المثال، أبلغ بوش رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو بيرلسكوني، في 30 ينايـر 2003، أنـه لم يقرر بعد اسـتعمال القوة ضد العـراق. ثم تحدث إلى الشـعب الأمريكي، وبيرلسكوني إلى جانبه، بأنه مازالت هناك فرصة مفتوحة لتفادى الحرب، بيد أن المهلة أصبحت قصيرة جدا[41]. وفي الأسـبوع التالي، في ميونخ، صرح رمسفيلد علنا بأننا «مازلنا نأمل ألا تكون هناك حاجة إلى استخدام القوة لنزع سلاح صدام حسين. ولكي أكون واضحا: لا أحد يريد الحرب»[42].

وفي حقيقـة الأمـر، فقد كانت حكومة الرئيس بـوش مصممة على الحرب منذ صيـف 2002، إن لم يكـن قبل ذلك، لم يكن الذهاب إلى الأمم المتحدة في سـبتمبر 2002 سوى تغطية ديبلوماسية، وليس لتجنب الحرب، فمثلا نرى أن ريتشارد هاس، رئيس تخطيط السياسـات في وزارة الخارجية، يقول إنه كان يعلم أن الحرب واقعة لا محالة بعد لقائه مع كونداليزا رايس في أول يوليو 2002. فحين سـأل مستشـارة الأمـن الوطني عن «جدوى التركيز على العراق في هذه المرحلة، بالنظر إلى الإرهاب

وقضايـا أخرى، أخبرته بألا يقحم نفســه في هذه الأمور لأن قــرار الحرب قد صدر وانتهى الأمر»[43].

وتقريبا في الوقت نفسه، استنتج صانعو القرار السياسي في بريطانيا أن واشنطن قد حسمت أمرها وعزمت على الحرب ضد العراق. وقد وردت خلاصة أفكارهم في ملخص اجتماع لهم برئاسة رئيس الوزراء تونى بلير في 23 يوليو 2002، حيث جاء في محضر ذلك الاجتماع التالي:

«أفــاد [رئيــس المخابرات السريــة في بريطانيا] بمحادثاته في آخــر زيارة له إلى واشــنطن بأن هناك تغييرا كاملا في التوجه. إن التحرك العسكري قد أصبح وشيكا لا محالة. يريد بوش إزاحة صدام بعمل عسكري، مبررا ذلك بارتباطه بالإرهاب وامتلاكه أســلحة الدمار الشامل». واســتمر المحضر ليقول إن «وزير الخارجية البريطاني قال إنه ســوف يناقش هذا الأمر مع كولن باول هذا الأســبوع. وبدا واضحا أن بوش قد عزم على الخيار العسكري، على الرغم من عدم تحديد زمن لذلك»[44]. وأخيرا التقى بوش بكولن باول في 13 يناير 2003، وأخبره بأنه قد قرر شن الحرب على العراق[45]. عقد ذلك الاجتماع قبل كلمة بوش للشعب الأمريكي بمعية بيرلسكوني بأسابيع قليلة، والتي صرح فيها بأن تفادي الحرب مازال أمرا محتملا، وكذلك قبل تصريح رمسفيلد في ألمانيا في الوقت نفسه بأن «الحرب مازال من الممكن تفاديها»[46].

لماذا يلجأ القادة إلى إثارة الذعر؟

يلجأ القادة إلى اســتعمال ســلاح إثارة الذعر عندما يشــعرون بأن هناك خطرا مبــاشرا يهدد الأمــن الوطني، لا يراه الشــعب، ولا يمكنه تقديــره بالطرق المباشرة والصادقــة[47]. ويظن القادة أن الطريقة الوحيدة لتحريك الشــعب لفعل الصواب هو خداعهم من أجل مصلحتهم. فأسلوب إثارة الذعر، وهو سلوك يفرض من الأعلى إلى الأدنى، هو ســلوك غــير ديموقراطي في حقيقته، ومع ذلك يمارســه القادة لأنهم يعتقدون أنه يحقق مصلحة وطنية، وليس مصلحة شخصية.

وهناك أســباب كثيرة تجعل المواطنين العاديين لا يدركون المخاطر التي تواجه البلاد. فربما لا تكون لديهم معرفة كافية بالشؤون الدولية للتبصر بالأخطار المحدقة بدولهــم، وإن قدم لهم قادتهم أدلة واضحة عليهــا. علاوة على ذلك، قد لا يملكون

الـذكاء المطلوب للتعرف على الخطر. ومن الممكن أيضا أن يجبنوا أمام التهديدات. باختصـار، فإن العامـة قد يكونون عرضة لبعض الجهل والغبـاء والجبن. وفق هذا المنطق، عندما يحدث ذلك، فعلى النخبة أن تشـعل حـماس مواطنيها لكي ينهضوا للتصدي للتحدي الماثل أمامهم.

ومـن الأمثلة الجيدة لهذا النوع من التفكير، تصرف حكومة الرئيس ترومان[*]، عندما حاولت إقناع الشعب الأمريكي بدعم زيادة الإنفاق العسكري في صيف العام 1950[48]. فكان الرئيس وكبار مستشاريه في شؤون السياسة الخارجية يعتقدون أن السـواد الأعظم من الشعب ربما لن يوافق على هذه الزيادة الضخمة. وعليه لا بد من صناعة «حملة ذعر سيكولوجية». وبالطبع، فعندما يأخذ صانعو القرار السياسي الشـعب على هذا الطريق، لا بد من أن يواجهوا أحيانا مواقف صعبة تضطرهم إلى الكذب لبث الخوف في الجمهور ليضمنوا مساندة الشعب لسياسة الحكومة.

يصبح الأمر أكثر صعوبة عندما لا تتجاوب النخبة المتعلمة مع ما يبدو أنه خطر يهـدد البلاد في ظرف ما. فلربما ينظر إلى هؤلاء من المعارضين، ذوي الدراية والخبرة، على أنهم تنقصهم الرؤية الحصيفة للسياسـة الدولية، أو أن تفكيرهم يشـوبه نوع مـن الضبابية، أو ينقصهم النضج، ولذا يكون مـن الضروري تضخيم حجم التهديد لشـد عزيمتهم. وقد تكون قراءتهم لما هو متوافـر عن التهديد الذي يواجه بلدهم من الأدلة قراءة غير صحيحة، مما يجعلهم يرسـمون صورة متفائلة عنه. فإذا فشل القادة في حل هذه المشـكلة عن طريق تزويد هؤلاء المنشقين بمعلومات أكثر دقة، فلا مفر عندئذ من اللجوء الى سلاح إثارة الذعر.

بيد أن أسلوب الخداع قد لا ينجح مع هؤلاء المتعلمين المتمردين، لأنهم بطبيعة الحال يدركون ما يجري حولهم، فمن الصعب أن تنطلي عليهم الكذبة. والحل الآخر البديـل الذى ربما يكون أكثر فاعلية هو أن تسـتعمل سـلاح إثـارة الذعر لتحريك

(*) الرئيـس هاري إس ترومان هو الرئيس الأمريكي الرقم 32، تولى الرئاسـة من 1945 إلى 1953، كان نائبا للرئيس فرانك روزفلت لفترة قصيرة قبل أن يخلفه بعد وفاته في العام 1945. كان رئيسا في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية وبالتالي وقعت عليه مسـؤولية اتخاذ قرار إلقاء القنبلة الذرية على هيروشـيما وناغازاكي. انتخب في العام 1948 مع تصاعد الاحتقان مع الاتحاد السـوفييتي وبداية الحرب الباردة. شـهدت فترة رئاسة ترومان خروج أمريكا من عزلتها السياسية الخارجية. حيث أسهمت بشكل مباشر في تأسيس الأمم المتحدة ودشن مبدأ ترومان في محاربة الشيوعية، وخصص 13 مليار دولار كخطة مارشال لإعادة بناء أوروبا ما بعد الحرب. [المترجم].

الجمهور الأوسع، واستعدائه تجاههم. وأخيرا، سوف يجد هؤلاء المتمردون أنفسهم في عزلـة عـن الآخرين، وفي وضع مشـبوه مما قد يؤثر في مسـتقبلهم المهني الذى قـد يصبح مهددا فيضطـرون إلى التخفيف من انتقاداتهـم، أو يهادنون أو يلزمون الصمت، أو ربما حتى يضطروا إلى أن يغيروا أقوالهم، ويسـاندوا سياسات الحكومة. فعلى سـبيل المثال، أقر ليزلي غيلب، الرئيس السـابق لمجلـس العلاقات الخارجية بصراحـة فائقـة أن هذه السياسـة جعلته يغير رأيه ويؤيد الحـرب على العراق في 2003: «كان تأييدي للحرب في البداية نابعا من اتجاهات مؤسفة في وسط العاملين بالسياسة الخارجية، منها الحفاظ على وضعك الوظيفي، والحوافز التي تنهال عليك من جراء تأييد الحرب، والحفاظ أيضا على وضعك السياسي والمصداقية المهنية»[49].

هناك تفسـير آخر للجوء القادة إلى اسـتعمال سـلاح إثارة الذعـر، لكنه أقل ازدراء واحتقارا للجمهور. فمن المحتمل أن يكون النظام السياسي للدولة متهالكا إلى درجة أنه غير قادر على الاستجابة السريعة لمجابهة خطر داهم في الوقت المناسب. وقد كانت الحكومة الأمريكية الناشـئة تحت مواد الكونفدرالية خير مثال للوصف السـابق. بل قد يقول البعض إن النظام الرقابي الذي أنشـئ في ظل الدسـتور غير مهيـأ للتعرف والتعامل مع التهديـدات الخارجية في وقت سريع وكاف[50]. وبالتالي سـتكون لدى القادة حوافز قوية لاستخدام سـلاح إثارة الذعر عندما تتصلب آلية عمل الحكومة لتحريك الشعب لمواجهة الخطر المحدق بهم.

من السـهل نسبيا أن يكذب صناع السياسـة على جماهيرهم. فابتداء، يسيطر صناع القرار السـياسي على أجهزة مخابـرات الدولة، التي تمكنهم من الحصول على معلومات لا يستطيع العامة معرفتها أو الوصول إليها على المدى القصير على الأقل. وهكذا يصبح في مقدور صناع القرار أن يتلاعبوا بتدفق تلك المعلومات للناس بطرق مختلفة، وسـنجد أن معظم الناس يميلون إلى تصديق ما يقوله لهم حكامهم، إلا إن وجـدت دلائل قوية بأنهم يتعرضون للخداع. كذلك يسـتطيع الرئيس أن يسـتغل منبره الخطابي ليتلاعب بمسـارات السياسـة الخارجية بوسـائل مختلفة، بما في ذلك الكذب على الجمهور. وللرؤساء الأمريكيين صلاحيات ونفوذ واسع بهذا الشأن.

يعتبر الكذب على الجمهور أمرا سهلا نسبيا لسبب آخر. فكما أشرنا، من الصعب على رؤسـاء الدول أن يكذب بعضهم على بعض في القضايا المهمة، لأنه لا توجد ثقة

بين الدول. وعادة ما ترغم الفوضى الدول على أن تكون حذرة وواعية في تعاملها مع الغير، وبالذات إذا كان الموضوع متعلقا بالأمن القومي. بيد أنها ليست هي الحالة داخل معظم الدول، حيث نجد معظم الناس، ومن بينهم النخبة المتعلمة، أكثر ميلا إلى الثقة بحكومتهم، والتي يفترض أن أهم وظيفة لها هي حمايتهم. وقد علق روبرت ماكنمارا في إحدى المرات: «أنا لا أتخيل أحدا لديه أبسط معرفة بمجتمعنا، أو نظام حكمنا، يشك في وجود مؤامرة» لاستفزاز حرب ما[51]. وبالتأكيد فإن عددا كبيرا من الأمريكيين يؤيدون ما ذهب إليه ماكنمارا، كونهم يتوقعون من رؤسائهم أن يكونوا صادقين معهم. وهذه الثقة، بالطبع، هي التي تجعل خداع الشعب أمرا سهلا، ولذلك فإن ما تحدث عنه ماكنمارا ليس واردا وممكنا فقط، بل إن لدينا أدلة عليه.

ولربما يظن البعض أن إشاعة الذعر سلوك غير مجد، لأن المخادع سوف يكشف لاحقا، ويلقى جزاءه من قبل جمهوره. ومن الممكن أيضا أن يفقد مصداقيته من قبل مواطنيه، أو ربما يخسر الانتخابات إذا عاد وترشح للمنصب مرة أخرى. ومن الواضح هنا أن هذه الاحتمالات لا تمثل رادعا، لسبب بسيط، وهو أن الحكام الذين يكذبون يظنون أنهم يستطيعون أن يفلتوا من المساءلة. فمن غير المؤكد أن تلك الأكاذيب سيتم اكتشافها في زمن قصير. لقد مضى أكثر من ثلاثين سنة لكي يُكشَف النقاب عن كذبة الرئيس جون كنيدي على الشعب الأمريكي بشأن كيفية معالجته أزمة الصواريخ الكوبية. وكما سنناقش في الفصل التالي، فإن الرئيس كنيدي كان قد عقد اتفاقا سريا مع الاتحاد السوفييتي بأن تزيل الولايات المتحدة صواريخ جوبيتر من تركيا مقابل سحب السوفييت صواريخهم من كوبا. وقد أنكر الرئيس كنيدي ومستشاروه إبرام هذا الاتفاق خلال الأزمة وبعد حلها.

علاوة على ذلك، يعتقد الكاذبون أنهم حتى لو ضبطوا متلبسين بصنيعتهم، فإنهم يستطيعون الاعتماد على محامين متميزين وأصدقاء في مواقع النفوذ، لكي يساعدوهم على ترتيب دفاع ذكي يجنبهم التعرض للعقوبة. أخيرا، وهذا هو الأكثر أهمية، فإن الرؤساء الذين يستغلون سلاح إثارة الذعر مقتنعون تماما بأن تقييمهم لحالة الخطر صحيح، حتى لو كذبوا في جوانب بسيطة تتعلق ببعض الجزئيات. هم يعتقدون يقينا أنهم على حق، وأن ما فعلوه إنما يصب في مصلحة البلد. وعليه فلن تكون لتلك الأكاذيب قيمة تذكر إذا كشفت على المدى البعيد، خصوصا إذا نجحوا

في تسليط الضوء على التهديد الذي يواجه البلاد وتعاملوا معه بصورة فعالة. أي أن الغاية هنا تبرر الوسيلة.

ويتجلى هذا النمط من التفكير في حملة الخداع والكذب التي قامت بها حكومة بوش قبيل قيام الحرب على العراق. ولعلها كانت في غاية النجاح لو كان انتصار الولايات المتحدة انتصارا كاسحا كما كان في العام 1991. ويوضح تعليق ريتشارد كوهين، الكاتب في جريدة «واشنطن بوست» في نوفمبر 2005، بشأن تدهور الحرب الثانية على العراق، يوضح قدرة الانتصار العسكري على التطهير: «كان يمكن أن نسامح الرئيس بوش لخوضه حربا تحت مبررات زائفة، لو أن ما نتج منها كان شرق أوسط ديموقراطيا في وضع أفضل»[52].

عندما تستخدم النخبة سلاح إثارة الذعر

يؤثر نمط النظام الحاكم بشكل كبير في احتمالية استخدام أسلوب إثارة الذعر. وبالخصوص، فإنه أكثر استخداما في الأنظمة الديموقراطية منه في الأنظمة الأوتوقراطية، وذلك لأن القادة في الأنظمة الديموقراطية عليهم أن يأخذوا الرأي العام في الاعتبار. وبالطبع فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع الحكام المنتخبين ديموقراطيا يرون أن شعوبهم في حاجة إلى خديعة ما لأنهم غير قادرين على تقييم الحقائق وتقديرها تقديرا صحيحا، حتى إن رأى بعضهم ذلك. ويتأصل هذا النوع من التفكير في أوساط اليمين الأمريكي، حيث يسود اعتقاد بأن الديموقراطيات تكون في وضع أضعف حين تتنافس مع الأنظمة غير الديموقراطية، لأن الرأي العام أحيانا يقف حجر عثرة أمام تشكيل سياسة خارجية فاعلة وقوية. وقد كان نمط التفكير هذا سائدا في أثناء الحرب الباردة، وعلى الأخص وسط بعض المحافظين الجدد، وبعض المتشددين أمثال جيمس بيرنهام وجان فرانسوا ريفل[*]، الذي رأى

(*) جيمس بيرنهام ولد في العام 1905 وتوفي في العام 1987، وهو فيلسوف ومنظر سياسي أمريكي. بدأ حياته يساريا ماركسيا تروتسكيا ثم انتقل لاحقا إلى اليمين ليصبح أبرز منظري حركة المحافظين الأمريكية. ومن أبرز مؤلفاته «الثورة الإدارية» (1941)، وكان مساهما رئيسا في مجلة المحافظين الأمريكية ذا ناشيونال ريفيو.
أما جان فرانسوا ريفل، فقد ولد في العام 1924 وتوفي في العام 2006. وهو كاتب ومنظر وسياسي فرنسي دافع بقوة عن السلوكيات الأمريكية في العالم، وانتقد الحساسية والعداء الأوروبيين لأمريكا وعلى الأخص بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. [المترجم].

أن الجمهور في الديموقراطيات الغربية يميل إلي المهادنة أكثر من مجابهة الأعداء الخطرين[53].

إن فكر المحافظين الجدد[*]، الذي يتمحور حول عدم قدرة الجمهور على التعامل مع الحقائق بصورة صحيحة، يتلخص فيما قاله إيرفنغ كرستول أحد الآباء المؤسسين لهذه الحركة: «هنالك حقائق مختلفة وفق اختلاف الناس. هنالك حقائق تناسب الأطفال، وحقائق تناسب الطلاب، وحقائق تناسب المتعلمين الكبار، وحقائق أخرى تناسب الكبار المتعلمين تعليما عاليا. التصور بأن هناك حقيقة واحدة تناسب الجميع ليس إلا وهم الديموقراطية الحديثة. وهو غير قابل للتطبيق»[54].

بيد أن هذا المنظور لا ينحصر في المحافظين فقط، كما يتضح جليا حين نقرأ كتاب «جمهور الأشباح»[**] لوالتر ليبمان، وهو ليس من المحسوبين على اليمين بأي صورة[55].

وقد يكون هذا النوع من السلوك أكثر انتشارا في الديموقراطيات، لكنه ليس مقتصرا فقط عليها، لأننا في عصر القوميات نجد بعض الرؤساء في دول غير ديموقراطية يعيرون انتباها لرأي الجمهور. فهتلر، على سبيل المثال، كان يتتبع بشكل لصيق تفكير الشعب الألماني في كل المواضيع، وذهب إلى أبعد الحدود ليتأكد إن كانت سياساته تتمتع بتأييد وسند جماهيري واسع. وكانت حكومته، كما نبهنا إيان كيرشو: «واعية وحريصة على صناعة مفهوم الإجماع»[56]، وعلى الرغم من ذلك، نجد أنه كلما اشتدت قبضة الحاكم الفردي على مجتمعه، قلت الحاجة إلى اللجوء إلى أسلوب إثارة الذعر.

وتؤثر الجغرافيا كذلك في نمط استخدام إثارة الذعر كأحد أسلحة الدولة. فالدولة التي تجاورها دولة معادية مشاكسة لا تحتاج إلى مبالغة في تصوير التهديد،

(*) «المحافظون الجدد» هي حركة تجديدية في وسط التوجه المحافظ، وإن كان أغلب من تبناها هم من الديموقراطيين الذين انتقدوا الحزب الديموقراطي خلال فترة الستينيات من القرن الماضي. ويبدو أن مصطلح المحافظين الجدد قد أخذ في الصعود من مناوئيهم ومنتقديهم. والملاحظ أن العديد من منتسبي المحافظين الجدد صاروا من مشاهير الساسة في أمريكا في العقود الأربعة الماضية. وقد بلغ أوج نفوذهم خلال فترة رئاسة جورج دبليو بوش وخططوا ونفذوا لغزو العراق سنة 2003. ومن أبرزهم بول وولفوتز وريتشارد بيرل وجون بولتون وإليوت أبرامز وبول بريمرا. ويتسم المحافظون الجدد بدفاعهم القوي عن إسرائيل ودعوتهم لنشر الديموقراطية. [المترجم].

(**) Walter Lippmann, *The Phantom Public*.

فالعــدو قريب جدا. وفي مثل هذه الحالات نجــد أن الجمهور يدرك الخطر ويأخذ الحيطة من جاره. وفي المقابل فإن الدول التي لا تتشارك حدوديا مع عدو يهددها، تكون أكثر احتمالا لاســتخدام أسلوب إثارة الذعر كسلاح. حيث يبدو العدو البعيد جغرافيــا أقل تهديدا من العدو القريــب، فيلجأ الحكام إلى التضخيم والمبالغة لبث الخوف والذعر.

والدول التي تفصلها مياه عريضة عن أعدائها الأساســيين وحلفائها - وأســميها الدول المتوازنة البعيدة - عادة ما تميل إلى استعمال سلاح الخوف والذعر؛ لأن المياه تعد حاجزا دفاعيا عظيما[57].

وبمقارنــة حجم تضخيم درجة التهديد في كل دولة من القوى الكبرى في الحرب العالمية الأولى، ندرك تماما كيف أن الجغرافيا كان لها أثر قوي في الخطاب السياسي للرؤســاء المختلفين لوصف أعدائهم في أثناء الحرب. فقد كان أســلوب إثارة الذعر من التهديد الألماني أقل اســتخداما في فرنسا وروسيا من مثيله في بريطانيا والولايات المتحــدة. وهذا أمــر ليس بمســتغرب، لأن الدولتين الأنجلوساكســونيتين: بريطانيا والولايات المتحدة، دولتان متوازنتان بعيدتان، وعلى العكس، فإن فرنســا وروسيا لم تشــتركا حدوديا مع الإمبراطورية الألمانية فقط، بــل تقاتلان ألمانيا داخل حدودها. وكذلــك فــإن ألمانيا لم تكن في حاجة إلى اســتعمال إثارة الذعر، لأنهــا كانت تقاتل أعداءها على حدودها الشرقية والغربية.

وأخــيرا، فإن الرؤســاء الذين يذهبون إلى حــروب من اختيارهــم - كالحروب الوقائية أو الاستباقية – في الأغلب يستعملون أسلوب إثارة الذعر. فمن الصعب أن تجعل الشــعب مؤيدا لحرب وقائية، حيث تهاجم دولة دولة أخرى لا تشكل خطرا آنيــا عليها وقت الهجوم، فالتهديد ليس خطيرا في حينه، ما يعني تراجع استشــعار الرأي العام للخطر. علاوة على ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة التنبؤ بما سيحصل في المســتقبل، فسنجد أن أغلبية الشعب ســيظنون أن التهديد غير جدي لسبب أو لآخــر. يضاف إلى ذلك أن الحروب الوقائيــة ممنوعة بنص القانون الدولي، كما هي الحــرب العادلة، مما يجعل قبول شــن الحرب أمرا صعبــا في كثير من الدول. لهذه الأسباب مجتمعة يفضل كثيرون - ومنهم الخبراء - تبني سياسة «ننتظر لنرى»، على أمل ألا تحصل مشــاكل. وللتصدي لهذا، يرى أنصــار الحرب أنه من الضروري إثارة

الذعــر لخلق الانطباع بأن هناك خطرا مبــاشرا، وتعزيز الحرب الوقائية ضد العدو، واستباق الهجوم قبل العدو. فالحروب الوقائية، وهي أساسا شكل من أشكال الدفاع عن النفس، معترف بها على نطاق واسع بأنها مشروعة وعادلة في الوقت نفسه[58].

وعــودة إلى فترة التهيئة للحــرب الأخيرة على العراق، فإنــه من المهم ملاحظة أن الولايــات المتحدة هي دولة ديموقراطيــة ومتوازنة وبعيدة، وكانت تحاول إقناع شعبها بشن حرب وقائية.

ولذا، لم يكن مســتغربا، أن تطلق حكومة بوش الأكاذيب، وأن تنغمس في أنواع أخرى من الخداع لخلق الانطباع بأن صدام حســين كان يشــكل تهديدا مباشرا، وأن الولايات المتحدة، استنادا إلى ذلك، كانت تشن حربا استباقية وليست حربا وقائية[59].

5

التغطيات الإستراتيجية

هنـاك نوعان من التغطيات الإسـتراتيجية، فالقـادة قد يكذبون عندما تفشـل سياسـة ما فشلا ذريعا، ويكون دافعهم الأساسي إلى الكذب هو حماية مصلحة البـلاد، وليس حماية الأفراد الذين كانوا وراء هذا الفشل، وإن جاءت حماية أولئك المسؤولين كنتيجة غير مقصودة. ويكذب القادة أيضا لإخفاء إسـتراتيجية جيـدة ولكنها مثيرة للجدل، خشية أن تواجَه برفض جماهيري حقيقي يمنع تبنيها. والهدف ليس إخفاء سياسة ركيكة عن الحلبة السياسـية، بل تطبيق سياسة محددة من دون إثـارة معارضة قوية. وفي كلتا الحالتين، يعتقد القادة بوجود أسباب إستراتيجية منطقية لتغطيـة الأمر، ولذلك هم يكذبون من أجل تقديرهم لما يرون فيه مصلحة بلدانهم.

وبينـما يوجَّه الكـذب بين الـدول إلى الدول الأخرى، توجَّه إثارة الذعر إلى الجبهة الداخلية. أما التغطية الإستراتيجية فتوجَّه عادة إلى الجمهورين،

«القائد في البلاد غير الديموقراطية يكون أقل ميلا، من نظيره في البلاد الديموقراطيـة، إلى إخفاء سياسـة مثيرة للجدل عن شعبه»

الداخلي والخارجي. ولكي نكون أكثر دقة، فإن القائد الذي يعتاد تغطية وإخفاء سياسات فاشــلة أو مثيرة للجدل يحاول دائمــا أن يخدع جمهوره في الداخــل، وأحيانا يحاول أن يخدع دولا أخرى في الوقت نفســه. وبعبارة أخرى، فإن الجمهور المستهدف بالتغطيات الإســتراتيجية يمكن أن يكون فقط الجمهور الداخلي، أو يكون جمهور الداخل بالإضافة إلى جمهور الخارج. غير أن الجهة المستهدفة في إطار هذا النوع من الخداع، لا يمكن أن تكون مجرد دولة أخرى، وإلا فسيصبح نوعا من أنواع الكذب بين الدول.

من المهم تأكيد أن التغطيات الإســتراتيجية ليســت فقط أمثلة للكتمان، والذي يحــدث عندما يخدع الحكام جماهيرهم المســتهدفة بحجــب المعلومات عنهم، أو بعدم التعليق أو الحديث عن مشــكلة ما تخص سياســة خارجية مهمة. ففي حالة التغطيات الإســتراتيجية، يتعامل القــادة بالضرورة مع قضايــا دولية ذات جوانب علنية، ومن المؤكد أنها ستطرح أسئلة يصعب على الحكومة أن تجيب عنها. في مثل هذه الحالات يلجأ القادة إلى اســتخدام الكذب على مواطنيهم، لأنهم يعتقدون أنه يخدم المصلحة الوطنية العليا، وفي السياق ذاته يكذبون على دول أخرى.

لماذا يستخدم القادة التغطيات الإستراتيجية؟

أحد الأسباب التي تدفع القادة إلى إخفاء العجز الذي سبّب الفشل هو رغبتهم في إخفــاء نقــاط ضعفهم عن أعين العدو، الذي ربما يســتغلها ضدهم، أو خشــية أن تؤثــر الحقائق ســلبيا في علاقتهم بــدول أخرى. ومن الطبيعــي أيضا أن يقلقوا عــلى جبهتهم الداخلية، حيث قد تــؤدي الأخبار عن فشــل العمليات إلى تقويض الوحــدة الوطنية، وهــو أمر تزداد أهميته عندما تدخــل الدولة في حرب طويلة لا تسير عملياتها بشكل إيجابي.

في الحرب العالمية الأولى، مثلا، وجدنا أن المارشال جوزيف جوفري، القائد العام للجيــش الفرنسي، لم يحســن التخطيط لمعركة «فــردان»(*) (في العام 1916)، ومن ثــم أســاء إدارتها. وبالتأكيد فإنــه لم يكن جديرا بهذه المهمــة، وكان معظم القادة

(*) نشبت معركة فردان في العام 1916 بين الجيشين الألماني والفرنسي، واستمرت ثمانية أشهر، وهي من أكبر وأطول وأكــثر المعــارك دموية إبان الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية. وتذهب التقديرات إلى أن ضحاياها زادوا على 700 ألــف، غير أن تقديرات أكثر حداثة ترفع الرقــم إلى أكثر من مليون، الأمر الذي يجعلها من أكثر المعارك كلفة في التاريخ. [المترجم].

السياسـيين الفرنسـيين يعلمون ذلـك. ولكنهم لم يتمكنوا من كشـف عدم كفاءته للجمهور في حين كان آلاف الجنود يُقتلون أو يُجرحون كل أسـبوع. كانوا يخشـون أن يؤدي كشـفهم الحقيقة عن جوفري، في زمن حرب، إلى إضعاف الروح المعنوية في الجبهة الداخلية، وربما يقوض جهود الحرب نفسـها. ولهذا السبب لجأوا إلى كتم نقاشـاتهم الحادة عن جوفري بعيدا عن أنظـار الجماهير، وصوروه، كذبا، على أنه قائد كفء، مكتمل العتاد والعدة. إن «الاهتمام بالروح المعنوية»، كما كتب الباحث إيان أوسـبي، «قد منعه من السقوط في العار الرسمي»[1]. ولعله كان سيغدو ضربا من الجنون أن يكشـفوا للألمان أن القوات الفرنسية التي يقاتلونها في فردان تواجه مشكلة كبيرة، لأنها تحت قيادة قائد غير كفء.

ومثّـل تصرف إسرائيل بعد مذبحة «قبية» المَشـينة حالـةً أخرى على التغطية على سياسـة فاشلة، لأسباب رأى قادتها أنها مبرَّرة[2]. ففي 14 أكتوبر 1953 تحركت فرقة كوماندوز بقيادة الميجر آرييل شارون، إلى قرية قبية في الضفة الغربية، وقتلت تسـعة وستين فلسطينيا، جلهم من النسـاء والأطفال ردا على مقتل امرأة إسرائيلية وطفليها في اليوم السابق. جاءت الأوامر من القيادة المركزية الإسرائيلية التي أشرفت على الهجوم بأن الهدف هـو «مهاجمة قرية قبية، واحتلالها بصورة مؤقتة، والقتل لأقصى حد لأجل طرد سكان القرية من منازلهم»[3].

أثار هذا التصرف ضجة كبرى حول العالم، بمن في ذلك الجالية اليهودية في أمريكا، عندما علموا بما ارتكبه الجنود الإسرائيليون في قبية. وقد كتب الباحث أفي شـليم من جامعة أكسفورد قائلا: «إن مذبحة قرية قبية قد أطلقت العنان لاحتجاج عالمي ضد قسوة غير مسبوقة لإسرائيل في تاريخها القصير»[4]. وكذلك سببت الأخبار الفظيعة عن الهجوم مشاكل جمة للحكومة الإسرائيلية في الجبهة الداخلية[5]. واستشعارا للمشاكل المحتملة على المسـتوى الداخلي، فضلا عن الضرر الذي أصاب سـمعة إسرائيل دوليا، حاول قادة إسرائيل إنقاذ الموقف عن طريق الكذب. فقد كتب المؤرخ الإسرائيلي بيني موريـس: «في 19 أكتوبر، ظهر رئيس الوزراء ديفيد بـن غوريون متحدثا على الهواء بروايـة مختلَقة عما حدث». فرمى اللوم في المذبحة على مسـتوطني الحدود اليهود، حيث قال: «إن الحكومة الإسرائيلية بدورها تدين بشـدة الاتهام السـخيف أن 600 رجل من القوات النظامية الإسرائيلية قد اشتركوا في تلك الفعلة... وقد حققنا في الأمر،

فاتضح لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أنه لا توجد أي وحدة عسكرية لم تكن في قواعدها في ليلة الهجوم على قبية»[6]. غير أن كذبة بن غوريون لم تنطل على أحد، حيث أصدر مجلس الأمن في 24 نوفمبر بيانا شديد اللهجة يندد فيه بالعملية.

كـما قد يكـذب القادة لتغطية موضـوع مثير للجدل لأنهم مقتنعون بأنه سـليم إستراتيجيا، ولكنهم يريدون إخفاءه عن جمهورهم، أو ربما عن الدول الأخرى. والمعنى الضمني هنا أن أغلبية مواطنيهم ليست لديهم الحكمة الكافية لإدراك المعاني والمضامين البعيدة لهذه السياسـة. لذا فإنه من المنطقي للقادة تبني إسـتراتيجية أو سياسـة ما وإخفاؤهـا عن الجمهور، وإلا فقد يجبر الرأي العـام الحكومة على التراجع عنها، الأمر الـذي قد يضر بمصلحة الدولة. ومن هنا ندرك أن منطق التقييم القاسي نفسـه بعجز الجمهور عن التفكير السليم يُتّبع في إثارة الذعر، وكذلك في التغطيات الإستراتيجية.

كانت جهود الرئيس جون كنيدي المُضنية لحسم أزمة الصواريخ الكوبية بطريقة سـلمية مثالا حيا لرئيس يكذب من أجل أن يخفي سياسـة مثـيرة للجدل[7]. ولكي ينهي الأزمة قبل أن تتصاعد إلى حرب بين القوتين العظميين، وافق كنيدي على طلب السـوفييت أن تسـحب الولايات المتحدة منظومة صواريخهـا النووية جوبيتر من تركيا، مقابل سـحب السـوفييت صواريخَهم أيضا من كوبا(*). وكان الرئيس كنيدي

(*) عَرضت مكتبة جون كنيدي في مدينة بوسـطن الأمريكية قبل سـنتين لأول مرة تسجيلات للنقاشات التي جرت منـذ بدايـة الأزمة في 16 أكتوبر 1962 وحتى نهايتها في 28 أكتوبر. وقد حضرتُ المعرض شـخصيا وكانت المعلومات مثيرة لأنها كانت مسجلة بالصوت، حيث اتضح أن الرئيس كَنيدي كان يخفي جهاز تسجيل تحت طاولة الاجتماعات بالبيت الأبيض.

كان عنـوان المعـرض هو «على الحافة»، وذلك لتصوير كيف أن العالم كان قد حبس أنفاسـه من احتمال قيام حرب نووية بين القوتين العظميين في العالم.

وتعد أزمة الصواريخ الكوبية إحدى أهم الحالات الكلاسيكية للنزاعات في أدبيات العلاقات الدولية. استغرقت الأزمة 13 يوما، وتتلخص في إقدام الاتحاد السـوفييتي إبان زعامة نيكيتا خروتشـوف على توقيع اتفاقية سرية مع الرئيس الكوبي فيديل كاسـترو من أجل نصب صواريخ باليسـتية على الأراضي الكوبية. وبدأت الحادثة على خلفية محاولات الولايات المتحدة الإطاحة بالرئيس كاسترو، وكانت آخر تلك المحاولات الإنزال العسكري الفاشل على خليج الخنازير في العام 1961، كما جاء بعد نصب الولايات المتحدة منظومةَ صواريخ باليستية جوبيتر في إيطاليا وتركيا يصل مداها إلى الاتحاد السوفييتي بسهولة. ووافق خروتشوف على نصب الصواريخ في كوبا استجابة لطلبها ولردع أمريكا عن التعرض لكوبا. وبعد أن تأكدت الاستخبارات الأمريكية من حقيقة البدء ببناء منظومة الصواريخ، طالبت الاتحاد السوفييتي بتفكيـك منصات الصواريخ وإعادتها إلى الأراضي السـوفييتية. وعلى أثر ذلك فرض الرئيس كنيدي حصارا بحريا على السـفن الداخلة إلى كوبا وأمر بتفتيشـها. وعلى مسـتوى آخر بدأت مفاوضات سرية بين كنيدي وخروتشوف حول كيفيـة إنهاء الأزمة، والتي كان حلها عن طريق تفكيك الصواريخ السـوفييتية وإعادتها. وفي المقابل تفكيك الولايات المتحدة لصواريخ جوبيتر في إيطاليا وتركيا. غير أن الجزء الثاني الخاص بجوبيتر ظل سريا. [المترجم].

يعلم تماما أن هذا التنازل قد لا يقبله الرأي العام الأمريكي، وكذلك اليمين السياسي، ويمكن كذلك أن يؤثر سلبا في علاقة واشنطن بحلفائها في حلف الناتو، وبالأخص تركيا. ولذلك اشترط على السوفييت ألا يتحدثوا عن هذا الاتفاق علنا، وإلا فإنه سينكره ويتراجع عنه نهائيا. وعلى رغم كل هذه الحيطة والحذر في إخفاء المعلومة، كانت هناك بعض الشكوك في الغرب بأن اتفاقا قد أُبرم، وقد وُجهت أسئلة بهذا الخصوص إلى الحكومة الأمريكية. كذب الرئيس وكبار مستشاريه، وأنكروا وجود اتفاق لسحب منظومة صواريخ جوبيتر من تركيا. وعند النظر إلى الحدث الآن، سيبدو أن ما فعله كنيدي كان كذبة بيضاء، استطاعت أن تنزع فتيل المواجهة الخطيرة بين دولتين تمتلكان أسلحة نووية.

في الفترة الواقعة بين العامين 1922 و1933، تلقى الجيش الألماني تدريبات عسكرية في الاتحاد السوفييتي، مما مثل خرقا لاتفاقية فرساي[8]. وكان القادة الألمان يتوجسون من أن يعرضهم اكتشاف هذه الأنشطة لانتقادات حادة من اليساريين في جمهورية فايمار(*) الألمانية، وكذلك من بريطانيا وفرنسا اللتين ستسعيان إلى وقف هذه الأنشطة غير القانونية. إذن لم يكن مستغربا أن تكذب ألمانيا لإخفاء ذلك الاتفاق. كما أن هناك حالة أخرى تعتبر أكثر إثارة للجدل حدثت في بريطانيا في أواسط الخمسينيات، عندما بدأ البرلمان يسمع قصصا عن معسكرات العمل الإلزامي التي أقامتها الحكومة الاستعمارية في كينيا لمقاتلي حركة «الماو ماو» التحررية[9]. وقد كانت الحكومة البريطانية تخشى تداوُل هذا الموضوع إعلاميا، فيجبر الرأيُ العام الحكومة على إنهاء سياستها القمعية في كينيا، مما سيعني الانتصار لحركة «الماو ماو»، وإن حدث ذلك فإن الأمر لن يكون في مصلحة تماسك الإمبراطورية البريطانية. وللتعامل مع تلك التسريبات القوية، كذب القادة البريطانيون بشأن وجود معسكرات القمع، وهاجموا بحدةٍ كلَّ من كشفوا عن تلك الممارسات.

أخيرا، نعرف الآن أن اليابان قد عقدت عدة اتفاقيات سرية مع الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة. فمثلا، سمحت طوكيو في العام 1969 للسفن الأمريكية المحملة

(*) فايمار (Weimar) هي مدينة في وسط ألمانيا نشأ فيها ما يمكن اعتباره أول نموذج ديموقراطي في ألمانيا، حيث اجتمع ممثلو الشعب في العام 1919 وصاغوا دستورا جديدا استمر العمل به حتى صعود الحزب النازي، ثم تولى هتلر السلطة في العام 1934. [المحررة].

بالسلاح النووي بأن ترسو في الموانئ اليابانية[10]. وكذلك هناك اتفاقية سرية تتضمن أنــه على اليابان أن تدفع الجزء الأكبر من تكاليف الوجود العســكري الأمريكي على أراضيها. ومن المؤكد أن جدلا واسعا كان سيُثار حينها لو كُشف عن هذه الاتفاقيات. والحقيقة أن الاحتجاج القوي المتوقع من الجمهور الياباني كان من شــأنه أن يلغي تلك الاتفاقيات. على أي حال، يمنع القانون الياباني مرور الســفن المحملة بالأسلحة النوويــة بالموانئ اليابانية. مع ذلك رأت القيــادة اليابانية أن تلك الاتفاقيات تخدم المصلحــة الوطنية لليابان، ولذا تكتمــت عليها ولم تعلنها للملأ. لكن، لم يطل الزمن حتى بدأ البعض يشك في أن اتفاقيات كهذه قد جرى توقيعها، وبدأت الأسئلة تنهال على قيادات الحكومة اليابانية، ولم يكن مســتغربا أنهــم كذبوا وأنكروا وجود تلك الاتفاقيات من الأساس.

متى يصبح استخدام التغطيات الإستراتيجية أكثر احتمالا؟

من الواضح أن معرفة متى يعد اســتخدام التغطيات الإســتراتيجية أكثر احتمالا هــي أمــر بالغ التعقيد، ويعود ذلك إلى أن هذا النوع من الخداع يتضمن ســلوكين - إخفاء تقصير وفشــل ما، وإخفاء سياســات مثيرة للجدل - وجمهورين مختلفين: جمهور الدول الأخرى، والجمهور الداخلي للقائد.

فلنبدأ أولا في فحص السؤال حول متى تكون احتمالية كذب القائد أكبر لإخفاء سياسة فاشلة أو مثيرة للجدل عن دولة أخرى؟ ليس غريبا أن تنطبق الظروف التي تدفــع القادة إلى الكذب على الدول على التغطيات الإســتراتيجية. في كلتا الحالتين، يكذب القادة على دولة أخرى فيما يرون أنه يخدم المصلحة الوطنية، وهذا يعني أن الأكثر احتمالا أن يعمد القادة إلى التغطية الإســتراتيجية الموجهة إلى جماهير أجنبية عندما تكون دولتهم في الحالات التالية:

1 - تقع في إقليم خطر.

2 - متورطة في أزمة.

3 - في حالة الحرب.

4 - تتعامل مع منافس وليس مع حليف.

إن التغطية الإســتراتيجية، بالطبع، ليست فقط نوعا من الكذب بين الدول، بل

هي أكثر من ذلك؛ فالقادة يوجهون تلك الأكاذيب إلى شعوبهم وإلى العالم الخارجي. والتكتم على الفشـل وعجـز الإدارة غالبا ما يحصل في زمن الحـرب، وبالأخص إذا كانت الحرب من أجل البقاء. وفي هذه الظروف، حين تكون المخاطرة بوجود الوطن عالية، يضطر القادة إلى الكذب على شـعوبهم، إن وجدوا إلى ذلك ضرورة، ليتفادوا الهزيمة ويكسبوا الحرب. وعلاوة على ذلك، يكون إخفاء الأخطاء عن الجمهور أثناء الحرب سهلا نسبيا، لأنهم في ظروف يكون بيد الحكومة فيها الكثير من الصلاحيات لتقييد حرية تدفق المعلومـات والتلاعب بها، مبررة ذلك بحالة الحرب. كذلك، لأن الخـداع يعـد أمرا مقبولا خلال الـصراع مع عدو شرس. وأخيرا، فإن حدوث فشـل عملياتي على الأرض بصورة أو بأخرى هو أمر اعتيادي في أي صراع، مما يعني وجود فرص ودوافع كثيرة لاستخدام التغطية الإستراتيجية[11].

ماذا عن السياسات المثيرة للجدل؟ من الأرجح أن يُعمَد إلى إخفائها عن الجمهور في الدول الديموقراطية أكثر من الدول غير الديموقراطية. ولعل أقرب سـبب لتفسير ذلـك هو أن القادة في البلاد الديموقراطية يعيرون رأي الجمهور انتباها كبيرا، حيث سيتم تحميلهم المسؤولية من خلال الانتخابات الدورية، وبالتالي فقد لا يستطيعون المضي في سياسـة يرونهـا حكيمة، وهم متأكدون من أنها لا تحظى بدعم شـعبي، متجاهلين احتمالية السقوط السياسي الناتج عن تجاهل التوجهات الشعبية. في مثل هـذه الحالات تحديدا تكون الدوافع قوية لتبني سياسـة ما من دون الإعلان عنها، ومن ثم يكذب القادة إن كانت هناك حاجة إلى الكذب، لإخفاء ما فعلوه. وبالتأكيد هناك قدر من المحاسـبة في البلاد غـير الديموقراطية، ولكن ليس بالقدر الموجود في البـلاد الديموقراطية. وعليه، يكون القائد في البلاد غـير الديموقراطية أقل ميلا، من نظيره في البلاد الديموقراطية، إلى إخفاء سياسة مثيرة للجدل عن شعبه.

بالطبـع هنـاك قدر كبير من الشـفافية في الديموقراطيات، مـما يعني أن على القادة الإجابة بجدية عن الأسـئلة المثارة، التي تتضمن توفير قدر ما من المعلومات حـول الموضوع، قد تضع هذه الظروف القادة في مواقف يضطرون فيها إلى الكذب لإخفاء سياسات مثيرة للجدل. وفي المقابل، في البلاد غير الديموقراطية لا توجد حرية مناقشـات عامة، مما يسـهل على القادة إخفاء السياسـات المثيرة للجدل من دون الحاجة إلى الكذب.

والنقطة الجوهرية هنا أن احتمال لجوء الدول إلى التغطية على كارثة سياســية أو إخفاء سياســة خلافية تحكمه الظروف والملابسات نفسها التي تضطر الدول إلى أن يكذب بعضها على بعض، ولكن مع فارق بسيط، أن التغطية على سياسة فاشلة غالبا ما تحصل أثناء الحرب، وإخفاء السياســة الخلافية تحصل في أغلبية الأحوال في الديموقراطيات.

6

الأساطير القومية

مع ظهور القومية الوطنية في القرنين الماضيين، سعت عرقيات ومجموعة قوميات وطنية عديدة حول العالم نحو تأسيس دولها، التي عُرفت بـ «الدول القومية». وفي أثناء عملية البناء هذه، حاولت كل مجموعة أن تخلق أساطيرها الخاصة المقدسة عن ماضيها، تصورها بشكل أفضل، وتصور خصومها من المجموعات القومية الأخرى بصورة سلبية[1]. وقد كتب أستاذ العلوم السياسية بجامعة «MIT» الأمريكية، ستيفن فان إفيرا، أن هذه الأساطير الشوفينية «تأتي في أشكال ثلاثة: تقديس الذات، تنقيتها من الأخطاء، والإضرار بالآخر»[2]. ويتطلب اختراع هذه الأساطير ونشرها على نطاق واسع حول العالم الكذب في الوقائع التاريخية أو الأحداث السياسية المعاصرة. «الغلطة التاريخية»، كما وصفها المنظِّر السياسي الفرنسي أرنست رينان، تشكل «عنصرا مهما في صناعة الدولة»[3].

«ترتبط شرعية الدولة بالظروف والملابسات التي أحاطت بولادتها، وأغلب الناس لا يريدون الاعتراف بأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئة»

لماذا صنعت النخبة الأسطورة القومية؟

تتحمل النخبة التي تسيطر على مسارات التفكير في دولة ما مسؤولية كبيرة عن خلق هذه الأساطير، وهم يفعلون ذلك لسببين أساسيين. تساعد هذه القصص الكاذبة في تعضيد التضامن الجماعي؛ وكذلك تساعد في خلق شعور قوي بالوطنية، وهو عنصر أساس في بناء الدولة والمحافظة عليها. وعلى وجه الخصوص، فإن هذه القصص الخيالية تضفي على المجموعة العرقية أو القومية الإحساس بالانتماء إلى مشروع نبيل، الذي لا يستدعي الفخر به فحسب، بل يستحق تحمل المصاعب لأجله، والقتال والموت في سبيله إن استدعى الأمر. تظهر هذه الحاجة إلى إبراز الجوانب الإيجابية لأمة ما في القانون الذي أقرته الحكومة الفرنسية في فبراير 2005، والذي ألزم كتب مقررات التاريخ في مدارس الثانوية العامة بإبراز الجوانب الإيجابية في التاريخ الاستعماري الفرنسي[4].

بيد أنه من المهم الإشارة إلى أن خلق الأساطير القومية ليس مجرد تأليف بعض النخب قصصا مختلقة وتمريرها إلى جماهيرهم. فالحقيقة هي أن الناس العاديين يكونون عطشى لتلك الأساطير؛ فهم في حاجة إلى سماع قصص وحكايات عن الماضي، تصورهم بأنهم أخيار ذوو قبعات بيضاء، بمواجهة القوميات الأخرى ذوي القبعات السوداء. وبالتالي، فإن خلق الأساطير القومية هو فعل مدفوع من الأدنى كما هو مدفوع كذلك من الأعلى.

يخلق أفراد النخبة الأساطير القومية أيضا لاكتساب مشروعية دولية[5] والعائد من وراء هذا قليل، لأنه من الصعب جر الغرباء والأجانب إلى قصص تتعارض مع الروايات الموضوعية للأحداث التاريخية. ومع ذلك، فهناك استثناءان لتلك القاعدة. فقد يتمكن القادة من «بيع» أساطيرهم القومية لحليف لصيق تكون له عادةً مصلحة في قبولها وتصديقها. ففي بداية الحرب العالمية الثانية، على سبيل المثال، خلقت النخبة الألمانية أسطورة أن جيشهم – الفيرماخت - لم تكن له أي علاقة بقتل المدنيين الأبرياء على الجبهة الشرقية خلال تلك الحرب الوحشية[6]. وقد قِيل حينها إن جهاز الاستخبارات إس إس - الذي يمثل فئة صغيرة من الشعب الألماني ويرتبط بهتلر بصورة مباشرة - هو المسؤول عن تلك الأعمال المرعبة. فالجيش الألماني، استنادا إلى هذه الرواية، كانت يداه نظيفتين.

لقد «بلعت» الولايات المتحدة هذه القصة الكاذبة خلال السنوات الأولى من الحرب الباردة، حين كانت تعمل بشكل لصيق مع نازيين سابقين، ومتعاونين مع النازيين، ومنتسبين سابقين إلى الجيش الألماني، وأيضا لأنها كانت تعمل على إعادة تأهيل الجيش الألماني، وجعله جزءا لا يتجزأ من حلف شمال الأطلسي. فلم يكن إذن مستغربا، كما يذكر كريستوفر سمبسون في كتابه عن تجنيد واشنطن للنازيين بعد الحرب العالمية الثانية، أن «تترك مراجعة أكثر كتب التاريخ انتشارا في الغرب عن الحرب، مع استثناءات بسيطة، انطباعا قويا بأن كل الوحشية التي تمت في محارق النازية كانت مسؤولية جهاز إس إس، وليس كل الجهاز أيضا»[7]. غير أنه وفي أواخر الستينيات، بدأ الباحثون الألمان في كشف النقاب عن القصة الحقيقية، وهي أن الجيش الألماني كان جزءا لا يتجزأ من آلة القتل الألمانية التي تسببت في كل هذا الدمار البشري خلال الحرب العالمية الثانية. ولكن آنذاك، كان كل من الجيش الألماني الجديد «البونديزفير» (Bundeswehr)، والناتو قد تأسسا بالفعل، فلم يعد تقبُّل حقيقة ما حصل على الجبهة الشرقية بين العامين 1939 و1945 يمثل مشكلة سياسية كبيرة للولايات المتحدة.

كذلك يحدث أحيانا أن تصدر دولة لديها جاليات مؤثرة وذات نفوذ قوي في الشتات الأساطير القومية لجالياتها في الخارج. وأحسن مثال لهذه الظاهرة هو إسرائيل والجالية اليهودية في أمريكا. فلم يكن للصهاينة أن يؤسسوا دولة يهودية في فلسطين من دون إبادة عرقية واسعة لسكانها العرب الموجودين هناك منذ قرون. وقد أدرك قادة الصهاينة هذه النقطة على نطاق واسع قبل تأسيس الدولة الإسرائيلية. وجاءت الفرصة المواتية لطرد الفلسطينيين في أوائل العام 1948، عندما نشبت الحرب بين الفلسطينيين والصهاينة بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين. أجلى الصهاينة عرقيا نحو سبعمائة ألف فلسطيني من أرضهم التي أصبحت لاحقا إسرائيل، ورفضوا بإصرار السماح لهم بالعودة إلى منازلهم حتى بعد أن توقفت الحرب. وبالطبع، هذه قصة تضع إسرائيل في دور المعتدي، مما يجعل من الصعب على هذه الدولة الناشئة أن تكسب الأصدقاء وتخلق أثرا في العالم، وعلى الأخص في الولايات المتحدة.

ولهذا لم يكن مستغربا أن تبذل إسرائيل وأصدقاؤها الأمريكيون جهودا مضنية بعد أحداث العام 1948 لتوجيه اللوم في عملية طرد الفلسطينيين إلى الضحايا

أنفسهم. واستنادا إلى الأسطورة التي جرى اختراعها وتأليفها، فإن الفلسطينيين لم يجرِ «تطهيرهـــم عرقيا» من قبل الصهاينة، ولكنهم، كما قيل، فروا من منازلهم لأن الدول العربية المحيطة بهم طلبت منهم المغادرة، حتى تتمكن جيوشها من الدخول وإلقاء اليهود في البحر. ومن ثم يعود الفلســـطينيون إلى منازلهم بعد أن يجري «تطهيرها» من اليهود. هذه القصة لم يتم ترويجها وقبولها بشـــكل واســـع في إسرائيل فحسب، ولكـــن في الولايات المتحدة كذلك على مدى ما يقرب مـــن الأربعة عقود، وقد أدت دورا أساسيا في إقناع الكثير من الأمريكيين برؤية إسرائيل بصورة إيجابية والتعاطف معها في صراعها المستمر مع الفلسطينيين. غير أن باحثين إسرائيليين، وآخرين، فككوا أوهام تلك الأسطورة، وغيرها من الأساطير، على مدى العقدين الماضيين، وبدأ التاريخ الجديـــد للحكاية يظهر ببطء في ســـياق المنطق الأمريكي تجاه الـــصراع الإسرائيلي - الفلســـطيني، بطرق جعلت بعض الأمريكيين أقل تعاطفا مع ماضي إسرائيل وسلوكها الحالي تجاه الفلسطينيين[8].

عندما تعمل النخبة على صناعة الأساطير القومية

تعتز الأمم بشـــكل مستمر بأســـاطيرها الأساســـية، لأن أغلب أفرادها يحتاجون إلى مثـــل هـــذه القصص لتعزز فيهم الإحســـاس بالهوية، ولأنها تقـــوي من التضامن المجتمعي. وعليه، فإننا نستطيع القول إن عملية صناعة الأساطير القومية هي عملية مســـتمرة طوال الوقت. وبالطبع، تحتاج تلك القصص إلى تحديث من فترة إلى فترة، مع ظهور معلومات جديدة عن الماضي تســـتلزم خلق أســـاطير جديدة للتعامل مع المراحل الجديدة في تاريخ الأمة. ولذا، يمكن للفرد أن يتوقع احتدام إطلاق الأكاذيب القوميـــة في بداية الحروب، وفي الأحداث عالية التأثير قوميا، والتي تتضمن النزاعات الحادة حول ســـلوك الدولـــة محل الخلاف، والتي بدورها يمكـــن أن تحيي صراعات قديمـــة اندثرت في زمن مضى. وفي مثل هذه الأحوال، تعمل النخبة ليلا ونهارا لإظهار أمتها في أبهى صورة ممكنة، وتظهر الأمم المنافسة في أبشع صورة.

يمكننا كذلك أن نتوقع أن تصبح صناعة الأساطير القومية في أعلى حالاتها عندما يكون هناك خلاف حاد بشـــأن قضايا تتعلق بنشـــأة الدولة. ترتبـــط شرعية الدولة بالظروف والملابســـات التي أحاطـــت بولادتها، وأغلب النـــاس لا يريدون الاعتراف

بـأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئـة. فمقدار الأكاذيب التي تُطلق في هذه الأحوال يعتمد على عاملين: حجم القسـوة والوحشـية التي صاحبت إنشـاء تلك الدولة، ومدى حداثتها.

وبالتحديد، فكلما كانت ظروف إنشـاء الدولة قاسـية وعنيفة، كان هناك مزيد من السـلوك المشـين الذي يتطلب إخفاءه، وبالتالي تـزداد حاجة النخبة إلى الكذب بشـأن ما جرى فعلا وقت إنشـائها. وتعد أسـاطير «تلميع الذات»، كما لاحظ فان إفيرا، أكثر أنواع الكذبات القومية الثلاث[9]. كلما كانت الأحداث حديثة الوقوع، كان الناس على الأطراف المختلفة من النزاع يتذكرونها ويتأثرون بها أكثر. باختصار، عندما يكون إنشـاء الدولة حديثا وقاسـيا، فعلى النخبة أن تكـد وتجتهد أكثر لتلفق قصة تصورهم كأنهم فرسـان نبلاء، وتصور الجانب الآخر بأنهم شياطين. على سبيل المثال، انظر إلى الخمس عشرة دولة التي ظهرت على أثر تفكك الاتحاد السـوفييتي السابق بطريقة سـلمية(*). لم يكن للنخبة في هذه الدول حاجة إلى تلفيق قصص عن كيفية ظهـور هذه الدول إلى حيـز الوجود في العام 1991، لأن تفكك الاتحاد السـوفييتي كان سـلميا(**). (بالطبع، هناك دوافع قوية لتلك الدول للكذب عن نواحٍ أخرى في تاريخها الطويل، وهم يفعلون ذلك على أي حال). على العكس من حالة تلك الدول، نجد إنشـاء إسرائيل والولايات المتحدة، وكلتاهما قـد تورطت في جرائم خطيرة ضد البشر الذين كانوا يعيشـون في تلك الأراضي التي احتُلت وأصبحت تحت الاستعمار. ليس من المسـتغرب أن تبذل إسرائيل وأمريكا جهـودا مضنية لتصوير ذلك التاريخ بأنـه مـشرق بدلا من سرد الوقائع بكل ما فيها من قسـوة. ولكن هـذا لم يعد أمرا

(*) خرج من رحم الاتحاد السـوفييتي 15 دولة جديدة أولاها روسـيا الاتحادية، التي ورثت مقعد الاتحاد السـوفييتي الدائـم في مجلس الأمن الدولي. أما الـ 14 دولة المتبقية فهي أرمينيا وأذربيجان وبلاروسـيا (روسـيا البيضاء) وأسـتونيا وجورجيا وكازاخستان وقيرغيزستان ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وطاجيكستان وتركمانستان وأوكرانيا وأوزبكستان. [المترجم].

(**) على العكس مما جرى في انفصال سـلمي لمكونات الاتحاد السـوفييتي السـابق، وكذلك الانفصال السـلمي بين مكوني تشيكوسـلوفاكيا، لم تسر الأمور بالطريقة نفسـها في يوغوسـلافيا، حيث جرت حروب طاحنة على أسـس عرقيـة وطائفيـة. وحدثت فيها - وعلى الأخص في البوسـنة - مذابح جماعية. وعلى أثر ذلك تأسسـت أول محكمة جنائية دولية خاصة للبوسنة، والتي تمكنت من القبض على أغلبية المتهمين، وكان آخر قضاياها الحكم على رادوفان كارادينـش. أما الدول التي انفصلت عن يوغوسـلافيا السـابقة فهي صربيا وكرواتيا والبوسـنة والهرسـك ومقدونيا وسـلوفينيا ومونتنغرو. وفي حين أعلنت كوسوفو رغبتها في الاسـتقلال، فإنها مازالت تخوض معركة سياسية وقانونية للانفصـال عـن صربيا في أروقة الأمم المتحـدة، خصوصا أنها حصلت على دعم أكثر مـن 109 دول من أعضاء الأمم المتحدة، ومنها الولايات المتحدة وأغلبية الدول الأوروبية. [المترجم].

مقلقا بالنسبة إلى الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، لأن الأحداث الخلافية حصلت في زمن بعيد، فهي تبدو كالتاريخ المندثر. أما إنشـــاء إسرائيل، في المقابل، فهو وجود حديث، وقضية إنشـــائها تعد موضوعا حاليا ومثيرا للجدل، ليس لما للفلسطينيين من صوت عالٍ ومســـموع فحســـب، ولكن لأن عددا قليلا من الباحثين (ومعظمهم من الإسرائيليين أنفســـهم) قد تحدوا هذه الأســـاطير. وكما هـــو متوقع، فلم يغير معظم الإسرائيليـــين، وأنصارهم من الأمريكيين، وجهة نظرهم تجاه نشـــأة إسرائيل، بل هم يضاعفون جهودهم المضنية لتسويق تلك الأساطير.

7

الأكاذيب الليبرالية(*)

«إن أوضح دليل على استقرار قيمنا على مر السنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»

مايكل والزر

تشكلت عبر التاريخ منظومة من الأعراف السائدة التي تبين أشكال السلوك المقبول وغير المقبول بين الدول، سواء في حالة الحرب أو السلم. وترتبط هذه الأعراف ارتباطا وثيقا بنظرية «الحرب العادلة» والأيديولوجية الليبرالية بصورة عامة، وأغلبها صار مصنفا ضمن القانون الدولي.

(*) تعرض مفهوم الليبرالية لكثير من الجدل في أوساط سياسية وثقافية واجتماعية مختلفة. ومن الواضح هنا أن المقصود هو استخدام المصطلح باعتبار الليبرالية الوجه الآخر لعملة القانون الدولي وقوانين الحرب والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، فلسنا في وارد تعريف الليبرالية بمعناها الفكري والنظري، فلذلك مبحث آخر. ما أراد المؤلف قوله هو أن العالم اليوم بمنظومته الدولية وبصرف النظر عن تركيبة الدولة ومنهجها ملتزم ولو من حيث الشكل بإطار اتفاقيات دولية وقانون دولي يغطي كل المجالات تقريبا، وأن الدول عندما تقوم بأفعال مشينة وانتهاكات صارخة في الحروب وغيرها، إنما هي في واقع الحال تناقض تلك التوجهات الدولية. وعلى هذا الأساس ومحاولة منها التغطية على تلك الانتهاكات، تطلق الأكاذيب التي اختار لها مصطلح الأكاذيب الليبرالية. [المترجم].

يُقر معظم رجالات الدولة في أنحاء العالم بمعظم هذه الأعراف الليبرالية، ويقبلون ويؤكــدون التزامهم بســيادة القانون. وعلى الرغــم من ذلك يرى القــادة أحيانا أن مصلحة بلادهــم تضطرهم إلى ما يخالف تلك الأعراف. ويتضمن هذا الســلوك غزو الدول الأخرى من أجل مكاســب إســتراتيجية وشــن حروب وقائية، إضافة إلى شــن حروب بأسلوب وحشي، ينتهك نظرية الحرب العادلة. فعلى سبيل المثال، أوضح أستاذ العلوم السياســية في جامعة ديوك ألكساندر داونز في كتابه الوافي «استهداف المدنيين في الحــرب»(*) أن «حالــة التهور لكســب الحرب، وحمايــة الأرواح مكلفة، وحروب الاستنزاف طويلة الأمد تدفع المحاربين نحو استهداف المدنيين الأعداء»[1]. كما أكد أن «الدول الديموقراطية هي الأكثر احتمالا في أن تســتهدف المواطنين المدنيين من الدول غــير الديموقراطية». ويجب أن نتذكــر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد قتلت عمدا نحو تســعمائة ألف مواطن مدني في اليابان في الأشــهر الخمســة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، لا لخوفها من الهزيمة في الحرب، بل لأنها أرادت أن تكســب الحرب من دون غزو الأراضي اليابانية[2]. وقد صرح الجنرال كيرتس لومي، الذي كان مسؤولا عــن حملة القصف القاتلة حينــذاك: «لو كنا خسرنا الحرب، لكنا ســنحاكم جميعنا كمجرمي حرب»[3].

ولا يقتصر هذا الســلوك الوحشي للدول على زمن الحــرب فقط. فالولايات المتحدة، مثلا، مارســت دورا أساســيا في دفع الأمم المتحــدة إلى فرض عقوبات اقتصاديــة على العراق من أغســطس 1990، حتى مايــو 2003. وقد أدى ذلك الحظــر الاقتصادي والتجاري إلى كارثة إنســانية، راح ضحيتهــا قرابة 500 ألف مدني عراقي وفق تقديرات منظمة يونيســيف[4]. وكذلك قد يعقد رجال الدولة تحالفــات مع دول بغيضة عندمــا يرون أن ذلك التحالف منطقي إســتراتيجيا. فحتــى يهزموا ألمانيــا النازية في الحرب العالميــة الثانية، تعــاون رئيس الوزراء البريطاني ونســتون تشرشــل والرئيس الأمريكي روزفلت مع الرئيس الســوفييتي جوزيف ســتالين، الذي لم يكن مجرد طاغية فقط، بل واحدا من أكثر من اعتمد القتل الجماعي في تاريخ البشرية[5].

(*) Alexander Downes, *Targeting Civilians in War.*

عندمــا تتصرف الدول بطرق تخالف الأعــراف الليبرالية، أو القانون الدولي، يلجأ حكامها في الأغلب إلى تلفيق القصص والأكاذيب وتعميمها بهدف التغطية على ما يفعلون. فلم يكن مســتغربا أن نجد النخب البريطانية والأمريكية - بما في ذلــك الأكاديميون والصحافيــون وصناع القرار - قد بالغــت في أثناء الحرب العالمية الثانية في تجميل صورة ســتالين أمام العــالم، حتى لا يظهر أن بريطانيا وأمريكا يحكمهما أشــخاص قســاة، يتعاونون مع طاغيــة قاتل من أجل هزيمة طاغية آخر[6]. وعليه، فقد وصف ستالين أحيانا بعبارات ودية مثل «العم جو»، في حين جرى التقليل من الاختلافات الجذرية بين النظامين السياســيين الأمريكي والسوفييتي، والإيحاء بأن النظام السوفييتي نظام ديموقراطي أيضا.

وقــد تعرضت جهود الحلفــاء الغربيين في تصوير ســتالين بصورة لا تعكس حقيقته إلى امتحان صعب في ربيع العام 1943، عندما علم تشرشل وروزفلت أن السوفييت قد قتلوا آلافا من البولنديين - معظمهم من ضباط الجيش - في غابة كاتين قبل ثلاث ســنوات في ربيع العام 1940[7]. وكما علق أحد صانعي القرار في بريطانيا: «إنه أمر غريب حقا، عندما نكون نقاتل من أجل هدف أخلاقي، وعندما نسعى إلى التعامل بجدية تجاه مجرمي الحرب، ثم نكتشف أن حلفاءنا متهمون بالجرائم نفســها»[8]. وعلى الرغم مــن ذلك، فقد اتهمــت الحكومة البريطانية مباشرة ألمانيا النازية بتلك الجرائم، وهي تعلم يقينا أن الاتحاد الســوفييتي هو المســؤول عنها. وقد أكدت وزارة الخارجية أن «القصة يجب أن يجري التعامل معهــا باعتبارها محاولة ألمانية لتقويض تضامن التحالف». في حين أصدرت إدارة الحرب السياســية، وهي وحدة حكومية مؤثرة معنية بالدعاية الحربية، تعميما يؤكد أن «من واجبنا التأكد من أن يســجل التاريخ أن حادثة غابة كاتين لم تكن سوى محاولة فاشلة من جانب ألمانيا لتأخير الهزيمة بطرق سياسية»[9].

وهنــاك مثال آخر للأكاذيب الليبرالية نجده في ألمانيا النازية ومحاولاتها المضنية لرمي اللوم على بولندا، بأنها الســبب في اشــتعال الحرب العالمية الثانية في 1 سبتمبر 1939. ففي ذلك اليوم المؤثر، قال هتلر لبرلمانه إنه كان ينتظر بفارغ الصبر منذ يومين «كي ترســل حكومة بولندا موفدها للحديث معه، ولكن لم يصل أحد»[10]. ويفترض مــن معنى كلامه أنه كان راغبــا في الوصول إلى حل ديبلوماسي فيما يخص النزاع بين

الدولتين بشأن مستقبل دانزيغ(*) والممر البولندي(**)، وأن بولندا هي التي لا ترغب في التعاون معه، لأن رؤساءها غير راغبين في السلام. وبعد أن أكد «حبه للسلام»، ادعى هتلر أن بولندا قد أطلقت نيرانها على أهداف في ألمانيا أولا، وأن الجيش الألماني لم يقم إلا بـ «الرد على تلك النيران». وبعبارة أخرى، أن ألمانيا كانت تتصرف دفاعا عن النفس فقط. بيد أن الحقيقة هي أن ألمانيا كانت قد شنت عدة هجمات على ساحل بولندا في 31 أغسطس، ودبرت هذه الهجمات بصورة تجعل بولندا كأنها هي التي بدأت القتال، في الوقت الذي كانت فيه بولندا ضحية لعدوان نازي.

مثال أخير يخص إستراتيجية القصف الجوي البريطاني على ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية. ففي بواكير ربيع العام 1942، بدأت القيادة الجوية حملات القصف الجوي البريطاني على ألمانيا، والتي كان مؤكدا أنها ستؤدي إلى قتل الكثيرين من المدنيين الألمان. غير أن الحكومة البريطانية لم تكن تريد أن يعرف شعبها أنها تعمدت قتل المدنيين، لأن ذلك يعد انتهاكا صارخا لقوانين الحرب. لذلك كذب المسؤولون البريطانيون مؤكدين أن القصف كان منحصرا على الأهداف العسكرية، لأن «القصف المتعمد على المدنيين ممنوع». غير أن ما ذكره المؤرخ ماكس هيستنغز يخالف تلك الرواية، حيث كتب: «من بداية الحرب إلى نهايتها، ظل الوزراء يراوغون - وفي الحقيقة، يكذبون بشكل واضح ومكرر - عن طبيعة القصف الهجومي»[11].

لماذا تلجأ النخبة إلى الأكاذيب الليبرالية؟

ربما يظن الفرد أنه لا حاجة إلى الأكاذيب الليبرالية مادام معظم الناس يدركون بحسهم البديهي أن السياسة الدولية شيء قذر وخطير، وأن للدول أحيانا مبرراتها المنطقية للتصرف بطرق قد تكون منافية للأعراف الليبرالية، أو القانون الدولي. وعلى الرغم من أن هناك شيئا من الحقيقة في هذه المقولة، فإن معظم الناس يفضلون القول، متى ما استطاعوا ذلك، أن دولهم دائما تتصرف بعدالة، وأن أعداءهم على عكس ذلك.

(*) دانزيغ (أو غدانسك) هي مدينة ساحلية بولندية تمتعت بحكم ذاتي وفقا لمعاهدة فرساي (1919) بعد أن كانت تابعة للإمبراطورية الألمانية، وهي موقع اشتعال شرارة الحرب العالمية الثانية، عندما شن هتلر هجومه عليها في سبتمبر 1939. [المحررة].

(**) الممر البولندي هو شريط من الأرض أعطى لبولندا طريقا مباشرا إلى بحر البلطيق، وفق معاهدة فرساي، وكان محل تنازع بين ألمانيا وبولندا. [المحررة].

وعليه، فإن القادة يكذبون أحيانا ليغطوا فظاعة سلوك بلدانهم، لأن شعبهم لا يريد أن يسمع الحقيقة. ويشبه هذا المنطق تماما منطق صناعة الأساطير القومية. وبالطبع، يكذب القادة أحيانا ليصوروا أنفسهم بأنهم على درجة عالية من المسؤولية وملتزمون بالقانون الدولي، وأحيانا يكذبون خشية الوقوف أمام القضاء لاحقا. حتى أسامة بن لادن شعر بحاجة إلى توضيح مبررات القاعدة لقتل الآلاف من المدنيين في 11 سبتمبر[12].

وتبقى الحقيقة أن هناك أناسا كثيرين في العالم يرتبطون بمنظومة الأعراف الليبرالية والقواعد القانونية التي يفترض أن توجه وتقنن سلوك الدولة، ويريدون أن يروا دولتهم تعمل بموجبها. ويوضح ذلك بدقة المفكر السياسي مايكل والزر حين كتب: «إن أوضح دليل على استقرار قيمنا على مر السنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»[13].

علاوة على ذلك، وكما هو الشأن مع صناعة الأسطورة القومية، يلجأ القادة إلى الأكاذيب الليبرالية لكسب المشروعية في الخارج. ولكن العائد في هذه الحالات ربما يكون قليلا وذلك للأسباب نفسها. فـ «الخارجيون» في الأغلب يكون لديهم تقدير جيد لما حدث بالفعل على أرض الواقع، وعن الأحداث الملفقة، وبالتالي فمن الصعب خداعهم. وبالطبع، فمن الممكن في بعض الأحيان خداع عدد من الناس في دولة صديقة ممن لديهم حافز قوي - أيديولوجي أو إستراتيجي - لتصديق أكاذيب ليبرالية محددة. باختصار، فإن الأكاذيب الليبرالية صعبة التسويق في الخارج، وبالأخص عندما تتعلق بالأحداث الراهنة.

متى يُستخدم الكذب الليبرالي؟

في واقع الأمر، فإن كل القادة تقريبا - سواء كانوا يقودون أوتوقراطيات ديكتاتورية أو ديموقراطيات، يميلون إلى تبرير سلوكهم عبر الأعراف الليبرالية أو القانون الدولي، حتى لو كانت أفعالهم نتيجة حسابات دقيقة وإستراتيجية، ومحسوبة بدقة وواقعية شديدة. غير أن ذلك الميل إلى استخدام الخطاب والمنطق الليبرالي لا يسبب أي مشاكل، مادام سلوك الدولة توافق مع التوجهات الواقعية والليبرالية على حد سواء، وهو ما يفترض أن تكون عليه الحال. ومثال لذلك، كان يسهل الدفاع عن مشاركة

أمريكا في حربها ضد اليابان الإمبراطورية وألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية على أسس أخلاقية وإستراتيجية. وربما ينطبق الأمر ذاته على قرار أمريكا باحتواء الاتحاد السـوفييتي في أثناء الحرب الباردة، أو عندما قررت أن تخوض حربها ضد العراق في العام 1991.

بيد أن المشـاكل تبـدأ عندما تتعارض وتتناقض الواجبـات الواقعية مع المثالية. وفي هـذه الحالات تميـل النخبة في المجتمع إلى التصرف بواقعيـة، والتحدث بمثالية وليبرالية، مما قد يتطلب استعمال الخديعة، بما فيها الكذب.

8

الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

«من الصعب تصور استمرارية الحكم الديموقراطي لزمن طويل إذا فقد الشعب احترامه لقادته، ورآهم مجرد حفنة من الكذابين؛ وإذا فقد احترامه لمؤسساته لأنها موغلة في الفساد»

كان تركيزنا حتى هذه اللحظة منصبا على الفوائد الكامنة والمحتملة للكذب الدولي، وعلى تبيان المكاسب التي من الممكن أن يظفر بها القادة لبلادهم حين يكذبون على الدول الأخرى أو على شعوبهم. بيد أنه في المقابل، هناك تكاليف وخسائر مرتبطة بأنواع الأكاذيب الدولية المختلفة، وهناك ثمن يدفع عندما تحقق الكذبة ما قصد من وراء إطلاقها.

ولكي نقيم الجوانب السلبية للأكاذيب الدولية - وأرجو ملاحظة أني قد نظرت إلى الموضوع من وجهة نظر نفعية فقط - فإنه من الضرورة بمكان أن نضع في اعتبارنا كيف كان تأثير كل من أنواع الكذب الخمسة في السياسة الداخلية والخارجية. ولتحقيق ذلك فنحن في حاجة إلى إيجاد معايير مختلفة لتقييم النتائج

السـلبية المحتملـة للكذب في كل مجـال. ولنبدأ من خلال وصف المعيار الأسـاس للسياسة الداخلية.

يؤدي الكذب المتكرر إلى الإضرار الكبير بأي جهاز سياسي، لأنه يخلق ثقافة تضليل مسـمومة[1]. وعليـه فإنه من الذكاء أن يحرص القـادة ومواطنوهم على تقليل حجم الكذب في بلدانهم. غير أن ذلك بالطبع ليس بالأمر السـهل، حيث توجد أحيانا حوافز قوية للأفراد لأن يكذبوا ويغشـوا لتحقيق مآربهم، حتى إن كان لذلك السـلوك الأناني آثاره السـلبية في المجتمـع ككل. فلننظر مثلا إلى ما فعله بيرني مادوف[*]، المسـتثمر المعروف في وول ستريت، والذي احتال على الآلاف من زبائنه بمبالغ تجاوزت مليارات الدولارات. وقد كان له شركاء بالطبع. ولهذا السبب فعلى الحكومات أن تمارس دورها في تقنين ومراقبة سـلوك مواطنيها في مجالات مختلفة، ولهذا تستنكر النخب في أغلب المجتمعات وتدين الكذب في القضايا الاقتصادية والسياسية المحلية.

وعـلى ضوء هذه الخلفية، يثير إطـلاق الأكاذيب الدولية مخاطر كامنة ومخاوف عميقـة. وبالتحديد، فإنه من المحتمل أن يكون للكذب في قضايا السياسـة الخارجية مـردوده العكسي على الحياة اليومية داخل حـدود البلد. وبعبارة أخرى، فإن الكذب الصريـح في السياسـة الدولية - حتى لو كان يتبع منطقا إسـتراتيجيا - قد يتسرب إلى مسرح الأحداث المحلي ويسبب مشاكل كبيرة بشرعنته لعدم الأمانة في الحياة اليومية. إن المبالغـة في اللجـوء إلى التغطية والإخفـاء والتلفيق قد تؤدي أيضـا إلى نتائج غير

(*) يعد بيرني مادوف، وهو من مواليد 1938، واحدا من أكبر المحتالين في العصر الحديث. وهو محتال أمريكي كان رئيسـا لناسـداك «سوق الأسـهم» حتى قبيل القبض عليه في 2008. وكانت شركته بيرنارد مادوف للاستثمار من أهم الشركات الصانعة للأسـواق المالية في الولايات المتحدة. وظف عائلته: أخاه بيتر وابنة أخيه شـانا وابنيه مارك وأندرو في الشركة، واحتفظ هو بإدارتها بسرية عالية. وقد حكم على أخيه بيتر بعشر سنوات سجنا، أما ابنه مارك فقد انتحر شنقا بعد سنتين من القبض على أبيه، ومات أندرو بالسرطان في 2014.

أدار مادوف شركته ضمن ما يعرف بنظام بونزي للاحتيال. وهو نظام للتلاعب بالأسهم من خلال استدراج المستثمرين عـن طريق إقناعهم بتحقيق أرباح عالية، بينما يجري التلاعب بأموالهم بحسـابات وهمية. وفي 10 ديسـمبر 2008 تقدم ابنا مادوف مارك وأندرو للسلطات المعنية ليبلغا بأن أباهما قد اعترف لهما بأن كل أعماله التي يديرها هي من نظام بونزي، وقال لهما إن كل شيء كان كذبة كبيرة. ومباشرة تحركت السلطات المعنية وألقت القبض عليه وأودعته السـجن ووجهت له اتهامات بالاحتيال. علما أن شكاوى عديدة سـابقة حوله كانت تصل إلى الجهات المعنية ولكن يجري تجاهلها. وفي مارس 2009 اعترف مادوف بـ 11 تهمة وخداعه آلاف المسـتثمرين بمليارات الدولارات. وتقدر الأموال المفقودة بما يقارب 65 مليار دولار. حكم عليه بالسجن 150 عاما وهي المدة الأقصى المسموح بها. لمزيد انظر:
Erin Arvedlund, *Too Good To Be True: The Rise and Fall of Bernie Madoff*, Portfolio, 2009.

محمــودة، ولكن كل أنواع الخداع تلك لا تقارن خطورتها بالضرر الذي يحدثه الكذب المتفشي الصريح.

للكــذب الروتينــي أربع نتائج ســلبية في الحياة داخل الدولة، وهي أشــد وطأة خصوصا على الأنظمة الديموقراطية. فعندما ينتشر الكذب على نطاق واســع فإن ذلك يجعــل تصويــت المواطنين على قضايا معينة، أو على مرشــحين، أكــثر صعوبة، وذلك ببســاطة لأنهم ربما يكونــون قد بنوا قراراتهم على معلومــات مغلوطة وكاذبة. كيف للناخب أن يحاســب الســياسي أو القائد، عندما يكون من المســتحيل معرفة حقيقة أفعاله؟ تنجح الديموقراطيات عندما تتضمن ســوقا لتبــادل الأفكار وتلاقحها، وهو ما يمكــن حدوثه فقط عندمــا يتمكن المواطنون من الحصول عــلى المعلومات الموثوقة، وعند توافر مستويات عالية من الشفافية والأمانة.

ويؤدي كذب المســؤولين الحكوميين - بعضهم عــلى بعض أو على الجمهور - إلى إعاقة عملية صنع القرار في الدولة، سواء أكان ذلك في دولة ديموقراطية أم غير ذلك[2]. والســبب الرئيس لذلك هــو أن تكاليف عالم الأكاذيب والخديعــة باهظة جدا، لأن صناع القرار حينها لن يثق بعضهم ببعض، وبالتالي سيبذلون جهودا مضاعفة، وأوقاتا طويلة للتحري والتأكد تماما من أن المعلومات التي بين أيديهم صحيحة. ولكن، حتى لــو بذلــوا الجهود اللازمة، فقد ينتهــي بهم الأمر دون الحصول عــلى كل المعلومات المطلوبة، فتكون قراراتهم مبنية على معلومات زائفة، مما يزيد من احتمالات انتهاج سياسات خاطئة.

عــلاوة عــلى ذلك، فقد يقوض الكذب المتكرر ســيادة القانــون، الذي هو بمنزلة القلب بالنســبة إلى الحياة الديموقراطيــة. ولخص ذلك باقتــدار باتريك فيتزيجيرالد، المدعي العام الذي دان موظف البيت الأبيض لويس (ســكوتر) ليبي في أكتوبر 2006 بسبب كذبه بشــأن دوره في كشف هوية أحد العاملين في الاستخبارات المركزية، حين قال: «الحقيقة هي بمنزلة المحرك لنظامنا القضائي. فإن ســاومت على الحقيقة، فقدت كل شيء»[3]. وبالطبــع، فقد وجدت القوانين جزئيا لمعاقبة الكذب، ما يعني أن هناك قــدرا متوقعــا من عدم الأمانة في أي مجتمع. ولكن لا يجــب للكذب أن ينتشر؛ لا بد من مســاحة كبيرة من الأمانة والثقة في الحياة العامة لكي يكون أي نظام قانوني فعالا وكفؤا. فلنأخذ، على ســبيل المثال، حكاية جورج ريان، الحاكم الســابق لولاية إلينوي،

الذي كان مؤيدا لتطبيق الإعدام، بيد أنه اضطر إلى تعليق كل أحكام الإعدام في ولايته لوجـود أدلـة قاطعة ومقنعة على أن معظم المسـاجين الذين ينتظـرون تنفيذ حكم الإعدام قد أدينوا بناء على إفادات كاذبة وأخطاء أخرى[4].

وأخـيرا، إن تفـشي الكذب في دولـة ديموقراطية قـد يجعل المواطنين يشـعرون بالاغـتراب إلى درجة فقدان الثقـة بحكومتهم الديموقراطية، مما قد يدفعهم إلى تأييد شـكل من أشكال الحكم التسـلطي. وعلى كل، فمن الصعب تصور استمرارية الحكم الديموقراطـي زمنـا طويلا إذا فقد الشـعب احترامه لقادته، ورآهـم مجرد حفنة من الكذابـين، وإذا فقد احترامه لمؤسسـاته لأنها موغلة في الفسـاد. وخلاصة القول، فإن الكذب الكثير يسبب أضرارا جسيمة لأي جهاز سياسي.

ولتغيير مسار النقاش، فلنسأل كيف يمكن أن يؤثر الكذب الدولي سلبيا في سياسة الدولة الخارجية؟ كما أكدنا سـابقا، يكذب الحكام بعضهم على بعض وعلى شعوبهم، لإيمانهم بأن ذلك الكذب يخدم المصلحة الوطنية. وتبقى الحقيقة المؤسفة أن الكذب، أحيانـا، يكـون منطقيا من الناحية الإسـتراتيجية. فإن لم يكن كذلـك انتفت المبررات لأنـواع الكذب المتنوعة الموصوفة في الفصول السـابقة. ومع ذلـك، تنتج من الكذب أحيانا ارتدادات عكسـية سـلبية، فينتهي الأمر بالدولة إلى حال أسوأ مما كانت عليه قبل إطلاق الكذبة. وعليه، فإن السؤال المحوري لتقييم التعقيدات الناتجة من الكذب الدولي هو: ما أنواع الأكاذيب التي من المحتمل أن تنتج منها ارتدادات عكسية وتؤدي إلى نتائج استراتيجية ضارة؟

إجمالا، إن «احتمالية الانتكاسة العكسية» هي المعيار لتقييم نتائج الكذب الدولي عـلى الجبهة المحلية، بينما احتمالية «الارتدادات السـلبية» والإضرار بالدولة أكثر من نفعها هو أفضل معيار لتقييم الأثر في محيط السياسة الخارجية.

مخاطر الكذب بين الدول

مـن غير المرجح أن يؤدي كـذب الدولة على دولة أخرى إلى مشـاكل في الجبهة الداخلية. وعادة ما تكون خطورة الانتكاسـة العكسية بسيطة، لأن القادة لا يكذبون كثيرا بعضهم على بعض. بيد أن السـبب الرئيس لذلك هـو أن معظم الناس يعلمون أن القواعـد الحاكمة للسياسـة الخارجية غير تلك التي يجري العمل بها في السياسـة

المحلية. وعلى الأخص، هم يعلمون أن على القادة أن يكذبوا أحيانا في بعض التعاملات مع دول أخرى، خصوصا إذا كان التعامل مع عدو خطير. وأيا كان الموقف، فإن الكذب مقبول على نطاق واسـع، وإن كان كريها، كسـلاح إسـتراتيجي في السياسة الخارجية. ولهذا السـبب، فمـن النادر، أن يعاقب القادة والديبلوماسـيون عندما يُكشـف عن كذبهـم على دولة أخرى. وعـلى العكس من ذلك، يعتبر الكذب عامة خطأ حين يكون الموضـوع محليـا، لأنه نادرا ما يكـون هناك خطر عـلى الدولة عندمـا يتعلق الأمر بالسياسة الداخلية أو المحلية.

وقد يبدو من غير المنطقي تصنيف الكذب بين الدول بالطريقة التي وصفتها آنفا من دون أن نشجع على شرعنة الكذب على الجبهة الداخلية. بيد أن هذا غير صحيح؛ فبالإمكان رسم حدود منطقية تبين لنا متى يصبح الكذب مقبولا ومتى لا يكون كذلك. ولنتذكر أن معظمنا يقبل حقيقة أن الكذب مسموح به في حالات استثنائية في حياتنا اليومية، من دون أن يجعل منه سـلوكا مقبولا في الظروف العادية. فمثلا، عندما كنت طالبا في أكاديمية وست بوينت العسكرية في أواخر الستينيات، كان هناك ميثاق شرف صارم يشـترط على الطالـب ألا يكذب، ولا يغش، ولا يسرق، وألا يتسـامح مع أولئك الذين يمارسـون تلك السـلوكيات. ولكن، كان مسـموحا لنا بالكذبة البيضاء - وكانت تسـمى «الـشرف الاجتماعي» - في حالات قد نؤذي فيها شـعور الآخرين في موضوع تافه. وللدلالة على ذلك سـأذكر مثالا من ذلك الوقت: فإذا زرت منزل قائدك المباشر وقدمـت لك زوجته طعاما رديئا، كان من المقبول أن تقـول لها إن الطعام كان جيدا ولذيذا. ولكننا كنا مدركين أن إطلاق كذبة في مواقف اجتماعية حرجة كهذه لا يمنحنا الرخصة لأن نكذب في ظروف أخرى.

وكـما لاحظنا، ينطبق المنطق نفسـه على النـاس في تفاوضهم حـول شراء منزل أو سـيارة. فالوضع يسـمح لكل من البائع والمشـتري بأن يكذب ويغش بشأن السعر التحفظي، كجزء من قواعد لعبة البيع. غير أن ذلك لا يعني أن الكذب مسموح به في أمور أخرى. والسياسـة بين الدول هي أيضـا مجال آخر يعتبر فيه الكذب أمرا مقبولا، حيث لا توجد مجازفة أو انتكاسات عكسية.

وبالانتقال إلى النتائج الدولية، فلا شـك في أن للكذب بين الدول نتائجه السـلبية، مثلما تفشـل أي سياسة فتسبب ضررا للمصلحة الوطنية. ولكن لا شيء مميزاً بالكذب

الدولي يجعله عرضة للنتائج العكسية السلبية، كما هي الحال في نقاشنا عن استعمال إثـارة الذعر والتغطيات الإسـتراتيجية. وكذلـك، فإن الضرر الذي يقع عندما يفشـل الكذب بين الدول ليست له تكاليف عالية، وإن كانت له تكاليفه.

والكذبة التـي يطلقها رجل الدولة أو الدبلوماسي لدولة أخرى قد تضل طريقها بطريقتين: أولا، يمكن أن تكتشف مبكرا وحال إطلاقها، فلا تؤدي غرضها المنشود. ولكن ما العواقب للقادة الذين أطلقوا الكذبة؟ ليس من المتوقع أن تكون العواقب وخيمة، لأن الحافـز للانتقام ليس بالقوة الكافية، ولأن الكذبة اكتُشـفت قبل أن تحدث ضررا للدولة المستهدفة التي لن يكون لديها، في العادة، طرق جيدة لعقاب الكاذب. وواحد من أشـكال العقاب المحتمل هـو إحراج الكاذب، ولكنها عقوبة بسـيطة حقا. وهي عقوبـة غير فعالة في الأغلب، لأن أغلبية الناس يدركون أن القادة يكذب بعضهم على بعض لمصلحة بلدانهم. وكذلك فإنه من الصعب توبيخ قائد استنادا إلى ذلك، حتى لو لم تنجح كذبته وضبط متلبسا.

ولربمـا تنتقم الدولة المسـتهدفة بوقـف المفاوضات الجارية، أو انتهاج سياسـة متشـددة تجاه الدولـة التي حاولت خداعها. وفي هذه الحالة فإن الكذبة المكشـوفة سـوف تسـبب توترا في العلاقات بين الدولتين. ولكن من المحتمل ألا يحصل شيء من هـذا، ليس لأن الكذبة قد كشـفت ولم تسـبب الأذى المطلوب، ولكـن - كما ذكرت في مـرات متكـررة - لأن الكذب بين الدول هو أمر مسـلم به. لا شـك في أن الكذبة المكشوفة سوف تؤدي إلى توتر العلاقة بين دولتين، لكنها لن تكون الدافع الوحيد، بل بالتأكيد ستكون هناك خلافات ونزاعات اقتصادية وسياسية أخرى بينهما.

ويعد موقف حكومة آيزنهاور في ربيع العام 1960، حين ضبطت متلبسة بالكذب الصريـح حول حادثة طائرة يو 2، مثالا جيدا للنتائج المرتدة العكسـية[5]. فقد شـعر الرئيس آيزنهاور نفسـه بالإذلال عندما كشـفت تلك الأكاذيـب، ولكن الأهم أنه كان حينها يستعد للقاء الرئيس السـوفييتي نيكيتا خروتشوف. وكان كلاهما يريد تحسين العلاقة بين القوتين العظميين، وتهدئة سـباق التسـلح النووي. بيد أن القمة فشـلت بسـبب كذب الحكومة الأمريكية عـن طبيعة مهمة الطائرة. ولكن السـبب الرئيس لفشـل القمـة هو أن الحادثة قد كشـفت للجميع أن الولايـات المتحدة قد انتهكت الأجواء السـوفييتية، واستخدمت طائرات تجسس على الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي

ســبب مشاكل كثيرة للرئيس خروتشوف في الجبهة الداخلية، وأصبح من الصعب عليه التعاون مع آيزنهاور. وباختصار، كان للأكاذيب التي أطلقها الرئيس ومستشــاروه إلى موسكو أثر ما، ولكن ليس لدرجة كبيرة.

ومــن الممكن القــول إن الضبط متلبســا بقول الكذب قد يؤذي ســمعة الدولة وبالتالي يســبب أضرارا لوضعها الــدولي. وكما لاحظنا، فإن ســمعة الدولة مهمة على مستوى السياسات الدنيا[6]. إذا اعتادت الدولة أن تمارس الكذب في تعاملها مع الشأن الاقتصادي وغيره من الأمور السياسية الأخرى، فسوف توصف بعدم الأمانة، مما يجعل الــدول الأخرى تتردد في التعاون والتعامل معها مســتقبلا. وربمــا يكون هذا هو أحد الأســباب الذي يجعل الكذب بين الدول نادرا على مســتوى السياســات الدنيا، مما لا يعطي وزنا كبيرا لمسألة سمعة الدولة في هذا المضمار.

وفي مجال السياســات العليا، التي يبدو أن الكذب فيهــا أكثر ظهورا، وإن لم يكن مألوفا تماما، فإن الســمعة لا تهم كثيرا[7]. عندما يتعلق الأمر مباشرة بأمن الدولة، فإن قادتهــا لن يعيروا اهتماما كبيرا لســمعة الدول الأخرى، لأنهــم في المقابل لا يمكن أن يكونوا متأكدين أنهم لن يخدعوا من قبل دولة ذات ســمعة طيبة. فإذا كانت الدولة قد صدقت عشر مرات متتالية، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن تصدق في المرة الحادية عشرة. إن الانخداع بالأكاذيب عندما يتعلق الأمر بالسياســات الدنيا ليست له أهمية كبيرة، ولكن الأكاذيب ســوف تكون لها عواقب وخيمة إذا كان بقاء الدولة ذاتها على المحك. وعليه، فعندما يتعامل القادة مع قضايا تخص الأمن القومي، فإنهم لا يأخذون الســلوك الســابق للدول الأخرى في الاعتبار، ما يعني أن الســمعة السيئة ليست ثمنا باهظا مقابل الضبط متلبسا بالكذب.

وثانيــاً، قــد يؤدي الكذب بــين الدول إلى نتائج عكســية مرتــدة بطريقة أخرى. وبالتحديــد، قــد تظــل الكذبة زمنا طويلا من دون أن تكتشــف، ولكــن، قد لا تؤدي غرضها المنشــود فتترك الدولة التي أطلقتها في وضع أســوأ. لكن، وبعبارة أخرى، يمكن أن يطلق القائد كذبة تفشل في تحقيق المقصود منها. وأفضل مثال على هذه الظاهرة، هو عندما كذب خروتشــوف عن قوة ســلاحه في أواخر الخمسينيات. فقد بالغ جدا في وصــف قدراته الحربية ليقنع الولايات المتحدة الأمريكيــة بألا تهدد أو تهاجم الاتحاد الســوفييتي، وأن تحترم مصالح وطموحات موســكو حول العــالم. ولكن كذبة الفجوة

الصاروخية قد أخافت أمريكا فأشعلت فيها روح المنافسة والحماس، فكثفت من سباق التسـلح في الوقت الذي كان خروتشـوف يهدف إلى أن يهدئ من هذا السباق، ليوجه الإنفـاق إلى البرامـج الاقتصادية والاجتماعيـة. وكما يوضح هذا المثـال، فحتى الكذبة المحكمة قد ترسل نيرانها العكسية لتكشف الخلل في السياسة التي ارتكزت إليها.

مخاطر إستراتيجية إثارة الذعر

من الأرجح أن تكون لإستراتيجية إثارة الذعر - وهي ليست كالأكاذيب التي يطلقها القادة بعضهم على بعض - آثارها السلبية الوخيمة في سياسة الدولة الداخلية والخارجية. وابتداء، هناك احتمال كبير للانتكاسـة العكسـية؛ فالقادة الذين يلجأون إلى إستراتيجية إثارة الذعر يكشـفون جانبا من الاسـتخفاف بشـعوبهم، وبالديموقراطية بصورة عامة. وعلى كل، فهم يكذبون لأنهم يعتقدون عدم قدرة شعوبهم على فهم ومساندة السياسة الخارجيـة المزمع انتهاجها، حتى لو قُدِّم إليهم تقييم مبـاشر للتهديد المتوقع والظروف المحيطـة. ولذلـك، ولضمان تبني الدولة السياسـة الخارجية الصحيحـة، يصبح تضخيم التهديد، بتلفيق القصص عن العدوان والتورط في أنواع أخرى من الخداع، ضروريا.

إن مشـكلة هذا النوع من السـلوك هي أن نظرة القادة الدونية إلى شعوبهم قد ترتد سـلبا عليهم على الصعيد المحلي، فبمجرد أن يصبح القادة مقتنعين بأن شعوبهم قـد لا تفهـم القضايا المهمة في السياسـة الخارجية، وبالتالي لا بد مـن خداعهم، فإن المنطـق ذاته لن يكون بعيدا عـن التطبيق على القضايا الداخلية. وفي الأسـاس، فإن إسـتراتيجية إثارة الذعر مربكة لدرجة يصبح مـن الصعوبة معها بناء جدار عازل بين السياسـتين المحلية والخارجية؛ لأن العلاقة بين القادة وشعوبهم هي العلاقة نفسها في المضماريـن. وهذا بالطبع من دون إنكار أن الدوافع إلى اسـتخدام الخداع تكون أكبر عندما تتعلق المسألة بالسياسة الخارجية، وذلك لكونها مرتبطة بأمن الدولة القومي.

إن إسـتراتيجية إثـارة الذعر معرضة لأن تترك آثارا سـلبية وإخفاقا في السياسـة الخارجية، وأسـاس المشـكلة هو أن النقاش العام حول التهديـد لا يمكن إلا أن يكون مشوها، مادام القادة مصرين على خداع شعوبهم بشأن الخطر الذي تواجهه بلادهم. فهم في الأساس لا يعتقدون أن تقييما صادقا وأمينا للخطر المحدق بالبلاد كاف لحمل الشعب على التجاوب بشكل صحيح. وبالطبع، قد يكون الشعب نفسه - تحت بعض

الظروف - هو العقبة في التعامل مع الخطر بصورة إيجابية وفعالة، مما يجعل اللجوء إلى سلاح إثارة الذعر إستراتيجية منطقية. وبالفعل، فإن مثالا جيدا على هذا هو موقف الرئيس روزفلت، عندما لجأ إلى الكذب بشأن حادث المدمرة الأمريكية غرير Greer في 1941، والذي يمكن اعتباره من أجل المصلحة العامة؛ لأن الشعب الأمريكي لم يقدر الخطر الماثل للولايات المتحدة من ألمانيا النازية تقديرا جيدا [8].

ولكن في المقابل، من المحتمل - وربما من المرجح - أن يكون الشعب ذكيا ومسؤولا، وأن القادة أنفسهم هم العاجزون عن فهم الموقف بصورة صحيحة، مما ينتج سياسة خرقاء. وهذه النتيجة متوقعة، وتحديدا إذا كانت الدولة تواجه معارضة قوية من الخبراء خارج الحكومة، ومن شريحة عريضة من المواطنين. فلو قدم الحكام حججا منطقية لتمكنوا من الدفاع عنها في مضمار المناقشات الدائرة، من دون الحاجة إلى الكذب على الجمهور، خصوصا الخبراء العارفين ببواطن الأمور، فعندما يضطر القائد إلى اللجوء إلى أسلوب إثارة الذعر، فإن هناك احتمالا بأنه لم يقرأ حيثيات التهديد المفترض قراءة جيدة، وأن تقييم الشعب للأمور هو الصحيح. فإذا كانت الحالة كذلك، وانتهجت الحكومة سياسة خطأ، فذلك بالتأكيد سيقود إلى مشكلة خطيرة.

وكذلك، إذا كذب القادة من أجل الدفع بسياسة خطأ، فمن الأرجح أنهم سيفقدون السند الجماهيري حالما يعلم الشعب أنه قد جرى تضليله، لتتضاعف بذلك مشكلات الدولة. كان هذا ما حدث بالضبط لحكومة الرئيس جونسون في حرب فيتنام، وكما حصل لحكومة بوش في حرب العراق. حيث أصبح واضحا في الحالتين، عندما ساءت أمور الحرب، أن القادة قد استخدموا كثيرا من الكذب والخداع للحصول على الدعم. أما إذا اكتشف الشعب أن القادة والديبلوماسيين قد كذبوا في سياسة قد حققت أهدافها بنجاح، فمن المحتمل ألا يعاقبهم على ذلك؛ لأن لا شيء يقارن بالنجاح في السياسة الدولية. وهذا المنطق بالطبع، يقنع صناع القرار بأنهم يمكن أن يفلتوا من العقاب باستعمال أسلوب إثارة الذعر.

مخاطر التغطيات الإستراتيجية

قد يؤدي كذلك أسلوب التغطيات الإستراتيجية إلى مشكلات جمة داخل البلاد وخارجها؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، بشأن سياسات فاشلة أو مثيرة للجدل،

يظنون أن شــعوبهم عاجزة عن التعامل مع هذه الأمور بذكاء. وكما هو الوضع في حالة اللجوء إلى إثارة الذعر، يكون الوضع مهيأ لحدوث انتكاســات عكســية؛ لأن صناع القرار الذين يحملون هذه الأفكار، ســينجرفون بســهولة للظن أن الشــعب عاجز عن التعامل مــع القضايا المحلية المهمة كذلك، مما يفتــح أبواب الخديعة والكذب على مصاريعها في الجبهة الداخلية، والنتيجة بالتأكيد ستكون عواقب وخيمة على صعيد السياسة الداخلية.

تعتمــد احتــمالات حدوث المصاعب، عــلى صعيد السياســة الخارجية، على نوع التغطية والتستر وتطوراتها، فلننظر في المقام الأول إلى حالة إخفاء سياسة مثيرة للجدل، وكيف بالإمكان أن تحدث نتائج عكسية. قد يتبنى القائد خلسة سياسة معينة، كانت قد خضعت لنقاش مســتفيض مفتوح انتهى باقتناعه بأن هذه السياســة هي لمصلحة البلاد، على الرغم من أنها لم تجد التأييد الكامل من المواطنين. وفي حالة أخرى، قد يجد القائد نفســه مضطرا إلى تبني سياســة في الخفاء، قبل أن تحظى بنقاش شعبي واسع، لأنه يعتقد أن تبنيه تلك السياســة سوف يواجه بمعارضة قوية، وفي كلا السيناريوهين على القائد أن يكذب إذا سئل عن تبنيه السياسة المعنية.

هناك احتمال كبير لحدوث نتائج عكسية عنيفة من جراء تغطيات وإخفاءات من هذا النوع؛ لأنه كلما عجز القادة عن تســويق سياساتهم لجماهيرهم بأسلوب منطقي شرعي، فمن المحتمل أن تكون المشــكلة في السياســة نفســها، وليســت في الجمهور، ويكون هذا صحيحا إذا واجهت السياسة اعتراضا كبيرا من الخبراء من خارج الحكومة. غير أنه في السيناريو الأول، كان هناك نقاش عام للسياسة المراد تبنيها على الأقل، حيث اضطر القادة خلالها إلى أن يستمعوا، ويتفاعلوا مع مخاوف معارضيهم، بما في ذلك آراء الخبراء والذين يعلمون كثيرا عن تفاصيل الأشــياء، فقد يحمل هذا الأســلوب التفاعلي الحكام على التفكير مليا في القرار الذي ســيتخذونه، مما يقلل من احتمالات التغطية على سياسة فاشلة. ويضاف إلى ذلك، أنهم ربما يكتشفون بعض النقائص والمشكلات في جوانب من السياســة التي يفضلونها، فيعالجون ذلك الخلل بطرق ذكية. أما بالنســبة إلى السيناريو الثاني الذي يفتقر إلى أي نقاش عام، فإنه تقل فيه فرص اكتشاف الخلل، وتقل فرص المعالجة، وبالتالي يرجح أن تعاني السياسة الفشل.

وبالرجوع إلى الأنواع الأخرى من التغطية - لإخفاء سياســة فاشــلة - فإن حدوث نتائج عكسية قد يبقى مسألة خلافية، مادامت السياسة المعنية قد فشلت بالفعل. غير

أن ذلك غير صحيح، حيث تعني تغطية السياسة الفاشلة، والتي تتضمن حماية الأفراد المسـؤولين عن ذلك الفشل، وليس إعفاءهم مباشرة من مهامهم، أن السياسة الفاشلة ستظل مستمرة، أو على الأقل جزءا منها، لزمن معين، وهي نتيجة غير مرغوبة، وأوضح مثال على ذلك كان حماية المارشال جوفري وإدارته العسكرية لمعركة فردان ضد ألمانيا، مما أدى إلى اسـتمرار سياسته الفاشلة طوال الشـهور العشرة التي استغرقتها المعركة. كان من الممكن أن يكون الجنود الفرنسيون في وضع أفضل لو استُبدل بجوفري جنرال آخر أكثر كفاءة مبكرا خلال المعركة.

كذلك فإن تغطية السياسات الفاشلة قد تؤدي إلى كوارث أكثر، ليس فقط بسبب الإبقاء على أشخاص غير مؤهلين في مراكز عليا لفترة من الزمن، ولكن لأن الانشغال بالتغطية يعيق كفـاءة نظـام الأمن القومي عن أداء مهمته بالشـكل المطلوب، مـما يجعل من الصعوبة محاسـبة صناع السياسات والقادة العسكريين وتحميلهم المسؤولية عن أفعالهم، فلا يمكن لأي مؤسسـة أن تعمل بكفاءة من دون محاسـبة ومسـؤولية على كل مستويات العمل. وأخيرا، إذا ظلت السياسة الفاشلة مخفية لمدة طويلة، فمن الصعب أن يكون هناك نقاش ذو فائدة عن أسباب الخطأ، وعن التدابير الناجعة لتلافي تكرار ذلك الخطأ في المستقبل.

والخلاصة هي أن التغطيات الإسـتراتيجية قد تكون أحيانا ضرورية، ولكنها تحمل في طياتهـا مخاطر كثيرة، لأنها تتضمن احتمالات كامنة لحدوث نتائج عكسـية حادة، كما أنها قد تفسد الحياة اليومية في الجبهة الداخلية.

مخاطر صناعة الأسطورة القومية

ليـس من المحتمل أن يسـبب الكذب من أجل تخليد الأسـاطير القومية أضرارا في الجبهة الداخلية، ولا عواقب وخيمة على السياسة الخارجية. وليس هناك خوف أو خطر من الانتكاسـات العكسية، لأن معظم الناس يكونون مأخوذين بهذه الأساطير وسحرها، مـن دون التعامـل معها بواقعية. وقد يـرون أنها حقائق جوفاء، ولكنها ليسـت كذبا، ولا تشـويها لوقائع تاريخية. وقد التقط جورج أورويـل(*) خديعة الوهم الجماعي من القومية، قائلا: «إن القومية هي تعطش إلى السـلطة، يعززه خداع للذات؛ فالقومي قد

(*) جـورج أورويـل (1903 - 1950)، هـو صحافي وروائي بريطاني اشـتهر بكتاباته المناهضة للأنظمة الشـمولية، والمؤيـدة للعدالة الاجتماعية والاشـتراكية والديموقراطية، مثل روايتي «ألف وتسـعمائة وأربعة وثمانون» (1949)، و«مزرعة الحيوانات» (1945). [المحررة].

يقوم بأفعال مفرطة في عدم الأمانة، ولكنه في الوقت نفسه يرى نفسه على حق، إذ يرى نفســه مدافعا عن أمر أســمى منه»[9]. بل إننا نجد أنه حتى المتعلمون والنخبة المثقفة المســتنيرة يقعون ضحايا لهــذه الظاهرة، فينتهون بتصديــق أكاذيبهم، وفي هذه الحالة لا يكون التعامل معها باعتبارها أكاذيب. وكما لاحظ الباحث ريتشــارد نيوســتادت «أن قدرة اللغة البيروقراطية على تضليل الرؤى وعرضها علنا أمر لا يمكن أن يستهان به»[10].

وماذا عن السياســة الخارجية؟ أكد عدد من الباحثين البارزين في هذا الصدد، بمن فيهم المؤرخ بول كنيدي من جامعة ييل وستيفن فان إيفيرا، أن هذه الأساطير القومية قد تضلل الدول أحيانا لتتصرف بحماقة[11]. وفي الحقيقة، فإن هذه الأساطير قد تحرك الدول نحو التصرف بعنف تجاه جيرانها، نحو رفض حل النزاعات القابلة للحل بطريقة سلمية. وقد قيل أيضا إن الأساطير القومية، على سبيل المثال، كانت السبب الرئيس في ســلوك ألمانيا العنيف أوائل القرن العشرين - بما فيه البدء بالحرب العالمية الأولى. كما يقال إن الأســاطير الشوفينية عن تاريخ إسرائيل هي أحد الأسباب الرئيسية وراء رفض الإسرائيليين الســماح لأن تكون للفلسطينيين دولة حقيقية، مما جعل وضع حد للنزاع الطويل أمرا مستحيلا.

غــير أن هذا المنظور غير صحيح، لأن المؤشر الســببي يشــير في الاتجاه المعاكس؛ حيث تؤدي السياســة الخارجية إلى خلق الأساطير القومية، وليس العكس. وبالتحديد، فإن الخطاب القومي، قد جرى تفصيله ليتناســب مع ســلوك الــدول، والمدفوع غالبا بحســابات أخرى. ومثال ذلك، أن ســلوك ألمانيا العدواني، حتى بداية الحرب العالمية الأولى، قــد فرضتــه مخاوف حول تــوازن القوى في أوروبا، وجاءت الأســاطير القومية في ألمانيــا لتبرر ســلوكها العدواني[12]. كما أن مســاعي إسرائيل للســيطرة على كل ما كان يعرف بفلســطين الانتدابية، ورفضها تأسيس الدولة الفلسطينية، كانا جزءا مركزيا في صميم المخططات الصهيونية منذ إنشــائها في العــام 1880 [13]. وجاءت كل أفعال وسلوكيات إسرائيل، منذ تأسيسها في العام 1948، متسقة وملتزمة بالرؤية الصهيونية، ولم تكن منســاقة بأي من الأســاطير القومية التي اخترعهــا الإسرائيليون. كان الهدف الرئيس من هذه القصص المختلقة هو تحســين سمعة إسرائيل، وتطهيرها من سلوكها العنيف وقســوتها تجاه الفلسطينيين، كي يصدق الإسرائيليون وحلفاؤهم في الخارج أن إسرائيل دائما على صواب، وأن الفلسطينيين دائما على خطأ.

بالطبـع، كل هذا لا ينكر أن القومية قد تكون سـببا قويا للحرب. وبالفعل، فقد كانـت القومية هـي الأيديولوجية الأقوى في القرنين الماضيين، وقد أدت دورا أساسـيا في تمزيـق بعض الـدول والإمبراطوريات، كما قادت بعض الدول إلى شـن حروب على جيرانها، ومثال ذلك بسمارك الذي شن حروبا وكسبها في الأعوام 1864 و1866 و1870 مدفوعا بقوميته واعتباراته الأمنية[14]. ولم يكن هدفه حينها توسـيع بروسـيا وجعلها آمنة فقط، ولكنه كان يسـعى إلى توحيد ألمانيا الكبرى. وعلينا أن نتذكر أن الصهيونية هي واقعيا القومية اليهودية، ولم يكن ممكنا أن يأتي الصهاينة من جميع أنحاء أوروبا ليكوِّنوا دولة يهودية في فلسـطين من دون أن يتعاملوا بعنف وقسـوة تجاه الشعب الـذي كان يعيش في تلك البقعة من الأرض. وبالتالي، فإن القومية هي أحد الأسـباب الرئيسـة للحرب، ولكن لا ينطبق هذا الأمر على الأسـاطير التي تصاحبها. فعلى الأكثر، للأساطير تأثير من الدرجة الثانية أو الثالثة في سياسة الدولة الخارجية.

التكاليف الكامنة للأكاذيب الليبرالية

ليسـت للأكاذيب الليبرالية أيضا آثار سلبية مهمة على الصعيد المحلي أو السياسة الخارجيـة. وينطبقُ الوهم الذاتي نفسـه الذي يصاحب خلق الأسـاطير القومية على الأكاذيب الليبرالية: يعتقد معظم الناس أن الكذب لم يحصل، لأنهم يميلون إلى تصديق أن دولتهم تتصرف دائما بنبل، وعليه فليس هناك أي خطورة من أي ارتدادات عكسية. ولكـن، حتى في الأحـوال النادرة التي لا تنجـح فيها الأكاذيـب الليبرالية كما ينبغي، ويدرك الجمهور أن الدولة قد تصرفت بصورة غير أخلاقية، أو غير قانونية، فإنه ليست هناك خشية كبيرة من ارتدادات عكسية، لأن معظم الشعب يعلم أن القواعد المطبقة على السياسة الخارجية ليست ذاتها المطبقة داخل حدود دولتهم.

ولا يبـدو أن هناك أثرا ملحوظا للأكاذيب الليبراليـة التي يطلقها القادة في وضع دولتهم على الصعيد العالمي، وينسـحب المنطق ذاته الذي تُبنى عليه صناعة الأساطير القومية على الأكاذيب الليبرالية. حيث يسعى القادة والدبلوماسيون إلى مضاعفة أمن دولتهم، بغض النظر عن اللغة التي يسـتعملونها لتفسير أفعالهم في الماضي والحاضر. وبعبارة أخرى، فإن المؤشر السـببي يبدأ من سـلوك السياسـة الخارجية، إلى الخطاب الليبرالي، وليس العكس.

9

الخلاصة

«وأخذا في الاعتبار الطموح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقع أن تكون سياسة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة»

يتضح لنا من السجلات التاريخية أنه على الرغم من أن الكذب مُدان كسلوك مشين ومرفوض، فإن القادة - بكل أطيافهم - يؤمنون بأنه أداة مهمة في إدارة شؤون الدولة، من الممكن، بل من الواجب، استخدامها في ظروف متنوعة.

ولا يكذب القادة على دول أخرى فقط، ولكنهم يكذبون كذلك على شعوبهم، وهم يفعلون ذلك ظنا منهم أن في ذلك مصلحة لبلدانهم. وأحيانا يكونون على صواب، فمن ذا الذي يقول إن القادة والديبلوماسيين يجب ألا يكذبوا على عدو خطير - خصوصا في زمن الحرب - إذا أتت خديعتهم بمنافع إستراتيجية؟ وربما يكون أفضل مثال أدى فيه الكذب دورا مهما لقلب ميزان القوى لمصلحة دولة هو موقف بسمارك مع فرنسا، عندما استفزها بالكذب لتبدأ

الحرب على بروسـيا 1870، وكسبت بروسيا الحرب، وحققت نصرا فاعلا قاد إلى خلق ألمانيا القومية في قلب أوروبا.

بالإضافة إلى ذلك، يكذب القادة على شـعوبهم أحيانا عندما يعتقدون أن لديهم أسـبابا منطقيـة للكذب. ويبـدو لي أن الرئيس جون كنيدي كان عـلى صواب عندما كذب على الشعب الأمريكي بخصوص أزمة الصواريخ الكوبية، وعقد اتفاقا مع الاتحاد السـوفييتي على صواريـخ جوبيتر في تركيـا - لأن تلك الكذبة سـاعدت في حل أزمة الصواريخ الكوبية - متجنبا بذلك قيام حرب بين قوتين عظميين مسلحتين نوويا.

إلا أن الكذب لا يحقق أغراضه دائما؛ فمن الصعب على القادة أن يخدعوا الدول الأخـرى؛ لأن الكذب بين الـدول عادة يوجه إلى الدول المعاديـة أو المحتمل عداؤها، وهـي بالطبـع حريصة وحذرة ومتشـككة في أي شيء يأتي من الخصوم بشـأن قضايا تتعلق بأمنهم. ويفسر فقدان الثقة بين الدول المتنافسة عدم وجود كذب كثير بينهم. فمثلا، كان من الصعب على تشرتشـل أو روزفلـت أن يخدعا هتلر، والعكس صحيح. وعلى الرغم من أنه أسهل على القائد أن يكذب على شعبه، لأن الشعب يثق بحكومته، فإن الكذب على المواطنين قد لا يحقق نتيجة، فعلى سـبيل المثال، كذب روزفلت على الشـعب الأمريكي بخصوص المدمـرة غرير Greer في العـام 1941، من أجل أن يجر أمريكا للمشـاركة في الحرب العالمية الثانية. ولكن ظلت أكاذيبه من دون أثر كبير في الشعب الأمريكي الذي ظل في مزاجه الانعزالي حتى وقعت حادثة بيرل هاربر.

كما أن الفشل في الوصول إلى الغاية المبتغاة من وراء الكذب ليس المشكلة الوحيدة التـي قد تواجه القائد حين يطلق أكاذيب على المسـتوى الـدولي، فهناك أيضا مخاطرة محتملة لاكتشـاف الكذبة، مما قد يسـبب ضررا للدولة بدلا من مساعدتها في تحقيق أهدافهـا، كما حدث لحكومة الرئيـس آيزنهاور التي أطلقت الكذبـة تلو الأخرى، بعد أن أسـقط الاتحاد السوفييتي طائرة التجسـس يو2. وبالطبع فقد تؤدي تلك الأكاذيب إلى نتائـج عكسـية، حتى لو لم تُكشـف، أو صدقهـا قادة الدولة المسـتهدفة. وهذا ما حصل للرئيس خروتشـوف عندما بالغ في تعظيم قدراته الحربية وترسـانته النووية في أواخر الخمسـينيات، فكان أن انتهى به الأمر إلى سـباق تسلح مع الولايات الأمريكية لم يكـن يرغب فيه بالأسـاس، كما لم يكن يخدم مصلحة بلاده. كـما تعد أكاذيب حكومة الرئيس جونسون عن أحداث خليج تونكين، في أغسطس من العام 1964، مثالا آخر على

النتائج العكسية لسلسلة من الأكاذيب المحكمة، فقد أدت تلك الأحداث وأكاذيبها دورا مهما في جر أمريكا إلى الحرب في فيتنام. وبالطريقة نفسها ألفت حكومة الرئيس بوش أكاذيب كثيرة قبل غزوها العراق في مارس من العام 2003، والتي لم يُكشَف عنها في حينها، وأسهمت في تسويق التحرك بإسقاط صدام حسين. في كلتا الحالتين السالفتين أدى استخدام أسلوب إثارة الذعر إلى كوارث إستراتيجية أضرت بالولايات المتحدة أيما إضرار.

ويعتبر الارتداد العكسي أحد الجوانب السلبية في مضمار الأكاذيب الدولية، أما الجانب السلبي الآخر فيتمثل في الانتكاسة العكسية، وهو الأكثر مدعاة إلى القلق؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، لما يعتقدونه أسبابا إستراتيجية مفيدة، قد يحدثون أضرارا كبيرة في الجسم السياسي بتبنيهم ثقافة عدم الأمانة. ولذلك تبرز سياستا إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية كأخطر أنواع الأكاذيب التي قد يطلقها القادة. فكلاهما يحمل خطر «الانتكاسة العكسية»، لأنهما يتضمنان كذب القادة على شعوبهم، وكلاهما قد يسبب مشكلة على صعيد السياسة الخارجية. أما الأضرار المرتبطة بأنواع الأكاذيب الثلاثة المتبقية: صناعة الأسطورة القومية، والكذب الليبرالي، والكذب بين الدول، فهي أقل ضررا من إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية.

ما الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من فحصنا أطروحة الكذب الدولي للسياسة الخارجية الأمريكية مستقبلا؟

خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب الباردة قوة عظمى في العالم. ويبدو أن هذا الوضع سيظل من دون تغيير في المستقبل القريب، حيث إن هناك دولة واحدة - الصين - يمكنها تحدي أمريكا على موقعها، ولكن الطريق أمام الصين طويل، ولها مشكلاتها التي قد تبطئ مسيرتها وربما توقفها[1]. وفي الوقت نفسه، هناك عدد كبير من صانعي قرار السياسة الخارجية في أمريكا - ومنهم ديموقراطيون وجمهوريون - يؤمنون بأن لأمريكا دورا أخلاقيا ومسؤولية إستراتيجية لا في حفظ وترتيب شؤون العالم فقط، بل في محاولة تشكيل سياسات الدول الأخرى. إضافة إلى أن القادة الأمريكيين لم يترددوا في استعمال القوة العسكرية لتحقيق أهدافهم الكبيرة. وقد خاضت الولايات المتحدة خمس حروب منذ نهاية الحرب الباردة سنة 1989؛ ففي العام 1991 كانت حربها على العراق؛ و1995 و1999 كانت على صربيا؛ 2001 - 2002 كانت حربها على أفغانستان؛ 2003-2011 على كل من أفغانستان والعراق.

إن الحرب المستمرة في أفغانستان والعراق(*) لا بد من أن تكون لها آثارها في السياسة الخارجية، وفي التقليل من حماس النخبة لتغيير العالم بقوة السلاح، ولكن لا أحد يعلم إلى أي حد. وبالتالي، فربما لن ننتظر طويلا قبل أن نرى الولايات المتحدة وقد بدأت حملة عسكرية أخرى. ولا سبب تقريبا يدعونا إلى التفكير أن ذهنية التزامها بإدارة شؤون العالم ستتغير قريبا، ما يعني أن الولايات المتحدة ستبقى متورطة في السياسة العالمية على المدى المنظور.

ومن المحتمل أن تؤدي هذه السياسة الخارجية الطموحة إلى خلق كثير من المواقف والأوضاع التي سيجد قادة الولايات المتحدة فيها أنفسهم مضطرين إلى إستراتيجية إثارة الذعر. ولا بد من أن نتذكر أن القادة الذين يكذبون على شعوبهم، في الأغلب الأعم، هم أنفسهم قادة الديموقراطيات التي تخوض حروبا باختيارهم في مناطق بعيدة. وينطبق هذا الوصف تماما على الولايات المتحدة، ويمتد أيضا إلى تفسير أكاذيب وخداع حكومة بوش التي أطلقتها قبل شن الحرب على العراق في العام 2003. ولكنها بالتأكيد ليست الحكومة الأولى التي تلجأ إلى سياسة إثارة الذعر، ولن تكون الأخيرة.

تنفق الولايات المتحدة على جيشها أكثر مما ينفق العالم كله مجتمعا؛ ولديها سلاح نووي فعال ورادع، ولديها حماية من الطبيعة بمحيطين بحريين هائلين. وبالنظر إلى درجة الأمان العالية التي تتمتع بها الولايات المتحدة، فإن الطريقة الوحيدة أمام قادتها، لكي يبرروا حاجتهم إلى التدخلات العسكرية الدولية الطموحة، تأتي عن طريق إقناع الشعب الأمريكي بأن المشكلات الصغيرة نسبيا، هي في واقعها خطيرة، ومتزايدة الخطورة. وأخذا في الاعتبار الطموح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقع أن تكون سياسة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة. بالطبع هذه أخبار سيئة، لأن إثارة الذعر لا تقتصر على كونها مدمرة للمؤسسات الديموقراطية، لكنها قد تقود إلى كوارث، كما حدث في العراق وفيتنام.

(*) كانت مستمرة وقت كتابة الكتاب، وانتهت حرب أمريكا على العراق بانسحاب الجيش الأمريكي في ديسمبر من العام 2011. كما أعلن الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، وقف العمليات القتالية في أفغانستان في ديسمبر من العام 2014، غير أن القوات الأمريكية مازالت موجودة هناك. [المحررة].

الهوامش

توطئة

(1) Mary Dalrymple, "Kerry Avoids Calling Bush Liar" **MSNBC.COM** ,September, 24, 2004. www.msnbc.msn.com/id/٦٠٨٦٨٢٣; David Stout, "Kerry Accuses Bush of Hiding the Truth about Iraq" **New York Times**, September 16, 2004. "Transcript: First Presidential Debate", **Washington Post**, Septemper 30, 2004.

بيـد أنه وفق ملاحظة دارليمبل، فإن أعضاء في حملة كـيري الانتخابية لم يترددوا في وصف بوش بالكاذب، على الرغم من أن كيري ذاته كان مترددا في استخدام الكلمة.

Patrick Healy, "Kerry camp Lowers N.H. Expectations: Behind in Polls, Senator Now Seeks spot in Top Two", Boston Globe, December, 8, 2003.

المقدمة

(1) Charles A. Duelfer, **Comprehensive Report of The Special Advisor to the DCI on Iraq's WMD**, Vol.1 (Washington DC: Central Intelligence Agency, September 30, 2004), 34-35. See also, Julian Borger, "Interrogators Botched Hunt for Iraq's WMD" **Guardian**, April 27, 2005; Rupert Cornwell, "Saddam Was Bluffing over WMD Stocks, Says Report" **Independent**, October 2 , 2003; Johanna McGeary, Timothy J. Burger, and Elaine Shannon, "What Saddam Was Really Thinking" **Time**, October 18, 2004, http://www.time.com/time/magazine/article/0.9171.995422.00.html, Walter Pincus and Dana Priest, "Hussein's Weapons May Have Been Bluff" **Washington Post**, October 1, 2003;Alec Russell, "Leaked Report Points to Saddam WMD Bluff" **Telegraph**, October 2, 2003.

(2) George Tenet, **At the Centre of the Storm: My Years at the CIA**, (New York: Harper Collins, 2007), 331-33.

(3) Duelfer, **Comprehensive Report**, 34.

(4) كتب سـلوبودان ليكيك في مقالة له حول «ادعاءات كذب صدام بخصوص الأسـلحة»: «كان صدام ينفي علنا امتلاكه أي أسلحة غير تقليدية. لكنه في المقابل منع مفتشي الأمم المتحدة مـن العـام 1998 وحتى العام 2002 من العمل داخل البـلاد، وعند عودتهم إلى العراق في نوفمبر 2002 كانوا يشتكون من عدم تعاون العراق معهم تماما».

Slobodan Lekic, "Aide: Saddam Did Get Rid of Iraq WMD," Associated Press, August 2, 2003.

ليس هناك شـك في أن صدام منع مفتشي الأسـلحة من التفتيش ما بين العامين 1998 و2002، بيد أن ذلك ليس دليلا كافيا على أنه كان يكذب. وبينما كان المفتشون يشكون من عدم تمكينهم من الدخول إلى بعض المواقع بعد عودتهم إلى العراق، فقد تم حل هذه الإشكاليات، وأعربت الأمم المتحدة عن ثقتها بقدرتها على تقييم إن كان العراق يمتلك أسـلحة دمار شـامل أم لا، إذا منحوا فترة زمنية مناسـبة لتفتيش البلد. في المقابل، أرغمت حكومة بوش المفتشـين على مغادرة العراق قبل انتهائهم من عملهم، وذلك لكي تغزو العراق وتزيح صدام من السلطة.

(5) لا يتفـق الجميع عـلى مقولة أنه من المقبول أن تكذب لإنقاذ إنسـان بريء، كما يتضح من القصة المشـهورة عن «الكذب المعمـداني»؛ ففي العام 1804 اندلع نقاش حاد في كنيسـة

معمدانية في ولاية كنتكي بشـأن إذا كان من المسـموح لرجل أن يكذب إن كان لديه زوجة وأطفال أمام غزاة هنود من المحتمل أن يقتلوهم. بعبارة أخرى، هل يصح أن تكذب لحماية عائلتـك من مواجهة خطر محدق؟ وقد انقسـمت الكنيسـة حول الأمـر بين «معمدانيين صادقين» وبين «معمدانيين كاذبين».

(6) Lanse P. Minkler and Thomas J. Miceli, "Lying, Integrity, and Cooperation" **Review of Social Economy** 62, no.1 (March 2004): 27-50.

(7) للاطلاع على موقف حاد تجاه الكذب من أي نوع انظر:

Sissela Bok, **Lying: Moral Choice in Public and Private Life,** 2nd ed. (New York: Vintage Books, 1999).

(8) Kenneth N. Waltz, **Theory of International Politics,** (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), Chap.5.

(9) Thomas Hobbes, **Leviathan,** ed. C.B. Macpherson (Harmondsworth, UK: Penguin, 1985), 202.

(10) حول انتشار الخداع، انظر:

Larry Alexander and Emily Sherwin, "Deception in Morality and Law" **Law and Philosophy** 22, no.5 (September 2003): 393-450; F.G. Bailey, **The Prevalence of Deceit** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991); J.A. Barnes, **A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying** (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994); Paul Ekman, **Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics and Marriage** (NY: Norton, 1985; Michael Lewis and Carolyn Saarni, ads., **Lying and Deception in Everyday Life** (NY: Guildford, 1993); Clancy Martin, ads, **The Philosophy of Deception** (NY: Oxford University Press, 2009); David Nyberg, **The Varnished Truth: Truth Telling and Deceiving in Ordinary Life,** (Chicago University Press, 1993); Loyal Rue, **By the Grace of Guile: The Role of Deception in Natural History and Human Affairs** (NY: Oxford University Press, 1994).

(11) الشـخص المعني يكون في الواقع كاذبا، إذا تعمد عدم ذكر معلومات مطلوبة في اسـتمارة التقدم للوظيفة، فهو ملزم في مثل هذه الحالة بتبيان كل المعلومات المطلوبة، فعلى سـبيل المثال، سحبت جامعة هارفارد عرضا بالقبول لمتقدمة شابة لأنها لم تذكر أنها أدينت قضائيا بقتل أمها في العام 1990. فقد شـعر موظفو هارفارد بأن المتقدمة تتحمل مسـؤولية ذكر هذه المعلومة في استمارة الطلب.

Fox Butterfield, "Woman Who Killed Mother Denied Harvard Admission", **New York Times,** April 8, 1995.

(12) كتب أليكسـاندر وشيروين أن «فلاسـفة الأخلاق يميزون بصورة مكررة بين الكذب والخداع ويدينون الكذب على أنه أسوأ اعتداء».

("Deception in Morality and Law", 400).

(13) Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (New York: Viking, 2004). See Also, James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004). Chaps 2-3; David Wise, **the Politics of Lying: Government Deception, Secrecy, and Power.** (NY: Random House, 1973).

(14) Immanuel Kant, **Ethical Philosophy**, trans. James W. Ellington (Indianapolis: Hacket, 1983), 90.

(15) على الرغم من أننا في هذا الكتاب نساوي بين الكذب والخداع، فإن علماء العلاقات الدولية يتحدثون عن خداع الدولة لدولة عن طريق تحريك قواتها المسلحة ونشرها بطريقة توحي بأنها سيتم استخدامها. حتى لو أن نشر القوات المسلحة لا يتضمن فعليا أي كذب، يظل الهدف الأساسي لتلك التحركات هو تضليل الدولة الأخرى. بيد أنني لم أتطرق إلى مثل تلك الحالات، لأنها ببساطة لا تتضمن كذبا. لكني لو أدخلتها ضمن الكتاب، فإنني حينها أستطيع الإشارة إلى حالات أكثر من الكذب من هذا المنظور.

الفصل الأول

(1) يتضح هذا المنطق في البند 1001 من الباب 18 من دليل الولايات المتحدة، وهو اللائحة التي تُجرِّم التصريحات الكاذبة، وتحديدا في «تعتبر العبارة كاذبة استنادا إلى البند 1001 وإن كانت صادقة حرفيا إذا نتج عنها تضليل مسؤول فدرالي». انظر:

JaeYoun John Kim, "False Statements" **American Criminal Law Review 40,** no. 2 (Spring 2003): 515.

(2) Harry G. Frankfurt, **On Bullshit** (Princeton, NJ: Princeton University Press 2005).

كتب هاري فرانكفورت كتاب «عن الهراء» الذي قد يبدو وثيق الصلة بموضوعنا، غير أنه ليس كذلك لسببين: أولا، يؤكد مؤلفه بوضوح أن الهراء يختلف عن الكذب، فالناطق بالهراء لا يعير اهتماما لقول الحقيقة، فـ «قيم الحقيقة لا تؤدي دورا مركزيا في مقولاته.. فهو غير معني بقول الحقيقة أو إخفائها». (55) وفي سياق روايته - وعادة ما تكون قصة شاملة - قد يتفوه بأمور خاطئة، ولكن ذلك لا يعد كذبا، لأنه لا يقوله متعمدا وهو يعرف بأنه غير صحيح. (52) «إن عينه لا ترى الحقائق إطلاقا». (56) في المقابل، فإن الكاذبين يهتمون جدا للحقائق، ولكنهم لا يصرحون بها. فالكاذب «يحاول أن يبعدنا عن الإدراك السليم للواقع» (54 - 55). ثانيا، لا توجد أدلة كثيرة على «الهراء» في السياسة الدولية، غالبا لسهولة اكتشافه وعدم جدواه. ويشير فرانكفورت إلى أن «أغلب الناس واثقون بقدرتهم على التعرف على الهراء وتجنب الانخداع به. ولذلك لم تلفت الظاهرة الكثير من الاهتمام أو البحث الجاد» (1)، كما يشير إلى أن الهراء شائع لأن الناس عادة ما يضطرون إلى «الحديث عن أمور يجهلونها إلى حد ما» (63). وقلما يجد رجال الدولة والديبلوماسيون أنفسهم في مواقف كهذه من دون أن ننكر أنهم يتخذون أحيانا قرارات حمقاء. باختصار، فإنه من غير المنطقي إدراج «الهراء» كنوع رابع من أنواع الخداع.

(3) Quoted in Corey Dade, Suzzanne Varnica and Kevin Helliker, "Woods Aims tp Stem Damage," **Wall Street Journal**, December 3, 2009.

(4) American Bar Association, **Model Rules of Professional Conduct**, August 2002, Rule 3.3 (a). See also, Monroe H. Freedman, **Lawyers' Ethics in an Adversary System** (Indianapolis: Bobbs-Merril, 1975); Robert J. Spitzer, **Saving the Constitution from Lawyers: How Legal Training and Law Reviews Distort Constitution Meaning** (NY: Cambridge University Press, 2008), 11-14.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الباحثين القانونيين يرون أن «نظام المحاججة يفترض أن أفضل الطرق كفاءة وعدالة للتأكد من الحقيقة يكون من خلال تقديم واف للقضية بجانبيها أمام قاض مستقل أو محلفين».

(Freedman, **Ethics in an Adversary System**, 9).

بعبارة أخرى، فإن الخداع الذي يمارسه محامو طرفي النزاع هو الوسيلة المثلى للوصول إلى الحقيقة، ولا يتفق كل القانونيين على هذا الرأي، انظر:

Stephan Landsman, **Readings on Adversarial Justice: The American Approach to Adjudication** (St. Paul, MN: West, 1988), Chap 2.

(5) James Risen, "Captives Deny Qaeda worked with Baghdad" NYT, June 9, 2003.

هناك المزيد من الأدلة التي تلقي بالشكوك على الارتباط المفترض بين بن لادن وصدام، انظر:

Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq, Report prepared for Congressman Henry Waxman by the minority staff, Committee on Government Reform, US House of representatives, March 16, 2004, 21-25.

(6) وفق قانون الولايات المتحدة (يو إس كود)، فإن إخفاء المعلومة يعد سلوكا إجراميا عندما يتضمن «خداعا، ترتيبا، أو حيلة». بعبارة أخرى، يجب أن يكون هناك «فعل مؤكد بالإخفاء» انظر:

Kim, "False Statements" 515.

ووفق تصنيفي، فإن ذلك السلوك مشابه للكذب وبالفعل فهو يتضمن الكذب، ولكنه لن ينطبق على تعريفي للإخفاء، الذي لا يتضمن فعلا مؤكدا.

(7) Quoted in Albert Z. Carr, "Is Business Bluffing Ethical?" **Harvard Business Review**, January-February 1968, 143.

وللحالة التي لا يعتبر فيها التعامل التجاري كذبا، انظر:

Thomas Carson, "Second Thoughts about Bluffing," **Business Ethics Quarterly** 3, no.4 (October 1993): 317-41.

وللوجه الآخر من النقاش، انظر:

Gary E. Jones, "Lying and Intentions," **Journal of Business Ethics** 5, no.4 (August 1986): 347-49.

انظر أيضا:

Thomas L. Carson, "On the Definition of Lying: A Reply to Jones Revisions," **Journal of Business Ethics 7**, no.7 (July 1998): 509-14.

الفصل الثاني

(1) على الرغم من أن تركيزنا، في هذا الكتاب، هو على قيام الدول بخلق وتسويق الأساطير القومية، فإنه لا مراء من أن المجموعات الإثنية والعرقية التي ليست لها دولة مستقلة - سواء لأنهم لم تكن لهم دولة في تاريخهم على الإطلاق، أو أنهم فقدوا تلك الدولة - أيضا نجدهم يكذبون فيما يخص ماضيهم. لذا، فإن أطروحاتي بشأن صناعة الأساطير تنطبق على الشعوب من دون دولة، أو على الدول بذاتها.

(2) ظهر هذا النوع من السلوك الأناني بشكل واضح خلال فضيحة إيران كونترا، عندما جرى التحقيق مع كبار موظفي حكومة رونالد ريغان، وجرى توجيه اتهامات بتجاوز القانون لبعضهم، انظر:

Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (NY: Viking, 2004) Chap. 5.

(3) تخفيف التهديد هو نوع آخر محتمل من الكذب الإستراتيجي. في مثل هذه الحالة يكذب القائد على الجمهور ليجعل التهديد أقل من أهميته الحقيقية. ويمارس هذا السلوك عادة عندما يسعى القائد إلى تجنب حرب قادمة بمواجهة ضغط شعبي يدفع باتجاه الحرب. بيد أننا لم نتناول تخفيف التهديد في هذا الكتاب، لأن ظهوره نادر.

الفصل الثالث

(1) Quoted in J.A.Barnes, **A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying** (Cambridge University Press, 1994), 23.

(2) Sissela Bok, **Lying: Moral Choice and Private Life**, 2nd ed. (NY: Vintage Books, 1999), xxili.

(3) Quoted in Aviashi Margalit, "The Violent Life of Yitzhak Shamir", **New York Review of Books**, May 1992, 23.

رئيس وزراء آخر لإسرائيل، موشيه شاريت، علق في إحدى المرات قائلا: «لقد تعلمت أن دولة إسرائيل لا يمكن لها أن تهيمن في زمننا هذا من دون الخداع والمغامرة. فهذه حقائق تاريخية لا يمكن تعديلها... وفي نهاية الأمر، فإن التاريخ سيبرر الخداع والمغامرة. وكل ما أعرفه أنني أنا، موشيه شاريت، غير قادر على الإتيان بها، وبالتالي فإنني غير مؤهل لقيادة الدولة».

Quoted in Simha Flapan, **The Birth of Israel: Myths and Realities** (NY: Pantheon Books, 1987), 51-52.

(4) من المؤكد أن هذا لا يعني أنه على القادة أن يفترضوا أن رجال الدولة والديبلوماسيين الأجانب يكذبون عليهم، لأن هذا النوع من القلق قد يدفعهم إلى القراءة الخاطئة لمواقف كثيرة يسمعون فيها الحقيقة. وقد جسد ستالين هذا النوع من التفكير في ربيع من العام 1941، عندما رفض الاستماع بحمق إلى التحذيرات التي جاءته من تشرشل وآخرين بشأن هجوم ألماني مؤكد على الاتحاد السوفييتي. انظر:

Richard K. Betts, **Surprise Attack: Lessons for Defence Planning** (Washington, DC: Brookings Institution, 1982), 34-42; Gabriel Goroetsky, **Grand Delusion: Stalin and the German Invasion of Russia** (New Haven, CT: Yale University Press, 1999), Chap.8; Barton Whaley, **Codeword BARBAROSSA** (Cambridge, MA: MIT Press, 1974).

(5) Charles Lipson, "International Cooperation in Economic and Security Affairs," **World politics** 37, no. 1 (October 1984): 1-23.

(6) Quoted in Anthony Marro, "When the Government Tells Lies," **Columbia Journalism Review** 23, no.6 (March/April 1985): 34. See also Arthur Sylvester, " The Government has the Right to Lie" **Saturday Evening Post**, November 18, 1967, 10, 14.

(7) Jody Powell, **The Other Side of the Story** (NY: Morrow, 1984), 223.

من الضرورة الإشارة إلى أن باول لم يكن يتصور أن قادة الحكومات يضطرون إلى الكذب إلى هذه الدرجة، وقد كذب هو مرتين فقط خلال خدمته لأربع سنوات في البيت الأبيض، وندم على اضطراره إلى فعل ذلك في المرتين.

(8) بخصوص راينلاند، كتب المؤرخ آلان بولوك «وبعد مضي سنوات، تساءل هتلر على طاولة العشاء: ما الذي كان سيحدث لو كان أحد غيري على رأس الرايخ؟! أي شخص تفكرون فيه كان سيفقد أعصابه. فقد كنت مضطرا إلى الكذب، وما حافظ على رباطة جأشي كان إيماني الراسخ وثقتي العالية بالنفس وبقدراتي الفائقة. فقد هددت بأنه إن لم تهدأ الأمور في راينلاند فإنني سوف أرسل ست فرق عسكرية. في حين أن الحقيقة هي أنه لم يكن بتصرفي أكثر من أربع كتائب، وفي اليوم التالي كتبت الصحف الإنجليزية أن الأمور قد هدأت».

Alan Bullock, **Hitler, a Study in Tyranny**, rev.ed. (NY: Harper&Row, 1964), 343. See also Michael Mihalka, **German Strategic Deception in the 1930s**, Rand Note N-1557-NA (Santa Monica, CA: Rand Corporation, July 1980); Arnd Plague, Patterns of Deception: Why and How Rising States Cloak Their Power (Working Paper, Yale University, March 18, 2009).

(9) Gordotesky, **Grand Delusion**, 115-18, 126-30, 207-10; Jiri Hochman, **The Soviet Union and the Failure of Collective Security**, 1934-1938(Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984), chap.6; Adam B. Ulam, **Expansion and Coexistence: Soviet Foreign Policy, 1917-73**, 2nd ed. (NY: Praeger, 1974), 241-43, 252-53; Adam B. Ulam, **Stalin: The Man and His Era** (NY: Viking, 1973), 502-3.

(10) Edger M. Bottom, **The Missile Gap: A study of the Formulation of Military and Political Policy** (Rutherford, NJ: Fairleigh Dickinson University Press, 1971) chaps 2, 7; McGeorge Bundy, **Danger and Survival** (NY: Random House, 1988), 416; Arnold L. Horelick and Myron

Rush, **Strategic Power and Soviet Foreign Policy** (Chicago: University of Chicago Press, 1966), chaps. 3-5, 9; Vladislav Zubok and Costantine Pleshakov, **Inside the Kremline Cold War: From Stalin to Khrushchev** (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996) Chapt 6.

(11) Holger H. Herwig, "The Failure of German Sea Power, 1914-1945: Mahan Tirpitz, and Reader Reconsidered," **International History Review** 10, no.1 (February 1988): 68-105; Paul M. kennedy, "Tirpitz, England and the Second Navy Law of 1900: A Strategical Critique," **Militargeschichtliche Mitteilungen** 2 (1970): 33-57; Paul M. Kennedy, **The Rise of Anglo-German Antagonism, 1860-1914** (London: Allen& Unwin, 1980), chap. 13, especially 223-27; Paul M. Kennedy, **Strategy and Diplomacy, 1870-1945**: Eight Studies (London: Fontana, 1984), chaps. 4-5 Jonathan Sternberg, **Yesterday's Deterrent: Tirpitz and the Birth of the German Battle Fleet** (London: MacDonald, 1965) intro., chaps 4-5.

(12) Quoted in " Report: Nixon Feared Israeli Nukes Would Spur Arms race," **Haaretz**, November 29, 2007. See also Avner Cohen, **Israel and the Bomb** (NY: Columbia University Press, 1998); Symore M. Hersh, **The Samson Option: Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy** (NY: Random House, 1991).

(13) Bundy, **Danger and Survival**, 392. See also, Graham Allison and Philip Zelikow, **Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis**, 2nd ed. (NY: Longman, 1999), 78-80; Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, **One Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964**. (NY: Norton, 1997), 222-23, 252-53; Zubok and Pleshakov, **Inside the Kremlin's Cold War**, 266.

(14) Trevor Wilson, **The Myriad Faces of War: Britain and the Great War, 1914-1918** (Cambridge, UK: Polity Press, 1988), 341; Ernest D. Swinton, **Eyewitness: Being Personal Reminiscences of Certain Phases of the Great War, Including the Genesis of the Tank** (Garden City, NY: Doubleday, Doran, 1933), chap. 12. See also B.H. Liddell Hart, **The Real War: 1914-1918**(Boston: Little Brown, 1930), 249, 255; B.H. Liddell Hart, **The Tanks: The History of the Royal Tank Regiment and its Predecessors, Heavey Branch, Machine-Gun Corps, 1914-1945** (London: Cassel, 1959), 1:3, 1:47, 1:53-56.

(15) Ken Alibek with Stephen Handyman, **Biohazard: The Chilling True Story of the Largest Covert Biological Weapons Program in the World, Told from the Inside by the Man Who Ran It** (NY: Dell, 2000);

Jeanne Guillemain, **Anthrax: The Investigation of a Deadly Outbreak** (Berkeley: University of California Press, 1999); Matthew Meselson et al., "The Sverdlovsk Anthrax Outbreak of 1979," **Science**, November 18, 1994, 1202-8; Judith Miller, Stephen Engelbert, and William Broad, **Germs: Biological Weapons and America's Secret War** (NY: Simon and Schuster, 2001).

(16) Quoted in Bullock, Hitler, 329. See also ibid., chap.6; Ian Kershaw, **The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich** (NY: Oxford University Press, 1989), chap.5 ; Ian Kershaw, **Hitler: 1889-1936; Hubris** (NY: Norton, 1999), chap. 11-12; Ian Kershaw, **Hitler: 1936-45; Nemesis** (NY: Norton, 2000), chap. 1; Mihalka, German Strategic Deception".

(17) Quoted in Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1974), 556.

(18) Tsuyoshi Hasegawa, **Racing the Enemy: Stalin, Truman, and the Surrender of Japan** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), 108. See also 33, 39, 46-47, 56, 86, 91-93,190-91.

(19) Richard M. Nixon, Six Crises (Garden City, NY: Doubleday, 1962), 353-57; James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004), 22, 24.

(20) Powell, **Other Side of the Story**, 225-32.

(21) Marc Trachtenberg, **A Constructed Peace: The Making of the European Settlement, 1945-1963** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999), appendix 2. Also available online at http://www.sscnet.ucla.edu/polisci/faculty/trachtenberg/appendices/appendixII.html.

(22) Norman Rich, **Friedrich von Holstein, Politics and Diplomacy in the Era of Bismarck and Wilhelm 11** (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1965), 2:745. See also ibid., 2:678-745; David G. Hermann, **The Arming of Europe and the Making of the First World War** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996) cap. 2; Gerhard Ritter, **The Schlieffen Plan: Critique of a Myth, trans. Andrew and Eva Wilson** (Westport, CT: Greenwood, 1979), 96-128; L. C. F. Turner, Origins of the First World War (NY: Norton, 1970), 2-5.

يبـدو أن الأزمـة المغربية هي الحالة الوحيدة المعروفة عن تهديـد لفظي فارغ من أجل أغراض قسرية.

Glenn H. Snyder and Paul Diesing, **Conflict among Nations: `Bargaining, Decision Making, and System Stryctyre in International Crises** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977), 213-16.

(23) Bob Woodward, "Gaddafi Target of Secret US Deception Plan" **Washington Post**, October 2, 198;. See also Gerald M. Boyd, " The Administration Denies Planting Reports in the US", **New York Times**, October 3,1986; Leslie H. Gelb, "Administration is Accused of Deceiving Press in Libya," **New York Times**, October 3, 1986; Alex S. Jones, Initial Report on Libyan Plots Stirred Skepticism," **New York Times**, October 3, 1986; Jeffery T. Michelson, "Planning to Deceive : How the Defence Department Practices the Fine Art and of Making Friends and Influencing People," **Bulletin of the Atomic Scientists** 59, no.2 (March/April 2003): 67-68.

(24) بعد أن ناقش المشكلات الناتجة من البعد الإستراتيجي النووي، كتب هنري كيسنجر «إجابة أصدقائنا في حلف الناتو بالنسبة إلى الوضع الذي وصفته هو المطالبة بمزيد من الضمانات والتأكيدات على الالتزام الأمريكي العسكري. وقد جلست حول طاولة مجلس الناتو في بروكسل وأماكن أخرى، وتحدثت بالكلمات السحرية التي كان لها فعل مطمئن ومريح، مما مكن الوزراء من العودة إلى بلادهم ولديهم مبررات بعدم زيادة الإنفاق العسكري. وقد كرر الذين خلفوني في المنصب التطمينات نفسها، ولكن إن كان تحليلي صحيحا، فإن تلك الكلمات غير حقيقية، وكذلك فإن علينا أن نواجه حقيقة أنها حالة سخيفة حين نبني إستراتيجية الغرب كله على مصداقية التهديد بانتحار متبادل».

"NATO: The Next Thirty Years," **Atlantic Community Quarterly** 17, no.4 (Winter 1979/1980): 468. See also Dana H. Allin, **Cold War Illusion: America, Europe, and Soviet Power, 1969-1989** (NY: St.Martin's, 1994), chap. 4; Robert S. McNamara, "The Military Role of Nuclear Weapons: Perceptions and Misperceptions," **Foreign Affairs**, Fall 1983, 79.

(25) William Carr, **The Origins of the Wars of German Unification** (London: Longman, 1991), 144-203; F. Darmstaedter, **Bismarck and the Creation of the Second Reich** (NY: Russell&Russell, 1965), 351-63; Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J. A. Underwood (Boston: Allen &Unwin, 1986) 1:346-59; W.N. Medilcott, **Bismarck and Modern Germany** (NY: Harper&Row, 1968), 78-84; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973), chap. 18.

(26) Barbra Demick, "Intelligence Fiasco Stirs Up to the Korean Peninsula," **Los Angeles Times**, March 24, 2005; Dafna Linzer, "US Misled Allies about Nuclear Export," **Washington Post**, March 20, 2005.

(27) Dwight D Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965), 546. See also James Bamford, **Body of Secrets: Anatomy of the Ultra-Secret National Security Agency; From the Cold War through the Dawn of a New Century** (NY: Doubleday, 2001); Michael R. Beschloss, **MAYDAY: Eisenhower,**

Khrushchev and the U-2 Affair (NY: Harper&Row, 1986); Ted Galen Carpenter, **The Captive Press: Foreign Policy Crises and the First Amendment** (Washington, DC: Cato Institute, 1995), 55-56; David Wise and Thomas B. Ross, **The U-2 Affair** (NY: Random House, 1962).

(28) Quoted in Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 281-82. See also, Joel Benin, **The Dispersion of Egyptian Jewry: Culture, Politics, And the Formation of A Modern Diaspora** (Berkeley: University of California Press, 1998), 19-20,31-32, 90-117; Dan Raviv and Yossi Melman, **Every Spy a Prince: The Complete History of Israel's Intelligence Community** (Boston: Houghton Mifflin, 1990), 54-61; Livia Roach, **Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Mosh Sharett's Personal Diary and Other Documents, 2nd ed.** (Belmont, MA: Association of Arab-American University Graduates, 1982), 38-42; Shabtai Teeth, **Ben-Gurion's Spy: The Story of the Political Scandal That Shaped Modern Israel** (NY: Columbia University Press, 1966).

(29) Quoted in Anthony Cave Brown, **Bodyguard of Lies,** (NY: Harper & Row, 1975), 10. See also Thaddeus Holt, **The Deceivers: Allied Military Deception in the Second World War** (NY: Skyhorse, 2007); Philip Knightley, **The First Casualty: From Crimea to Vietnam; The War Correspondent As Hero, Propagandist, and Myth Maker** (NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1975); Michael Howard, **Strategic Deception in the Second World World** (NY: Norton 1995); Harold D. Lasswell, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927); J. C. Mastermind, **The Double-Cross System in the War of 1939 to 1945** (New Haven, CT: Yale University Press, 1972); Arthur Ponsonby, **Falsehood in War-Time, Containing an Assortment of Lies Circulated throughout the Nations during the Great War** (NY: Dutton, 1928); Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 229-53.

(30) Quoted in Warren F. Kimball, **The Juggler: Franklin Roosevelt as Wartime Statesmen** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1991), 7.

(31) من المهم تأكيد أن الجيوش تعتمد - بشـكل أسـاس في عملها - على قول الحقيقة داخل الجيـش، لأن الصدق عنصر أسـاس في تحقيـق الانتصار في ميدان المعركـة. ولكي ينجح الجيش في عمله، فلا بد أن تكون جميع رتبه واثقة كامل الثقة بصدق وصحة المعلومات التي تصلهم من رؤسـائهم أو مرؤوسـيهم على حد سـواء. ويترتب على عدم الصدق، أن يخـوض الجيش معركته اسـتنادا إلى معلومات مغلوطة، مما سـيؤدي إلى ارتفاع كبير في احتمالات الهزيمة بالإضافة إلى وقوع إصابات من دون داع. ولذلك نجد مؤسسـات مثل وسـت بوينت تضع وزنا كبيرا لميثاق الشرف. وفي حين أنه لا مكان للخداع في المؤسسـة

العســكرية، فإنــه من المتوقــع أن الجيوش المتنافســة تعي عادة خــداع بعضها لبعض، خصوصا في وقت الحرب.

(32) Thomas C. Schelling, **The Strategy of Conflict** (London: Oxford University Press, 1970), 23, 33. See also Thomas C. Schelling, "Game Theory and the Study of Ethical Systems," **Journal of Conflict Resolution** 12, no.1 (March 1968):34-44.

(33) على الرغم من أن المتعارف عليه أن الخداع يمارس بشــكل اعتيادي في منظمات العمل، فإن أحد الباحثين يرى أنه يمارس بصورة «أقل مما يشاع».

Chris Provis, "Ethics, Deception and labor Negotiation," **Journal of Business Ethics 28**, no.2 (Novemebr 2000): 145-58.

(34) المنطق نفسه يفسر لماذا لا يكشف لاعبو البوكر كل أوراقهم، بعد خدعة ناجحة، فإن فعلوا فمن الأرجح ألا تنجح الحيلة ذاتها مرة أخرى.

(35) وفق التحليل الوافي والتفصيلي لمورافيســك عن المفاوضــات بين الدول الأوروبية، فلا يوجد دليل واضح على الكذب بين الدول التي أوجدت الاتحاد الأوروبي.

The Choice for Europe: Social Purpose and State Power from Messina to Maastricht (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1998).

ومع أن مورافيسك لا يذكر مباشرة سبب غياب الكذب في الحقبة التاريخية التي درسها وفحصها، لكن يبدو بشكل واضح أن الدول الأوروبية المعنية هنا قد جاءت لطاولة المفاوضات عندما : أولا، كان هنــاك تداخــل كبير بين أولوياتهم. وثانيا، كانوا كلهم يعلمون - بشــكل واضح - الاتفاقــات الممكنة، والأولويات الوطنية، والخيارات المؤسســية. وثالثا، كانوا كلهم مقتنعين بأن اتفاقا كهذا ســيقود إلى «مصالح مشــتركة». ولم يكن الكذب فقط صعبا في أجواء تتوافر فيها المعلومات بوضوح، ولكن الكذب في تلك الأجواء كان ســيبدو سخيفا ولا معنى له، لأن أي ســلوك مخادع كان بإمكانه أن يعيق الاتفاق، «وهي نتيجة كانت ســتؤدي إلى الإضرار بمصالح الجميع».

(Ibid., 61, 481-85)

(36) Anthee Carassava, "Greece Admits Faking Data to join Europe," **New York Times**, September 23, 2004; Daniel Howden and Stephen Castle, "Greece Admits Deficit Figures Were Fudged to Secure Euro Entry," **Independent**, November 16, 2004; Helena Smith and Larry Elliot, "EU Raps Greece over Deficit," Guardian, December 2, 2004.

(37) Trachtenberg, **Constructed Peace**, 122-22. See also James McAllister, No **Exit: America and the German Problem, 1943-1954** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002), 225.

(38) McCallister, No **Exit**, 234. See also minutes of National Security Council Meeting, December 10, 1953, in **Foreign Relations of the United States**, 1952-1954 (Washington, DC: Government Printing Office, 1983), 2:450-51.

(39) Ponsonby, **Falsehood in War-Time**, 19.

(40) Charles Horton Cooley, **Human Nature and the Social Order**, rev. ed. (NY: Scribner's Sons, 1922), 388.

الفصل الرابع

(1) James Chace, Acheson: **The Secretary of State Who Created the American World** (NY:Simon and Schuster, 1998), chap. 16.

(2) Quoted in Michael Hirsh, "Bernard Lewis Revisited," **Washington Monthly**, November 2004.

(3) من أفضل المصادر حول حادثة «غرير» (Greer)، انظر:

Robert Dallek, **Franklin D. Roosevelt and American Foreign Policy, 1932-1945** (NY: Oxford University Press, 1979), 285-88; Waldo Heinrichs, **Threshold of War: Franklin D. Roosevelt and American Entry into World War II** (NY: Oxford University Press, 1989), 166-68; David M. Kennedy, **Freedom from Fear: The American People in Depression and War, 1929-1945** (NY: Oxford University Press, 1999), 497-99; William L. Langer and S Everett Gleason, **The Undeclared War: 1940-1941**; (Gloucester, MA: Smith, 1968), 742-50; David Reynolds. **The Creation of the Anglo-American Alliance, 1937-1941: A Study in Competitive Cooperation** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1982), chap.8; John M. Schuessler, " The Deception Dividend: FDR's Undeclared , **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 133-65.

(4) As Robert Divine notes, "The submarine commander, far from being guilty of an unprovoked assault, had turned in desperation on his pursuer in an effort to escape destruction." **The Reluctant Belligerent: American Entry into World War 2** (NY: Wiley, 1967), 143.

(5) كل الاقتباسات في هذه الفقرة والفقرة التالية من:

Dallek, **Roosevelt and American Foreign Policy**, 285-88; see also Langer and Gleason, **Undeclared War**, 744-46.

(6) من أفضل المصادر حول حادثة خليج تونكين:

Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (NY: Viking, 2004) chap. 4; Joseph C Goulden, **Truth is the First Casualty: The Gulf of Tonkin Affair, Illusion and Reality** (Chicago: Rand McNally, 1969); Robert J Hanyok, "Skunks, Bogies, Silent Hounds, and the Flying Fish: The Gulf of Tonkin Mystery, 2-4 August 1964," **Cryptologic Quarterly** 19 and 20, not. 4 and 1 (Winter 2000 and

Spring 2001). 1-55; David Kaiser, **American Tragedy: Kennedy, Johnson, and the Origins of the Vietnam War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2000), chap.11; Fredrik Logevall, **Choosing War: The Lost Chance for Peace and the Escalation of War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 1999), chap. 7; H.R. McMaster, **Dereliction of Duty: Lyndon Johnson, Robert McNamara, the Joint Chiefs of Staff, and the Lies the Led to Vietnam** (NY: HarperCollins, 1997), chap.6; Edwin E. Moise, Tonkin Gulf and the Escalation of the Vietnam War (Chapel Hill: University of North California Press, 1996); Gareth Porter, **Perils of Dominance: Imbalance of Power and the Road to War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 2005), chap.6.

(7) Alterman, **When Presidents Lie**, 204-5.

(8) Alterman, **When Presidents Lie**, 193.

وهذه كلمات ألترمان.

(9) Goulden, **First Casualty**, 50.

(10) Hanyok Skunks 21-49; Moïse, **Tonkin Gulf**, 206-10, 241-43. See also Alterman, **When Presidents Lie**, 186-90.

(11) Logevall, **Choosing War**, 198. These are Logevall's words. See also Porter, **Perils of Dominance**, 196-98.

(12) Kaiser, **American Tragedy**, 335-36.

(13) Moïse, **Tonkin Gulf**, 243.

هذه كلمات مويس، ومن الجلي الآن أنه لم يحدث هجوم على مادوكس في 4 أغسطس 1964.

Hanyok,(skunks),3.

(14) Moïse, Tonkin Gulf, 243.

(15) هذه هي الكلمات التي استخدمها ماكنمارا ووزير الخارجية دين رسك عند الإدلاء بإفاداتهما أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في السادس من أغسطس.

Logevall, **Choosing War**, 203.

ولمزيد من الملاحظات المشابهة الرئيس جونسون وأعضاء حكومته، انظر المرجع السابق.

198-99; and McMaster, **Dereliction of Duty**, 133-35.

(16) Michael R. Beschloss, **Taking Charge: The Johnson White House Tapes, 1963-1964** (NY: Simon and Schuster, 1997), 494-95; Hanyok "Skunks", 5-12; Logevall, **Choosing War**, 201; McMaster, **Dereliction of Duty**, 121-30; Moïse, **Tonkin Gulf**, 99-105, 228-29, 239-41.

(17) See Lotgeval, **Choosing War**, 199-203; Moïse, **Tonkin Gulf**, 99-105.

(18) Alterman, **When Presidents Lie**, 205; Logevall, **Choosing War**, 203.

من الممكن القول إن حكومة الرئيس جونسون أطلقت كذبة ثالثة مرتبطة بحادثة خليج تونكين؛ فقـد ادعى الرئيس ومستشـاروه الرئيسـيون طوال العام 1964 وبدايـات العام 1965 أنه لم تكـن لهم نيـة، وبالتالي لا توجد خطط، لتصعيد الحرب في فيتنام. بل إن جونسـون ظل يطرح نفســه على أنه مرشح السـلام في حملته لانتخابات الرئاسة في العام 1964 ضد باري غولدووتر. ولكن طوال هذه الفترة، كان جونسـون يضع الخطط لتوسعة الحرب، كما اتضح من سلوكه في حادثة خليج تونكين. ولمزيد من النقاش حول الموضوع انظر:

Alterman, **When Presidents Lie**, chap.4; Kaiser, **American Tragedy**, chap.11; Logevall, **Choosing War**, 193-221, 242-253, 314-15; Deborah Shapley, **Promise and Power: The Life and Times of Robert McNamara** (Boston: Little Brown, 1993), 304-5.

(19) Eric Schmidt, "Rumsfeld says US Has "bulletproof" Evidence of Iraq's Links to Al Qaeda," **New York Times**, September 28, 2002.

(20) Thomas Shanker, "Rumsfeld Sees Lack of Proof for Qaeda-Hussein Link," **New York Times**, October 5, 2004.

(21) اقتباسات باول من مقال:

Richard Cohen, "Powellian Propaganda?" **Washington Post**, February 13, 2003; **Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq**, Report prepared for Congressman Henry A. Waxman by the Minority Staff, Committee on Government Reform, US House of Representatives, March 16, 2004, 23; Transcript of Secretary Powell's Press Conference, january 8, 2004. See also Derrick Z. Jackson, "Powell's Shrinking Credibility on Iraq," **Boston Globe**, January 14. 2004; Christopher Marquis, "Powell Admits No hard Proof in Linking Iraq to Al Qaeda," **New York Times**, January 9, 2004.

(22) Spencer Ackerman and John Judis, "Deception and Democracy: The Selling of the Iraq War," **New Republic**, June 30, 2003, 18; Douglas Jehl, " Report Warned Bush Team about Intelligence Doubts", **New York Times**, November 6, 2005; Mark Mazzetti, "CIA said to find no Hussein Link to terror Chief" **New York Times**, September 9, 2006; John Prados, "Phase II: Loaded for Bear," TomPaine.com, November 10, 2005; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs and Links to Terrorism and How they Compare with the Prewar Assessments**, 109th Cong., 2d sees., September 8, 2006, 60-112; Jonathan Weisman, Iraq's Alleged Al-Qaeda Ties Were Disputed Before War", **Washington Post**, September 9, 2006.

(23) Walter Pincus and Dana Milbank, "Al Qaeda -Hussein Link is Dismissed," **Washington Post**, June 17, 2004.

(24) Bob Woodward, **Plan of Attack** (NY: Simon and Schuster, 2004), 173.

(25) على سبيل المثال، قال جورج تينت، مدير المخابرات المركزية خلال فترة التحضير للحرب، في خطاب له في الخامس من فبراير 2004: «كنا نعتقد أن العراق لديه أسلحة بيولوجية مدمرة بما في ذلك آنثراكس، والتي بالإمكان بسـهولة تحميلها على قنابل أو صواريخ أو عن طريق الـرش الجوي أو عمليات سرية. ولكننا قلنا إننا لم تكن لدينا معلومات محددة عن أنواع أو كميات تلك الأسلحة المتوافرة تحت تصرف بغداد».

للحصول على نص الخطاب انظر:

"Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons," **New York Times**, February 5, 2004.

كذلك فقد أفادت هيئة الاسـتخبارات العسكرية في سـبتمبر 2002 بأنه «لا يوجد دليل قاطع أو مباشر على وجود مخزون من الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية أو مصانع لإنتاجها»، انظر:

Joseph Cirincione's comments in **Conference Call Briefing on Iraq's Weapons** (Washington, DC: Arms Control Association, February 3, 2004). See also **Iraq on the Record**, 15-16; Walter Pincus and Dana Priest, "Bush, Aides Ignored CIA Caveats on Iraq," **Washington Post**, February 7, 2004; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs**, 26-43.

(26) **Iraq on the Record**, 7.

(27) Jackson, "Powell's Shrinking Credibility".

(28) See Joseph Cirincione, Jessica Tuchman Mathews, and George Perkovich, **WMD in Iraq: Evidence and Implications** (Carnegie Endowment Report, January 2004), 86.

(29) Ibid., 18, 95.

(30) Ibid., **WMD in Iraq, 20; Iraq on the Record**, 16.

(31) Cirincione, Matthews, and Perkovitch, **WMD in Iraq**, 21.

(32) See Pincus and Priest, "Bush, Aides Ignored CIA Caveats"; **Iraq on the Record**, 10-13; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs**, 17-21; Murray Waas, "What Bush Was Told about Iraq," **National Journal**, March 2, 2006.

(33) See Ackerman "Deception and Democracy", 15; Cirincione, Mathews, and Perkovich; **WMD in Iraq**, 21-28; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs**, 10-26; "Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons"; Greg Thielman's comments in "Conference Call Briefing on Iraq's Weapons"; **Iraq on the Record**, 7-15.

(34) See Ronald Brownstein, "Support of US Military Role in Mideast Grows," **Los Angeles Times**, April 5, 2003; The Gallup Organisation, **Approval for Handling of War in Iraq Jumps**, Poll Analysis, December 19, 2003; Adam Nagourney and Jane Elder, "Growing Number in US Back War, Survey Finds," **New York Times**, March 11, 2003; Tom Zeller, "The Iraq-Qaeda Link: A Short History," **New York Times**, June 20, 2004; Tom Zeller, " Making a Simple Link of Faith," **New York Times**, March 2, 2003.

وجدت إحدى مؤسسات استطلاع الرأي - على الأقل - في سبتمبر 2003، أي بعد سنتين من سقوط البرجين، وستة أشهر تقريبا بعد حرب العراق، أن «سبعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أن صدام كان له دور في الهجمات»، انظر:

Dana Milbank and Claudia Deane, "Hussein Link to 9/11 Lingers in Many Minds," **Washington Post**, September 6, 2003.

(35) See "Cheney: No Link between Saddam Hussein, 9/11," CNN.cm, June 1,2009 http://www.cnn.com/2009/politics/QI/Cheneg.Speech/; Rebbeca Christie, "US Rumsfeld Concedes No WMDs or September 11 ties in Iraq," **Dow Jones Newswires**, September 17, 2004; Cirincione, Mathews, and Perkovitch, **WMD in Iraq**, 44; Milibank and Deane, "Hussein Link to 9/11 Lingers"; Greg Miller, "No Proof Connects Iraq to 9/11, Bush says," **Los Angeles Times**, September 18, 2003; Paul Reynolds, "Rumsfeld Weakens a Pillar of War," **BBC News Online**, October 5, 2004 http://news.bbc.co.uk/2/hi/americos/3717024.stm; David E. Sanger, "Bush Reports No Evidence of Hussein Tie to 9/11," **New York Times**, September 18, 2003; Susan Walsh, "Rumsfeld Sees No Links between saddam Hussein, 9/11," **USA Today**, September 16, 2003.

ورد في مقال نشر في مجلة «ناشيونال» أنه «بعد عشرة أيام من هجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية على برجي التجارة ومبنى البنتاغون، جرى إبلاغ الرئيس بوش في إفادة سرية بأن المخابرات الأمريكية ليست لديها أدلة تربط النظام العراقي (صدام حسين) بالاعتداءات، وأن الأدلة على جهود تنسيقية بين العراق والقاعدة كانت غير مؤكدة، وذلك وفق السجلات الحكومية ومسؤولين حاليين وسابقين لديهم اطلاع مباشر على الموضوع».

Murray Waas, "Key Bush Intelligence Briefing Kept from Hill Panel," **National journal**, November 22, 2005.

(36) نص إفادة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمام لجنة مجلس الشيوخ للخدمات العسكرية حول العراق، 19 سبتمبر 2002.

(37) رسالة من الرئيس إلى رئيس مجلس النواب والرئيس المؤقت لمجلس الشيوخ، 18 مارس 2003.

(38) "Bush Makes Historic Speech aboard Warship," CNN.com, May 1, 2003 http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.Transcript/. http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.transcript/ See also Jim Gutenberg and Sheryl Gay Stolberg, "Bush Says G.O.P. Rebels are Putting Nation at Risk," New

York Times, September 16, 2006; David E. Sanger and Robert Toner, "Bush and Cheney talk Strongly of Qaeda Links with Hussein," New York Times, June 18, 2004.

(39) New York Times, "What the Bush Administration Said," June 20, 2004; Christopher Scheer, Robert Scheer, Lakshmi Chaudhry, The Five Biggest Lies Bush Told Us About Iraq (NY: Seven Stories, 2003), 42.

(40) كذبـة أخرى خدمت الغرض نفسـه تمثلت في ادعـاء الرئيس بوش، والـذي أكده في ثلاث مناسـبات مختلفة، أن صدام حسـين رفض دخول مفتشي الأمم المتحدة إلى العراق في العام 2002. وبناء عليه، فإنه لم يملك أي خيار إلا بإزالة الرئيس العراقي من السلطة، انظر:

Joe Chanson, "Saddam Chose to Deny Inspectors," Salon, March 31, 2006,

http://www.salon.com/news/opinion/joe_conason/2006/03/31.bush_lies.

وطبعا سمح صدام للمفتشين بالدخول إلى العراق ومنحهم حرية حركة كاملة للبحث عن أسلحة الدمار الشـامل، بيد أن بوش سحبهم قبل أن ينهوا مهمتهم، ثم قام بغزو العراق. وللاطلاع عـلى عرض ممتاز للخداع الذي مارسـته حكومـة الرئيس بوش خلال فـترة التحضير لغزو العراق انظر:

David Corn, "Can the 'Bush Lied' Deniers Handle the Truth?" Politics Daily, March 17, 2010,

http://www.politicsdaily.com/2010/03/17/can_the_lied_deniers_handle_the_truth/

David Corn, "Charges and Countercharges: Did Bush Knowingly Mislead the US into War with Iraq?" Politics Daily, March 30, 2010.

http://www.politicsdaily.com/2010/03/30/a_long_war_d:d_bush_knowingly_mislead_the_u_s_into_iraq/.

(41) Woodward, Plan of Attack, 296; Brian Knowlton, "Diplomacy Won't Be Given Months," New York Times, January 31, 2003. See also Bush's comments in Scheer, Scheer, and Chaudhry, Five Biggest Lies, 80.

(42) Scheer, Scheer, and Chaudhry, Five Biggest Lies, 80.

(43) Nicholas Lemann, "How it came to war; When Did Bush Decide That He Had to Fight Saddam?" New Yorker. March 31, 2003. See also, Richard N. Haass, War of Necessity, War of Choice: A Memoir of Two Iraq Wars (NY: Simon and Schuster, 2009), 4-6.

(44) Times (London), "The Secret Downing Street Memo," May 1, 2005. See also Michael Smith, "The Real News in the Downing Street Memos," Los Angeles Times, June 23, 2005.

(45) Woodward, **Plan of Attack**, 269-74.

للمزيـد من الأدلة عـلى أن الرئيس بوش اتخذ قرار الحرب قبل نهايـة يناير 2003، انظر المرجع السابق 95، 113، 115، 20-119، 169، 178. وكذلك، هناك أدلة في الإعلام خلال العام 2002 على أن حكومة بوش كانت قد قررت إزاحة صدام بالقوة، انظر على سبيل المثال:

John Walcott and Mark Danner, "The Secret Way to War: An Exchange," **New York Review of Books**, July 14, 2005, 48-49.

(46) مـن المفيـد ملاحظة أنه في هـذه الحالة نجد حكومة بوش تسـتخدم أسـلوب إثارة الذعر، بالإضافة إلى الكذب بين الدول، مما يذكرنا بأنه الكذب عينه، ولكنه موجه إلى جماهير مختلفة.

(47) من أجل نقاش واف حول ما يدعو القادة إلى التهوين من شأن التهديدات، انظر:

A. Trevor Thrall and Jane K. Cramer, ads., **American Foreign Policy and the Politics of Fear: Threat Inflation since 9/11** (NY: Rutledge, 2009)

(48) Steven Casey "Selling NSC-68: The Truman Administration, Public Opinion, and the Politics of Mobilization, 1950-51," **Diplomatic History** 29, no.4 (September 2005): 655 – 90.

كان خطاب إدارة الرئيس ترومان في الواقع مثيرا للحذر إلى درجة «الخوف من أن تزيد سـخونة المزاج العام، مما يقلل من حرية المسؤولين في المناورة، وربما يدفعهم نحو سياسات راديكالية خطيرة» (المرجع السابق، 661)، انظر أيضا:

Nancy E. Bernhard, **US Television News and Cold War Propaganda, 1947-1960** (NY: Cambridge University Press, 1999); Campbell Craig and Fredrik Logevall, **America's Cold War: The Politics of Insecurity** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2009).

(49) Leslie Gelb with Jeanne-Palima Zelmati, "Mission Unaccomplished," **Democracy**, no. 13 (Summer 2009):24.

(50) الموجز الكلاسيكي ضد وثائق الكونفيدرالية:

Alexander Hamilton, James Madison and John Jay, **The Federalist Papers**, ed. Isaac Kramnik (Harmondsworth, UK: Penguin books, 1987), 145-84.

للاطلاع على نقد لآلية صناعة السياسات وفق الدستور الأمريكي، انظر:

Theodore J. Lowi, "Making Democracy Safe for the World: National Politics and Foreign Policy," in James N. Rosenau, ed., **Domestic Sources of Foreign Policy** (NY: Free Press, 1967), 295-331. Theodore J. Lowi, **The End of Liberalism: The Second Republic of the United States**, 2nd ed. (NY: Norton, 1979); E.E. Schattschneider, **The Semisovereign People: A Realist's View of Democracy in America** (Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovic, 1975). See also, Michael Crozier, Samuel P. Huntington, and Joji Watanuki, **The Crisis of Democracy: Report on the Governability of Democracies to the Trilateral Commission**, Triangle

Papers 8 (NY: New York University Press, 1975); David Donald's essay, "Died of Democracy," in David Donald, ed., **Why the North Won the Civil War** (NY: Collier Books, 1962) 79-90.

حيث يجادل بأن الجنوب خسر الحرب الأهلية لأنه كان ديموقراطيا أكثر من اللازم.

(51) Alterman, **When Presidents Lie**, 210.

(52) Richard Cohen, "A War without Winners," **Washington Post**, Novemebr 3, 2005.

(53) James Burnham, **Suicide of the West: An Essay on the Meaning of Destiny of Liberalism** (New Rochelle, NY: Arlington House, 1964); Donald Kagan and Fredrick W. Kagan, **While America Sleeps: Self-Delusion, Military Weakness, and the Threat to Peace Today** (NY: St. Martin's, 2000); Donald Kagan, **On the Origins of War and the Preservation of Peace** (NY: Doubleday, 1995), 572-73; Robert G. Kaufman, "To Balance or to Bandwagon? Alignment Decisions in the 1930s Europe," Security Studies 1, no.3 (Spring 1992): 417-47; Norman Podhoretz, **The Present Danger: Do We Have the Will to Reverse the Decline of American Power?** (NY: Simon and Schuster, 1980); Jean-Francois Revel, **How Democracies Perish**, trans. William Byron (Garden City, NY: Doubleday, 1984).

(54) Quoted in Ronald Bailey, "Origins of the Specious: Why Do Conservatives Doubt Darwin?" **Reason**, July 1997.

(55) Walter Lippmann, "Why Should the Majority Rule?" in Clinton Rossiter and James Lare, eds., **The Essential Lippmann: A Political Philosophy for Liberal Democracy** (NY: Random House, 1963), 6-14; Walter Lippmann, **The Phantom Public** (NY: Macmillan, 1927); Walter Lippmann, **Public Opinion** (NY: Free Press, 1965).

(56) Ian Kershaw, **The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich** (NY: Oxford University Press, 1989), 3.

(57) القــوى الكبرى التي تتصرف كموازنات من الخارج (Offshore) هي دول جُزرية (معزولة) (Insular) وليسـت دولا قارية (Continental)، انظر:

John J. Mearsheimer, **The Tragedy of Great Power Politics** (NY: Norton, 2001), 126-28. On the "stopping power of water," see ibid., 114-28.

(58) Michael Walzer, **Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations**, 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 74-85.

كما يلاحظ جون شوسـلر، فإن دوافع القادة لخداع شـعوبهم سـتكون أكـبر إذا كانوا يتوقعون استمرار ودموية الحرب الوقائية.

("The Deception Dividend," 135-142).

وبالطبع، فإن حكومة بوش قد توقعت انتصارا سهلا وسريعا في العراق.

(59) يقدم مبدأ بوش، والذي وضعت أسسه في العام 2002، تبريرا لغزو العراق، حيث عرض الحجج لخوض الحروب الاستباقية ضد التهديدات المتوقعة، بيد أنه في واقع الحال، كانت حكومة بوش تخطط لحروب استباقية ضد العراق ودول أخرى في الشرق الأوسط قبل ذلك، انظر:

The National Security Strategy of the United States of America (Washington, DC: White House, September 2002); Remarks by the President to the Graduating Class, West Point (White House, Office of the Press Secretary, June, 2002).

الفصل الخامس

(1) Ian Ousby, **The Road to Verdun: World War I's Most Momentous Battle and the Folly of Nationalism** (NY: Anchor Books, 2003), 299. See also, **New York Times**, "French Army Chief May Go," December 7, 1916; Robert A. Doughty, **Pyrrhic Victory: French Strategy and Operations in the Great War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), chaps. 5-6; Walter Duranty, "Joffre-Gallieni Dispute Bared, **New York Times**, August 21, 1919; Walter Duranty, " Joffre Ousted by Intrigues," **New York Times**, August 23, 1919; David Dutton, " The Fall of General Joffre: An Episode in the Politico-Military Struggle in Wartime France," **Journal of Strategic Studies** 19, no.3 (December 1978): 338-51; Jere Clemens King, **Generals and Politicians: Conflict Between France's High Command, Parliament, and Government, 1914-1918** (Berkeley: University of California Press, 1951), chaps. 5-6; Harold D. Lasswel, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927), 39-40; Walter Lippmann, **Public Opinion** (NY: Free Press, 1965), chaps. 1-2' David Mason, verdun (Moreton-in-Marsh, UK: Windrush, 2000), 9-12, 23-27, 133-37, 182, 190-91; Gordon Wright, **Raymond Poincare and the French Presidency** (Stanford, CA: Stanford University Press, 1942), 193-98.

(2) Michael Bar-Zohar, **Ben-Gurion: A Biography**, trans. Peretz Kidron (NY: Delacorte, 1978), 203-6; Benny Morris, **Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War**, rev.ed. (Oxford: Clarendon Press, 1997), chap. 8; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 278-79; Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton, 2000), 90-93.

(3) Quoted in Morris, **Israel's Border Wars**, 259.

(4) Shlaim, **Iron Wall**, 91.

(5) Bar-Zohar, **Ben-Gurion**, 205.

(6) Morris, **Righteous Victims**, 278-79.

(7) Graham Allison and Philipn Zelikow, **Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis**, 2nd ed. (NY: Longman 1999), 356-66; McGeorge Bundy, **Danger and Survival** (New York: Random House, 1988), 427-39, 445; Michael Dobbs, **One Minute to Midnight: Kennedy, Khrushchev, and Castro on the Brink of Nuclear War** (NY: Knopf, 2008), 199-201, 231-36, 257, 270-71, 288-93, 305-38 Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, **On Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964** (NY: Norton, 1997), 249-50, 266-67, 275-89, 293-94, 300,321-24, 352.

(8) E.H. Carr, **German-Soviet Relations between the Two World Wars, 1919-1939** (Baltimore: Johns Hopkins Press, 1951), chaps. 3-4; Hans W. Gatzke, **Stresemann and Rearmament of Germany** (NY: Norton, 1969), chaps. 4-5; George W. F. Hallgarten, "General Hans von Seeckt and Russia, 1920-1922" **Journal of Modern History 21,** no.1 (March 1949): 28-34; Gustav Hilger and Alfred G. Meyer, **The Incompatible Allies: A Memoir-History of German-Soviet Relations, 1918-1941** (NY: Macmillan, 1953); Vasilis Vourkoutiotis, **Making Common Cause: German-Soviet Relations, 1919-22** (NY: Palgrave Macmillan, 2007).

(9) Caroline Elkins, **Imperial Reckoning: The Untold Story of Britain's Gulag in Kenya** (NY: Holt, 2005), chaps. 9-10.

(10) Martin Fackler, "Japanese Split on Exposing Secret Pacts with US," **New York Times**, February 9, 2010; John M. Glionna. Japan's Secret Pact with US Spurs Debate," **Los Angeles Times**, January 17, 2010; Robert A. Wampler, ed., "Nuclear Noh Drama: Tokyo, Washington and the Case of the Missing Nuclear Agreements," **The National Security Archive**, October 13, 2009, http://www.gwu.sed/nsarchiv/nukevault/ebb291/index.htm

(11) من الممكن القول إن إخفاء العجز هو أكثر احتمالا في البلد الديموقراطي، لأن القادة محاسبون من قبل شعوبهم، وقد يعاقبون إن اكتشف عجزهم وفشلهم. وفي حين أنني أقر بصحة هذه المقولة، بيد أن كذبا من هذا النوع يحدث عادة لدوافع أنانية وشخصية، وليس للمصلحة العامة للبلد. وبعبارة أخرى، فإن ذلك يعتبر من التستر أو التغطية الشنيعة كما أشرت سابقا، وهي أنواع من الكذب التي تقع خارج إطار هذا الكتاب. وكذلك من الممكن القول أيضا بعكس ذلك: حيث إنه قد تكون هناك حاجة أقل للتستر على الأخطاء في الديموقراطيات، لأن الديموقراطيات يكون أداؤها أفضل في الاختيارات الإستراتيجية من الدول غير الديموقراطية، انظر:

David A. Lake, "Powerful Pacifists: Democratic States and War," **American Political Science Review 86,** no.1 (March 1992): 24-37; Dan Reiter and Allan C. Stam, **Democracies at War** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002).

بيد أن المراجعة الدقيقة للمنطق والأدلة وراء هذا الادعاء لا تدل على وجود فروقات ذات قيمة تذكـر بين قدرة الديموقراطيات أو غير الديموقراطيات على اتخاذ قرارات حصيفة في مضمار السياسة الخارجية، انظر:

Michael C. Desch, **Power and Military Effectiveness: The Fallacy of Democratic Triumphalism** (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008): Alexander B. Downes, "How Smart and Tough Are Democracies? Reassessing Theories of Democratic Victory in War," **International Security 33,** no.4 (Spring 2009): 9-51; Sebastian Rosato, "The Flawed Logic of democratic Peace Theory," **American Political Science Review 97,** no.4 (Novemebr 2003): 585-602.

الفصل السادس

(1) ولكــن هذا لا يعني أن المقولات الأساسـية عن ماضي دولة ما هي ليسـت إلا مجموعة من الأساطير، حيث من الممكن أن تتضمن روايات حقيقية.

(2) Stephen van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," International Security 18, no.4 (Spring 1994):27.

(3) Ernest Renan, "What is a Nation?" in Geoff Eley and Ronald Grigor Suny, eds., **Becoming National: A Reader** (NY: Oxford University Press, 1996), 45.

(4) Dominique Moisi, "France Is Haunted by an Inability to Confront its Past," **Financial Times,** December 12, 2005.

(5) يرى فان إيفيرا أن «الأساطير القومية قد تساعد النخب الضعيفة في فرض سيطرتها».

(Hypotheses on Nationalism and War," 30).

ومع صحة ذلك، فإن الأكاذيب الأنانية من هذا النوع هي خارج نطاق هذا الكتاب.

(6) أفضل ما كتب حول هذا الموضوع:

Ronald Smelser and Edward J Davies II, **The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture** (NY: Cambridge University Press, 2008). See also Omer Bartov, **Germany's War and the Holocaust: Disputed Histories** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2003); Paula Bradish, **Crimes of the German Wehrmacht: Dimensions of a War of Annihilation, 1941-1944.** exhibition brochure (Hamburg, Germany: Hamburg Institute for Social Research, 2004); Norbert Frei, **Adenauer's Germany and the Nazi Past: The Politics of Amnesty and Intergration,** trans. Joel Golb (NY: Columbia University Press,

2002); Hannes Heer and Klaus Naumann, eds., **War of Extermination: The German Military in World War II, 1941-1944** (NY:Berghahn Books,2000); John J. Mearsheimer, **Liddell Hart and the Weight of History** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988), 178-201; Alaric Searle, **Wehrmacht Generals, West German Society, and the Debate on Rearmament, 1949-1959** (Westport, CT: Praeger, 2003); Wolfram Wette, **The Wehrmacht: History, Myth, Reality**, trans. Deborah Lucas Schneider (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2006), chap.5.

(7) Christopher Simpson, **Blowback: America's Recruitment of Nazis and Its Effects on the Cold War** (NY: Collier Books, 1989), 158.

(8) حول أسطورة لماذا ترك الفلسطينيون ديارهم، انظر:

Erskine Childers, "The Other Exodus," **Spectator**, May 12, 1961; Simha Flapan, **The Birth of Israel: Myths and Reality** (NY: Pantheon Books, 1987), 81-118; Walid Khalidi, "Why Did the Palestinians Leave, Revisited," **Journal of Palestine Studies 34**, no.2 (Winter 2005): 42-54; Walid Khalidi, "The Fall of Haifa," **Middle East Forum** 35, no.10 (December 1959): 22-32; Benny Morris, **The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited**, 2nd ed. (NY: Cambridge University Press, 2004); Ilan Pappe, **The Ethnic Cleansing of Palestine** (Oxford: Oneworld, 2006), 131.

ولتحليل أساطير أخرى، انظر:

Flapan, **Birth of Israel**; Norman G. Finkelstein, **Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict** (London: Verso, 1995); John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and US Foreign Policy** (NY: Ferrar, Straus, and Giroux, 2007), chap. 3; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999); Tom Segev, **One Palestine, Complete: Jews and Arabs under the British Mandate**, trans. Him Watzman (NY: Holt, 2001); Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton,2000); Zeev Sternhell, **The Founding Myths of Israel: Nationalism, Socialism, and the Making of the Jewish State**, trans. David Maisel (Princeton, NJ: Princeton University Press,1998).

(9) Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," ٢٩.

الفصل السابع

(1) Alexander B. Downes, **Targeting Civilians in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), 3.

(2) Robert A. Pape, **Bombing to Win: Air Power and Coercion in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1966), chap.4.

(3) Quoted in Tim Weiner, " Robert S. McNamara, Architect of Futile War, Dies at 93," **New York Times**, July 6, 2009.

(4) UNICEF, "Iraq Surveys Show Humanitarian Emergency" **Information Newsline,** August 12, 1999. http://www.unicef.org/newsline/99pr29.htm; Biswajit Sen, Iraq Watching Briefs: Overview Report, UNICEF, July 2003, http://www.unicef.org/evaldatabase/files/Iraq_2003_Watching_Briefs.pdf.

البعض يجادل بأن عدد الوفيات 500 ألف هو رقم عال جدا، انظر على سبيل المثال:

David Cortright, "A Hard Look at Iraq Sanctions," **Nation,** December 3, 2001; Mat Welch, "The Politics of Dead Children," **Reason,** March 2002, http://reason.com/archives/2002/03/01/the_politics_of_dead_children.

أيا كان الرقم الصحيح، فإن ديفيد ريف في الأغلب على حق حين كتب أن «المسـؤولين الأمريكيين قد يختلفون حول الأرقام، غير أن هناك قليلا من الشـك حول أن مئات الآلاف من الأطفال، على الأقل، قد قضوا قبل عيد ميلادهم الخامس».

("Were Sanctions Right?" **New York Times Magazine,** July 27, 2003).

(5) Benjamin A. Valentino, **Final Solutions: Mass Killings and Genocide in the Twentieth Century** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004), 73-75, 91-117.

في نقاشـه للدور الإجرامي لهتلر في الهولوكوسـت، يلاحظ فالنتينو أنه «حتى لو جُمع جزء بسيط ممن ماتوا خلال المجاعة تحت حكم سـتالين وماو، فإن كلا منهما سيكون مسؤولا عن عدد أكبر من ضحايا هتلر، وربما أكبر بكثير».

(6) P.M.H. Bell, **John Bull and the Bear: British Public Opinion, Foreign Policy, and the Soviet Union, 1941-1945** (London:Arnold, 1990); Martin H. Folly, **Churchill, Whitehall, and the Soviet Union, 1940-1945** (NY: St.Martin;s,2000); John Lewis Gaddis, **The United States and the Origins of the Cold War, 1941-1947** (NY:Columbia University Press, 1972), chap.2; Ralph B. Levering, **American Opinion and the Russian Alliance, 1939-1945** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1976), chaps.3-5; Ido Oren, "The Subjectivity of the 'Democratic' Peace: Changing US Perceptions of Imperial Germany", **International Security 20,** no.2 (Fall 1995): 181-182; Ronald Smelser and Edward J. Davies II, **The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture** (NY: Cambridge University Press, 2008), chap.1.

(7) قتل الاتحاد السـوفييتي نحو 22 ألف بولندي بين أبريل ومايو 1940، وقد دفن 4400 منهم تقريبا في غابة كاتين، أما بقية الضحايا فقد قتلوا ودُفنوا في مواقع أخرى.

George Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre of 1940: Truth, Justice, and Memory** (NY: Rutledge, 2005), 1.

من بين أفضل المصادر حول كاتين وكيف كانت ردود فعل تشرشل وروزفلت، انظر:

Bell, **John Bull,** chap.4; Allen Paul, **Katyn: The Untold Story of Stalin's Polish Massacre** (NY: Scribner's, 1991), chap.22; Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre,** chaps. 6-7; Victor Zaslvsky, **Class Cleansing: The Katyn Massacre, trans. Kisser Walker** (NY: Telos, 2008), chap.5.

(8) Quoted in Paul, **Katyn,** 303.

(9) Bell, **John Bull**, 119.

حول جهود حكومة روزفلت للتغطية على مسؤولية السوفييت عما حدث في غابة كاتين، انظر:

Paul, Katyn, 306-15, Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre**, 159-66.

(10) الاقتباسات في هذه الفقرة من:

Allan Bullock, **Hitler, a Study in Tyranny**, rev. ed. (NY: Harper&Row, 1964), 546-47. See also Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovich, 1974), 598-600; Bradley Lightbody, **The Second World War: Ambitions and Nemesis** (NY: Rutledge, 2004), 39.

(11) Max Hastings, **Bomber Campaign: Churchill's Epic Campaign** (NY: Simon and Schuster, 1989), 171. See also Stephen A. Garrett, **Ethics and Airpower in World War II: The British Bombing of German Cities** (NY: St. Martin's, ١٩٩٣), ٣٠-٣٧.

(12) David Bamber, "Ben Laden: Yes, I Did It," **Daily Telegraph**, November 11, 2001; Peter L. Bergen, **The Osama bin Laden I know: An Oral History of Al-Qaeda's Leader** (NY: Free Press, 2006), 321-22; Bruce Lawrence, ed., **Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden**, trans. James Howarth(London: Verso, 2005), 140-41.

(13) Michael Walzer, **Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations** 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 19.

الفصل الثامن

(1) للنقاش حول تكاليف الكذب على المجتمع، انظر:

Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 55-147.

(2) Francis Fukuyama, **Trust: The Social Virtues and The Creation of Prosperity** (NY: Free Press, 1995); Luigi Guiso, Paola Sapiens, Luigi Zingales, "The Role of Social Capital in Financial Development" (working paper 7563, National Bureau of Economic Research, February 2000); Marc J. Hetherington, **Why Trust Matters: Declining Political Trust and the Demise of American Liberalism** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005); Stephen Knack and Philip Keefer, "Does Social Capital Have an Economic Payoff? A Cross-Country Investigation," **Quarterly Journal of Economics** 112, no.4 (November 1997): 1251-88; Rafael La Porta et al,' "Trust in Large Organisations," **American Economic Review** 87, no.2 (May 1997): 333-38; Robert D. Putnam, **Making Democracy Work: Civic Traditions in Modern Italy** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993); Charles Tilly, **Trust and Rule** (NY: Cambridge University Press, 2005).

(3) "Transcript of Special Counsel Fitzgerald's Press Conference," **Washington Post**, October 28, 2005. The best book about the Libby case is Michael Isikoff and david Corn, **Hubris: The Inside Story of Spin, Scandal, and the Selling of the Iraq War** (NY: Crown, 2006)

(4) Ken Armstrong and Steve Mills, " Death Row Justice Derailed," **Chicago**

Tribune, November 14, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Inept Defenses Cloud Verdict," **Chicago Tribune**, November 15, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "The Jailhouse Informant", Chicago Tribune, Novemebr 16, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, " A Tortured Path to Death Row", **Chicago Tribune**, November 17, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Convicted by a Hair," **Chicago Tribune**, November 18, 1999; Martha Irvine, Illinois Governor Orders Death Penalty Moratorium," Associated Press, January 31, 2000; Barry James, : Cleaning of Illinois Death Row Is Greeted With Global Cheers," **New York Times**, January 14, 2003; Paul M. Krawazak, "Ryan Explains Moratorium Call," Copely News Service, January 31, 2000; Robert E. Pierre and Kary Lydersen, "Illinois Death Row Emptied," **Washington Post**, January 12, 2003.

(5) Dwight D. Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965),chap.23; Peter Lyon, **Eisenhower: Portrait of the Hero** (Boston: Little Brown, 1974), 859-66.

(6) See Andrew T. Guzman, **How International Law Works: A Rational Choice Theory** (NY: Oxford University Press 2008), especially chap.3.

(7) تـرى آن ســارتوري أن «الـدول تميـل إلى المخادعـة، أو التمويه، ولكن الدولـة التي تضبط متلبسـة بالكذب تكتسـب سـمعة بممارسـة الكذب، وبالتالي فإن خصومها يصبحون أقل قابليـة لتصديقهـا في المسـتقبل». وبالتالي فإن الـدول لا تخدع ولا تكذب خشـية التأثير السـلبي في سـمعتها، وأثر ذلك في إمكانات التعاون المسـتقبلي. «احتمال اكتساب سمعة الكذب - والتقليل من مصداقية الدولة الدبلوماسية - قد يؤدي إلى أن يتصرف السياسيون والدبلوماسيون بأمانة وصدق، باستثناء الحالات التي يكون فيها الكذب مغريا جدا»، انظر:

Deterrence by Diplomacy (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005),5.

اتفق أن لسمعة الدولة أهمية كبيرة في محيط السياسات الدنيا؛ مما يؤدي إلى التقليل من الكذب، ولكـن خلافا لما ذهبت إليه سـارتوري، فإننـي لا أظن وجود أهمية للسـمعة حين يجري التعامل مع قضايا السياسات العليا، انظر:

Daryl G. Press, Calculating Credibility: How Leaders Assess Military Threats (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2005).

(8) ولكن كما أوضح جون شوسـلر، فقد أدى خداع روزفلـت خلال التحضير للحرب ضد اليابان إلى إعاقته بطرق مختلفة.

"The Deception Dividend," **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 162-63. See also Thomas J. Christensen, **Useful Adversaries: Grand Strategy, Domestic Mobilisation, and Sino-American Conflict, 1947-1958** (Princeton, NJ: Princeton University Press 1995).

(9) George Orwell, **Orwell and Politics: Animal Farm in the Context of Essays, Reviews and Letters Selected from the Complete Works of George Orwell**, ed. Peter Davison (London: Penguin, 2001), 357.

كـما كتب أورويل أن «الوطنيين لا يعترضون على انتهـاكات ترتكبها جماعتهم، بل لديهم قدرات فائقة لتجاهل تلك الانتهاكات».

(10) Richard E. Neustadt, **Presidential Power: The Politics of Leadership** (NY: New American Library, 1964), 134.

(11) Kennedy P.M "The Decline of Nationalistic History in the West, 1900-1970," **Journal of Contemporary History** 8, no.1 (January 1973): 77-100; Stephen Van Evera, "Primed for Peace: Europe after the Cold War," **International Security** 15, no.3 (Winter 1990/1991): 23-35; Stephen Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," **International Security** 18, no.4 (Spring 1994). See also Holger H. Herwig, "Clio Deceived: Patriotic Self-Censorship in Germany after the Great War," **International Security** 12, no.2 (Fall 1987): 5-44.

(12) Dale C. Copeland, **The Origins of major War** (Ithaca,NY: Cornell University Press, 2000), chaps. 3-4; John J. Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics (NY: Norton 2001), 181-90.

(13) John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and the US Foreign Policy** (NY: Farrar, Straus, and Giroux, 2007), 92097.

(14) الأدبيات التي تؤكد على البعدين الوطني والواقعي لسياسة بسمارك الخارجية بين 1862 و1870 هي:

Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J.A. Underwood (Boston: Allen&Unwin, 1986); Bruce Waller, Bismarck, 2nd ed. (Oxford: Blackwell, 1997), chaps.2-4; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973).

الفصل التاسع

(1) Minxin Pei, **China's Trapped Tradition: The Limits to Developmental Autocracy** (Cambridge University Press, 2006).

المؤلف في سطور

جون جي. ميرشيمر

- يُعَد البروفيسور جون ميرشيمر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو الأمريكية، أحد أبرز الباحثين الأمريكيين في السياسة الخارجية، وله عدة كتب منها: «مأساة السياسة في الدولة العظمى»، و«اللوبي الإسرائيلي وسياسة أمريكا الخارجية»، والذي ترجم إلى أكثر من 19 لغة، وأثار جدلا واسعا لموضوعيته في بحث مسألة حسّاسة مثل العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية، وربما كان هو الذي دفع اللوبي الإسرائيلي إلى إصدار كتاب مضاد بعنوان «اللوبي العربي».

المترجم في سطور

د. غانم حمد النجار

- بروفيسور العلوم السياسية في جامعة الكويت.
- رئيس الصندوق العربي لحقوق الإنسان، ومقره بيروت.
- مؤسس ورئيس مركز السلام للدراسات التنموية والإستراتيجية ومقره الكويت، كما أسس مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في جامعة الكويت.
- شغل منصب الخبير المستقل لحقوق الإنسان في الصومال لمدة 8 سنوات ممثلا للأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان، كما انتُخب في هيئة الخبراء الدولية للأمم المتحدة في العام 2005، وهو مستشار للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو)، ورئيس اللجنة التنظيمية لعقد مؤتمر المانحين لدعم التعليم في الصومال، وهو مفوض دولي سابق في اللجنة الدولية للحقوقيين ومقرها جنيف، ورئيس مؤسسة الخليج للتنمية ومقرها لاهاي - هولندا.
- شارك وترأس العديد من لجان التحقيق وتقصي الحقائق الدولية في العديد من الدول كباكستان والعراق والصومال ومصر والبحرين وأفغانستان وغيرها، وحصل على الجائزة الدولية في حقوق الإنسان في نيويورك في ديسمبر

1991، كما حاضر في العديد من الجامعات، وكان أســتاذا زائرا في العديد من الجامعات كجامعة هارفارد في كلية القانون - برنامج حقوق الإنســان، كذلك هو عضو هيئة تحريــر لعدة مجلات علمية عالمية، وله العديد من المؤلفات المنشــورة، كما أن لديه مساهمات إعلامية في أجهزة الإعلام، وهو حاليا كاتب صحافي في جريدة «الجريدة» اليومية في الكويت.

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته. وفي حالة الترجمة ترسل نسخة

مصورة من الكتاب بلغته الأصلية، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة، والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط. والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي، (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).

صدر عن هذه السلسلة

العنوان	المؤلف	التاريخ
١ـ الحضارة	تأليف: د/ حسين مؤنس	يناير ١٩٧٨
٢ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف: د/ إحسان عباس	فبراير ١٩٧٨
٣ـ التفكير العلمي	تأليف: د/ فؤاد زكريا	مارس ١٩٧٨
٤ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف: / أحمد عبدالرحيم مصطفى	أبريل ١٩٧٨
٥ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر	تأليف: د/ زهير الكرمي	مايو ١٩٧٨
٦ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف: د/ عزت حجازي	يونيو ١٩٧٨
٧ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف: / محمد عزيز شكري	يوليو ١٩٧٨
٨ـ تراث الإسلام (الجزء الأول)	ترجمة: د/ زهير السمهوري تحقيق وتعليق: د/ شاكر مصطفى مراجعة: د/ فؤاد زكريا	أغسطس ١٩٧٨
٩ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف: د/ نايف خرما	سبتمبر ١٩٧٨
١٠ـ جحا العربي	تأليف: د/ محمد رجب النجار	أكتوبر ١٩٧٨
١١ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني)	ترجمة: د/ حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة: د/ فؤاد زكريا	نوفمبر ١٩٧٨
١٢ـ تراث الإسلام (الجزء الثالث)	ترجمة: د. حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة: د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٧٨
١٣ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف: د/ أنور عبدالعليم	يناير ١٩٧٩
١٤ـ جمالية الفن العربي	تأليف: د/ عفيف بهنسي	فبراير ١٩٧٩
١٥ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف: د/ عبدالمحسن صالح	مارس ١٩٧٩
١٦ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف: د/ محمود عبدالفضيل	أبريل ١٩٧٩
١٧ـ الكون والثقوب السوداء	إعداد: رؤوف وصفي مراجعة: د/ زهير الكرمي	مايو ١٩٧٩
١٨ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة: د/ علي أحمد محمود مراجعة: د/ شوقي السكري، د/ علي الراعي	يونيو ١٩٧٩
١٩ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف: سعد أردش	يوليو ١٩٧٩

٢٠ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة: حسن سعيد الكرمي مراجعة: صدقي حطاب	أغسطس ١٩٧٩
٢١ـ مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف: د/ محمد على الفرا	سبتمبر ١٩٧٩
٢٢ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف: { رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني	أكتوبر ١٩٧٩
٢٣ـ الرق	تأليف: د/ عبدالسلام الترمانيني	نوفمبر ١٩٧٩
٢٤ـ الإبداع في الفن والعلم	تأليف: د/ حسن أحمد عيسى	ديسمبر ١٩٧٩
٢٥ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف: د/ علي الراعي	يناير ١٩٨٠
٢٦ـ مصر وفلسطين	تأليف: د/ عواطف عبدالرحمن	فبراير ١٩٨٠
٢٧ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف: د/ عبدالستار ابراهيم	مارس ١٩٨٠
٢٨ـ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة: شوقي جلال	أبريل ١٩٨٠
٢٩ـ العرب والتحدي	تأليف: د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٠
٣٠ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف: د/ عزت قرني	يونيو ١٩٨٠
٣١ـ الموشحات الأندلسية	تأليف: د/ محمد زكريا عناني	يوليو ١٩٨٠
٣٢ـ تكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة: د/ عبدالقادر يوسف مراجعة: د/ رجا الدريني	أغسطس ١٩٨٠
٣٣ـ الإنسان والثروات المعدنية	تأليف: د/ محمد فتحي عوض الله	سبتمبر ١٩٨٠
٣٤ـ قضايا أفريقية	تأليف: د/ محمد عبدالغني سعودي	أكتوبر ١٩٨٠
٣٥ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠ـ ١٩٧٠)	تأليف: د/ محمد جابر الأنصاري	نوفمبر ١٩٨٠
٣٦ـ الحب في التراث العربي	تأليف: د/ محمد حسن عبد الله	ديسمبر ١٩٨٠
٣٧ـ المساجد	تأليف: د/ حسين مؤنس	يناير ١٩٨١
٣٨ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف: د/ سعود يوسف عياش	فبراير ١٩٨١
٣٩ـ ارتقاء الإنسان	ترجمة: د/ موفق شخاشيرو مراجعة: د/ زهير الكرمي	مارس ١٩٨١
٤٠ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف: د/ مكارم الغمري	أبريل ١٩٨١
٤١ـ الشعر في السودان	تأليف: د/ عبده بدوي	مايو ١٩٨١
٤٢ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف: د/ علي خليفة الكواري	يونيو ١٩٨١
٤٣ـ الإسلام في الصين	تأليف: فهمي هويدي	يوليو ١٩٨١
٤٤ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف: د. عبد الباسط عبد المعطي	أغسطس ١٩٨١

٤٥ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف: د/ محمد رجب النجار	سبتمبر ١٩٨١
٤٦ـ دعوة إلى الموسيقا	تأليف: د/ يوسف السيسي	أكتوبر ١٩٨١
٤٧ـ فكرة القانون	ترجمة: سليم الصويص مراجعة: سليم بسيسو	نوفمبر ١٩٨١
٤٨ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان	تأليف: د/ عبدالمحسن صالح	ديسمبر ١٩٨١
٤٩ـ صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي	تأليف: صلاح الدين حافظ	يناير ١٩٨٢
٥٠ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية	تأليف: د/ محمد عبدالسلام	فبراير ١٩٨٢
٥١ـ السينما في الوطن العربي	تأليف: جان ألكسان	مارس ١٩٨٢
٥٢ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف: د/ محمد الرميحي	أبريل ١٩٨٢
٥٣ـ البدائية	ترجمة: د/ محمد عصفور	مايو ١٩٨٢
٥٤ـ الحشرات الناقلة للأمراض	تأليف: د/ جليل أبو الحب	يونيو ١٩٨٢
٥٥ـ العالم بعد مائتي عام	ترجمة: شوقي جلال	يوليو ١٩٨٢
٥٦ـ الإدمان	تأليف: د/ عادل الدمرداش	أغسطس ١٩٨٢
٥٧ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف: د/ أسامة عبدالرحمن	سبتمبر ١٩٨٢
٥٨ـ الوجودية	ترجمة: د/ إمام عبدالفتاح	أكتوبر ١٩٨٢
٥٩ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف: د/ انطونيوس كرم	نوفمبر ١٩٨٢
٦٠ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)	تأليف: د/ عبدالوهاب المسيري	ديسمبر ١٩٨٢
٦١ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)	تأليف: د/ عبدالوهاب المسيري	يناير ١٩٨٣
٦٢ـ حكمة الغرب (الجزء الأول)	ترجمة: د/ فؤاد زكريا	فبراير ١٩٨٣
٦٣ـ الإسلام والاقتصاد	تأليف: د/ عبدالهادي علي النجار	مارس ١٩٨٣
٦٤ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد	إبريل ١٩٨٣
٦٥ـ مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف: عبدالعزيز بن عبد الجليل	مايو ١٩٨٣
٦٦ـ الإسلام والشعر	تأليف: د/ سامي مكي العاني	يونيو ١٩٨٣
٦٧ـ بنو الإنسان	ترجمة: زهير الكرمي	يوليو ١٩٨٣
٦٨ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية	تأليف: د/ محمد موفاكو	أغسطس ١٩٨٣
٦٩ـ ظاهرة العلم الحديث	تأليف: د/ عبدالله العمر	سبتمبر ١٩٨٣
٧٠ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (القسم الأول)	ترجمة: د/ علي حسين حجاج مراجعة: د/ عطيه محمود هنا	أكتوبر ١٩٨٣
٧١ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي	تأليف: د/ عبدالمالك خلف التميمي	نوفمبر ١٩٨٣
٧٢ـ حكمة الغرب (الجزء الثاني)	ترجمة: د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٨٣

العنوان	المؤلف/المترجم	التاريخ
٧٣ـ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف: د/ مجيد مسعود	يناير ١٩٨٤
٧٤ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف: أمين عبدالله محمود	فبراير ١٩٨٤
٧٥ـ التصوير والحياة	تأليف: د/ محمد نبهان سويلم	مارس ١٩٨٤
٧٦ـ الموت في الفكر الغربي	ترجمة: كامل يوسف حسين مراجعة: د/ إمام عبدالفتاح	أبريل ١٩٨٤
٧٧ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا	تأليف: د/ أحمد عتمان	مايو ١٩٨٤
٧٨ـ قضايا التبعية الإعلامية والثقافية	تأليف: د/ عواطف عبدالرحمن	يونيو ١٩٨٤
٧٩ـ مفاهيم قرآنية	تأليف: د/ محمد أحمد خلف الله	يوليو ١٩٨٤
٨٠ـ الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف: د/ عبدالسلام الترمانيني	أغسطس ١٩٨٤
٨١ ـ الأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف: د/ جمال الدين سيد محمد	سبتمبر ١٩٨٤
٨٢ ـ تشكيل العقل الحديث	ترجمة: شوقي جلال مراجعة: صدقي حطاب	أكتوبر ١٩٨٤
٨٣ ـ البيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف: د/ سعيد الحفار	نوفمبر ١٩٨٤
٨٤ ـ المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف: د/ رمزي زكي	ديسمبر ١٩٨٤
٨٥ ـ دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف: د/ بدرية العوضي	يناير ١٩٨٥
٨٦ ـ الإنسان وعلم النفس	تأليف: د/ عبدالستار إبراهيم	فبراير ١٩٨٥
٨٧ ـ في تراثنا العربي الإسلامي	تأليف: د/ توفيق الطويل	مارس ١٩٨٥
٨٨ ـ الميكروبات والإنسان	ترجمة: د/ عزت شعلان مراجعة: د/ عبدالرزاق العدواني، د/ سمير رضوان	أبريل ١٩٨٥
٨٩ ـ الإسلام وحقوق الإنسان	تأليف: د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٥
٩٠ ـ الغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف: كافين رايلي ترجمة: د/ عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي مراجعة: د/ فؤاد زكريا	يونيو ١٩٨٥
٩١ ـ تربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف: د/ عبدالعزيز الجلال	يوليو ١٩٨٥
٩٢ ـ عقول المستقبل	ترجمة: د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٥
٩٣ ـ لغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف: د/ أحمد مدحت إسلام	سبتمبر ١٩٨٥
٩٤ ـ النظام الإعلامي الجديد	تأليف: د/ مصطفى المصمودي	أكتوبر ١٩٨٥

٩٥ ـ تغيّر العالم	تأليف: د/ أنور عبدالملك	نوفمبر ١٩٨٥
٩٦ ـ الصهيونية غير اليهودية	تأليف: ريجينا الشريف ترجمة: أحمد عبدالله عبدالعزيز	ديسمبر ١٩٨٥
٩٧ ـ الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف: كافين رايلي ترجمة: د/ عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي مراجعة: د/ فؤاد زكريا	يناير ١٩٨٦
٩٨ ـ قصة الأنثروبولوجيا	تأليف: د/ حسين فهيم	فبراير ١٩٨٦
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف: د/ محمد عماد الدين إسماعيل	مارس ١٩٨٦
١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف: د/ محمد علي الربيعي	أبريل ١٩٨٦
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف: د/ شاكر مصطفى	مايو ١٩٨٦
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف: د/ رشاد الشامي	يونيو ١٩٨٦
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف: د/ محمد توفيق صادق	يوليو ١٩٨٦
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف: جاك لوب ترجمة: أحمد فؤاد بلبع	أغسطس ١٩٨٦
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف: د/ إبراهيم عبدالله غلوم	سبتمبر ١٩٨٦
١٠٦ ـ «المتلاعبون بالعقول»	تأليف: هربرت . أ . شيللر ترجمة: عبدالسلام رضوان	أكتوبر ١٩٨٦
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف: د/ محمد السيد سعيد	نوفمبر ١٩٨٦
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (الجزء الثاني)	ترجمة: د/ علي حسين حجاج مراجعة: د/ عطية محمود هنا	ديسمبر ١٩٨٦
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف: د/ شاكر عبدالحميد	يناير ١٩٨٧
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة: د/ محمد عصفور	فبراير ١٩٨٧
١١١ ـ قلق الموت	تأليف: د/ أحمد محمد عبدالخالق	مارس ١٩٨٧
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف: د/ جون . ب . ديكنسون ترجمة: شعبة الترجمة باليونسكو	أبريل ١٩٨٧
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي	مايو ١٩٨٧
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة: د/ فاطمة عبدالقادر المما	يونيو ١٩٨٧

١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف: د/ معن زيادة	يوليو ١٩٨٧
١١٦ ـ أدب أمير كا اللاتينية قضايا ومشكلات (القسم الأول)	تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد مراجعة: د/ شاكر مصطفى	أغسطس ١٩٨٧
١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث	تأليف: د/ أسامة الغزالي حرب	سبتمبر ١٩٨٧
١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف	تأليف: د/ رمزي زكي	أكتوبر ١٩٨٧
١١٩ ـ قصيدة وصورة	تأليف: د/ عبدالغفار مكاوي	نوفمبر ١٩٨٧
١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب	تأليف: د/ سوزانا ميلر ترجمة: د/ حسن عيسى مراجعة: د/ محمد عماد الدين إسماعيل	ديسمبر ١٩٨٧
١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم	تأليف: د/ رياض رمضان العلمي	يناير ١٩٨٨
١٢٢ ـ أدب أمير كا اللاتينية (القسم الثاني)	تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد مراجعة: د/ شاكر مصطفى	فبراير ١٩٨٨
١٢٣ ـ ثقافة الأطفال	تأليف: د/ هادي نعمان الهيتي	مارس ١٩٨٨
١٢٤ ـ مرض القلق	تأليف: د/ دافيد . ف . شيهان ترجمة: د/ عزت شعلان مراجعة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	أبريل ١٩٨٨
١٢٥ ـ طبيعة الحياة	تأليف: فرانسيس كريك ترجمة: د/ أحمد مستجير مراجعة: د/ عبد الحافظ حلمي	مايو ١٩٨٨
١٢٦ ـ اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)	تأليف: { د/ نايف خرما د/ علي حجاج }	يونيو ١٩٨٨
١٢٧ ـ اقتصاديات الإسكان	تأليف: د/ إسماعيل إبراهيم درة	يوليو ١٩٨٨
١٢٨ ـ المدينة الإسلامية	تأليف: د/ محمد عبدالستار عثمان	أغسطس ١٩٨٨
١٢٩ ـ الموسيقا الأندلسية المغربية	تأليف: عبدالعزيز بن عبدالجليل	سبتمبر ١٩٨٨
١٣٠ ـ التنبؤ الوراثي	تأليف: { د/ زولت هارسناي ريتشارد هتون } ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة: د/ مختار الظواهري	أكتوبر ١٩٨٨

العنوان	المؤلف	التاريخ
١٣١ ـ مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام	تأليف: د/ أحمد سليم سعيدان	نوفمبر ١٩٨٨
١٣٢ ـ أوروبا والتخلف في أفريقيا	تأليف: د/ والتر رودني ترجمة: د/ أحمد القصير مراجعة: د/ إبراهيم عثمان	ديسمبر ١٩٨٨
١٣٣ ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية	تأليف: د/ عبدالخالق عبد الله	يناير ١٩٨٩
١٣٤ ـ العلم في منظوره الجديد	تأليف: { روبرت م. اغروس جورج ن. ستانسيو ترجمة: د/ كمال خلايلي	فبراير ١٩٨٩
١٣٥ ـ العرب واليونسكو	تأليف: د/ حسن نافعة	مارس ١٩٨٩
١٣٦ ـ اليابانيون	تأليف: إدوين رايشاور ترجمة: ليلى الجبالي مراجعة: شوقي جلال	أبريل ١٩٨٩
١٣٧ ـ الاتجاهات التعصبية	تأليف: د/ معتز سيد عبد الله	مايو ١٩٨٩
١٣٨ ـ أدب الرحلات	تأليف: د/ حسين فهيم	يونيو ١٩٨٩
١٣٩ ـ المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا	تأليف: عبدالله عبدالرزاق ابراهيم	يوليو ١٩٨٩
١٤٠ ـ الإنسان بين الجوهر والمظهر (نتملك أو نكون)	تأليف: إريك فروم ترجمة: سعد زهران مراجعة: د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٩
١٤١ ـ الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)	تأليف: د/ أحمد عتمان	سبتمبر ١٩٨٩
١٤٢ ـ مستقبلنا المشترك	إعداد: اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ترجمة: محمد كامل عارف مراجعة: علي حسين حجاج	أكتوبر ١٩٨٩
١٤٣ ـ الريف في الرواية العربية	تأليف: د/ محمد حسن عبدالله	نوفمبر ١٩٨٩
١٤٤ ـ الإبداع العام والخاص	تأليف: الكسندرو روشكا ترجمة: د/ غسان عبدالحي أبو فخر	ديسمبر ١٩٨٩
١٤٥ ـ سيكولوجية اللغة والمرض العقلي	تأليف: د/ جمعة سيد يوسف	يناير ١٩٩٠
١٤٦ ـ حياة الوعي الفني (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)	تأليف: غيورغي غانشف ترجمة: د/ نوفل نيوف مراجعة: د/ سعد مصلوح	فبراير ١٩٩٠
١٤٧ ـ الرأسمالية تجدد نفسها	تأليف: د/ فؤاد مُرسي	مارس ١٩٩٠

العنوان	المؤلف	التاريخ
١٤٨ ـ علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية	تأليف: ستيفن روز وآخرين	أبريل ١٩٩٠
	ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي	
	مراجعة: د/ محمد عصفور	
١٤٩ ـ ماهية الحروب الصليبية	تأليف: د/ قاسم عبده قاسم	مايو ١٩٩٠
١٥٠ ـ حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي	(برنامج الأمم المتحدة للبيئة)	يونيو ١٩٩٠
«الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»	ترجمة: عبد السلام رضوان	
١٥١ ـ تجارة المحيط الهندي	تأليف: د/ شوقي عبد القوي عثمان	يوليو ١٩٨٩
في عصر السيادة الإسلامية		
١٥٢ ـ التلوث مشكلة العصر	تأليف : د/ أحمد مدحت إسلام	أغسطس ١٩٩٠

(ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠، وانقطعت السلسلة بسبب العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)

العنوان	المؤلف	التاريخ
١٥٣ ـ الكويت والتنمية الثقافية العربية	تأليف: د/ محمد حسن عبد الله	سبتمبر ١٩٩١
١٥٤ ـ النقطة المتحولة : أربعون عاما في	تأليف: بيتر بروك	أكتوبر ١٩٩١
استكشاف المسرح	ترجمة: فاروق عبدالقادر	
١٥٥ ـ مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي	تأليف: د/ مكارم الغمري	نوفمبر ١٩٩١
١٥٦ ـ الفصامي : كيف نفهمه ونساعده؟	تأليف: سيلفانو آرتي	ديسمبر ١٩٩١
(دليل للأسرة والأصدقاء)	ترجمة: د/ عاطف أحمد	
١٥٧ ـ الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي	تأليف: د/ زينات البيطار	يناير ١٩٩٢
١٥٨ ـ مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج	تأليف: د/ محمد السيد سعيد	فبراير ١٩٩٢
١٥٩ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ	ترجمة: فؤاد كامل عبدالعزيز	مارس ١٩٩٢
	مراجعة: شوقي جلال	
١٦٠ ـ ارتقاء القيم (دراسة نفسية)	تأليف: د/ عبداللطيف محمد خليفة	أبريل ١٩٩٢
١٦١ ـ أمراض الفقر	تأليف: د/ فيليب عطية	مايو ١٩٩٢
(المشكلات الصحية في العالم الثالث)		
١٦٢ ـ القومية في موسيقا القرن العشرين	تأليف: د/ سمحة الخولي	يونيو ١٩٩٢
١٦٣ ـ أسرار النوم	تأليف: الكسندر بوربلي	يوليو ١٩٩٢
	ترجمة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	
١٦٤ ـ بلاغة الخطاب وعلم النص	تأليف: د/ صلاح فضل	أغسطس ١٩٩٢
١٦٥ ـ الفلسفة المعاصرة في أوروبا	تأليف : إ.م. بوشنسكي	سبتمبر ١٩٩٢
	ترجمة: د/ عزت قرني	

العنوان	المؤلف / المترجم	التاريخ
١٦٦ـ الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم	تأليف: د/ فايز قنطار	أكتوبر ١٩٩٢
١٦٧ـ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا	تأليف: د/ محمود المقداد	نوفمبر ١٩٩٢
١٦٨ ـ بنية الثورات العلمية	تأليف: توماس كون ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ١٩٩٢
١٦٩ ـ تاريخ الكتاب (القسم الاول)	تأليف: د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة: د/ محمد م. الأرناؤوط	يناير ١٩٩٣
١٧٠ ـ تاريخ الكتاب (القسم الثاني)	تأليف: د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة: د/ محمد م. الأرناؤوط	فبراير ١٩٩٣
١٧١ ـ الأدب الأفريقي	تأليف: د/ علي شلش	مارس ١٩٩٣
١٧٢ ـ الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله	تأليف: آلان بونيه ترجمة: د/ علي صبري فرغلي	أبريل ١٩٩٣
١٧٣ ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب	أشرف على التحرير جفري بارندر ترجمة: د/ إمام عبدالفتاح إمام مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	مايو ١٩٩٣
١٧٤ ـ الهندسة الوراثية والأخلاق	تأليف: ناهدة البقصمي	يونيو ١٩٩٣
١٧٥ ـ سيكولوجية السعادة	تأليف: مايكل أرجايل ترجمة: د/ فيصل عبدالقادر يونس مراجعة: شوقي جلال	يوليو ١٩٩٣
١٧٦ ـ العبقرية والإبداع والقيادة	تأليف: دين كيث سايمنتن ترجمة: د/ شاكر عبدالحميد مراجعة: د/ محمد عصفور	أغسطس ١٩٩٣
١٧٧ ـ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين	تأليف: د/ شكري محمد عياد	سبتمبر ١٩٩٣
١٧٨ ـ الكون	تأليف: د/ كارل ساغان ترجمة:نافع أيوب لبّس مراجعة:محمد كامل عارف	أكتوبر ١٩٩٣
١٧٩ ـ الصداقة (من منظور علم النفس)	تأليف: د/ أسامة سعد أبو سريع	نوفمبر ١٩٩٣
١٨٠ ـ العلاج السلوكي للطفل: أساليبه ونماذج من حالاته	تأليف: د/ عبد الستار إبراهيم د/ عبدالعزيز الدخيل د/ رضوى إبراهيم	ديسمبر ١٩٩٣

العنوان	التأليف	التاريخ
١٨١ـ الأدب الألماني في نصف قرن	تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي	يناير ١٩٩٤
١٨٢ـ الشفاهية والكتابية	تأليف: والتر ج. أونج	فبراير ١٩٩٤
	ترجمة: د/ حسن البنا عزالدين	
	مراجعة: د/ محمد عصفور	
١٨٣ ـ الطاغية	تأليف: د/ إمام عبدالفتاح إمام	مارس ١٩٩٤
١٨٤ ـ العرب وعصر المعلومات	تأليف: د/ نبيل علي	أبريل ١٩٩٤
١٨٥ ـ عندما تغير العالم	تأليف: جيمس بيرك	مايو ١٩٩٤
	ترجمة: ليلى الجبالي	
	مراجعة: شوقي جلال	
١٨٦ ـ القوى الدينية في إسرائيل	تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي	يونيو ١٩٩٤
١٨٧ ـ آلاف السنين من الطاقة	تأليف: فلاديمير كارتسيف	يوليو ١٩٩٤
	بيوتر كازانوفسكي	
	ترجمة: محمد غياث الزيات	
١٨٨ ـ الاتجاه القومي في الرواية	تأليف: د/ مصطفى عبد الغني	أغسطس ١٩٩٤
١٨٩ ـ عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة	تأليف: جان ـ ماري بيلت	سبتمبر ١٩٩٤
	ترجمة: السيد محمد عثمان	
١٩٠ ـ مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي	تأليف: د. حسن محمد وجيه	أكتوبر ١٩٩٤
١٩١ ـ النهاية	تأليف: فرانك كلوز	نوفمبر ١٩٩٤
الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون	ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي	
	مراجعة: عبدالسلام رضوان	
١٩٢ ـ جذور الاستبداد (قراءة في أدب قديم)	تأليف: د / عبدالغفار مكاوي	ديسمبر ١٩٩٤
١٩٣ ـ اللغة والتفسير والتواصل	تأليف: د/ مصطفى ناصف	يناير ١٩٩٥
١٩٤ ـ جوته والعالم العربي	تأليف: كاتارينا مومزن	فبراير ١٩٩٥
	ترجمة: د/ عدنان عباس علي	
	مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	
١٩٥ ـ الغزو العراقي للكويت	ندوة بحثية	مارس ١٩٩٥
١٩٦ـ المدينة في الشعر العربي المعاصر	تأليف: د/ مختار أبوغالي	أبريل ١٩٩٥
١٩٧ـ اليهود في البلدان الإسلامية	تحرير: صموئيل أتينجر	مايو ١٩٩٥
	ترجمة: د/ جمال الرفاعي	
	مراجعة: د/ رشاد الشامي	

العنوان	المؤلف / المترجم	التاريخ
١٩٨ـ فلسفات تربوية معاصرة	تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي	يونيو ١٩٩٥
١٩٩ ـ الفكر الشرقي القديم	تأليف: جون كولر	يوليو ١٩٩٥
	ترجمة: كامل يوسف حسين	
	مراجعة: د/ إمام عبدالفتاح إمام	
٢٠٠ ـ الزلازل : حقيقتها وآثارها	تأليف: د/ شاهر جمال أغا	أغسطس ١٩٩٥
٢٠١ـ جيران في عالم واحد	مراجعة: عبدالسلام رضوان	سبتمبر ١٩٩٥
٢٠٢ ـ الأمم المتحدة في نصف قرن	تأليف: د/ حسن نافعة	أكتوبر ١٩٩٥
٢٠٣ ـ التصوير الشعبي العربي	تأليف: د/ أكرم قانصو	نوفمبر ١٩٩٥
٢٠٤ ـ الصراع على القمة	تأليف: لستر ثارو	ديسمبر ١٩٩٥
	ترجمة: أحمد فؤاد بلبع	
٢٠٥ ـ المخدرات والمجتمع	تأليف: د/ مصطفى سويف	يناير ١٩٩٦
٢٠٦ ـ البنيوية وما بعدها	تأليف: جون ستروك	فبراير ١٩٩٦
	ترجمة: د/ محمد حسن عصفور	
٢٠٧ ـ شعرنا القديم والنقد الجديد	تأليف: د/ وهب أحمد روميه	مارس ١٩٩٦
٢٠٨ ـ العبقرية (تاريخ الفكرة)	تحرير: بنيلوبي مري	أبريل ١٩٩٦
	ترجمة: محمد عبدالواحد محمد	
	مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	
٢٠٩ ـ أزمة المياه في المنطقة العربية	تأليف: د/ سامر صلاح الدين مخيمر	مايو ١٩٩٦
	خالد جمال الدين حجازي	
٢١٠ ـ الصينيون المعاصرون(ج١)	تأليف: وو بن	يونيو ١٩٩٦
	ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي	
	مراجعة: لي تشين تشونغ	
٢١١ ـ الصينيون المعاصرون(ج٢)	تأليف: وو بن	يوليو ١٩٩٦
	ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي	
	مراجعة: لي تشين تشونغ	
٢١٢ـ الحصيلة اللغوية	تأليف: د/ أحمد محمد المعتوق	أغسطس ١٩٩٦
٢١٣ـ عالم يفيض بسكانه	تأليف: سير روي كالن	سبتمبر ١٩٩٦
	ترجمة: ليلى الجبالي	
٢١٤ـ الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية	تأليف: د/ محمد بهي الدين عرجون	أكتوبر ١٩٩٦

العنوان	المؤلف / المترجم	التاريخ
٢١٥ ـ الإسلام والمسيحية	تأليف: أليكسي ف. جورافسكي	نوفمبر ١٩٩٦
	ترجمة: د/ خلف محمد الجراد	
	مراجعة: د/ حمدي زقزوق	
٢١٦ ـ الرياضة والمجتمع	تأليف: د/ أمين أنور الخولي	ديسمبر ١٩٩٦
٢١٧ ـ الشفرة الوراثية للإنسان	تحرير: دانييل كيفلس	يناير ١٩٩٧
	و ليروي هود	
	ترجمة: د/ أحمد مستجير	
٢١٨ ـ محاورات مع النثر العربي	تأليف: د/ مصطفى عبده ناصف	فبراير ١٩٩٧
٢١٩ ـ فجر العلم الحديث	تأليف: توبي أ. هاف	مارس ١٩٩٧
(الإسلام ـ الصين ـ الغرب) ج١	ترجمة: د/ أحمد محمود صبحي	
٢٢٠ ـ فجر العلم الحديث	تأليف: توبي أ. هاف	ابريل ١٩٩٧
(الإسلام ـ الصين ـ الغرب) ج٢	ترجمة: د/ أحمد محمود صبحي	
٢٢١ ـ مدخل إلى مناهج النقد الأدبي	تأليف: مجموعة من الكتاب	مايو ١٩٩٧
	ترجمة: د/ رضوان ظاظا	
	مراجعة: د/ المنصف الشنوفي	
٢٢٢ ـ البيئة والإنسان عبر العصور	تأليف: إيان ج. سيمونز	يونيو ١٩٩٧
	ترجمة: السيد محمد عثمان	
٢٢٣ ـ نظرية الثقافة	تأليف: مجموعة من الكتّاب	يوليو ١٩٩٧
	ترجمة: د/ علي سيد الصاوي	
	مراجعة وتقديم: أ. د. الفاروق زكي يونس	
٢٢٤ ـ إشكالية الهوية في إسرائيل	تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي	أغسطس ١٩٩٧
٢٢٥ـ المدينة الفاضلة عبر التاريخ	تأليف: ماريا لويزا برنيري	سبتمبر ١٩٩٧
	ترجمة: د/ عطيات أبو السعود	
	مراجعة: د/ عبد الغفار مكاوي	
٢٢٦ ـ الاقتصاد السياسي للبطالة	تأليف: د/ رمزي زكي	اكتوبر ١٩٩٧
٢٢٧ ـ موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)	تأليف: ر. هـ. روبنز	نوفمبر ١٩٩٧
	ترجمة: د/ أحمد عوض	
٢٢٨ـ الطريق إلى المريخ	تأليف: م. سعد شعبان	ديسمبر ١٩٩٧
٢٢٩ ـ لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟	تأليف: د. مايكل كاريذرس	يناير ١٩٩٨
	ترجمة: شوقي جلال	

العنوان	المؤلف	التاريخ
٢٣٠ ـ الأمن الغذائي للوطن العربي	تأليف: د. محمد السيد عبد السلام	فبراير ١٩٩٨
٢٣١ ـ المعلوماتية بعد الإنترنت	تأليف: بيل جيتس ترجمة: عبد السلام رضوان	مارس ١٩٩٨
٢٣٢ ـ المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)	تأليف: د. عبد العزيز حموده	أبريل ١٩٩٨
٢٣٣ ـ تراث الإسلام (الجزء الأول) ط٢	تأليف: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث ترجمة: د. محمد زهير السمهوري د. حسين مؤنس د. إحسان صدقي العمد مراجعة: د. شاكر مصطفى د. فؤاد زكريا	مايو ١٩٩٨
٢٣٤ ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني) ط٢	تأليف: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث ترجمة: د. حسين مؤنس د. إحسان صدقي العمد مراجعة: د. فؤاد زكريا	يونيو ١٩٩٨
٢٣٥ ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ط٢	تأليف: د. عبد المحسن صالح	يوليو ١٩٩٨
٢٣٦ ـ الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية	تحرير: دافيد أرنولد ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	أغسطس ١٩٩٨
٢٣٧ ـ الحضارة (الطبعة الثانية)	تأليف: د. حسين مؤنس	سبتمبر ١٩٩٨
٢٣٨ ـ فخ العولمة	تأليف: هانس ـ بيتر مارتين هارالد شومان ترجمة: د. عدنان عباس علي مراجعة وتقديم: أ. د. رمزي زكي	اكتوبر ١٩٩٨
٢٣٩ ـ الاكتئاب (اضطراب العصر الحديث)	تأليف: د. عبد الستار ابراهيم	نوفمبر ١٩٩٨
٢٤٠ ـ في نظرية الرواية	تأليف: د. عبد الملك مرتاض	ديسمبر ١٩٩٨
٢٤١ ـ الماضي المشترك بين العرب والغرب	تأليف: أ. ل. رانيلا ترجمة: د. نبيلة ابراهيم مراجعة: د. فاطمة موسى	يناير ١٩٩٩

العنوان	التأليف والترجمة	التاريخ
٢٤٢ ـ التصحر	تأليف: د. محمد عبدالفتاح القصاص	فبراير ١٩٩٩
تدهور الأراضي في المناطق الجافة		
٢٤٣ ـ المتلاعبون بالعقول	تأليف: هربرت شيلر	مارس ١٩٩٩
(الطبعة الثانية)	ترجمة: عبدالسلام رضوان	
٢٤٤ ـ النظرية الاجتماعية	تأليف: إيان كريب	أبريل ١٩٩٩
من بارسونز إلى هابرماس	ترجمة: د. محمد حسين غلوم	
	مراجعة: د. محمد عصفور	
٢٤٥ ـ ضرورة العلم	تأليف: ماكس بيروتز	مايو ١٩٩٩
دراسات في العلم والعلماء	ترجمة: وائل أتاسي	
	د. بسام معصراني	
	مراجعة: د. عدنان الحموي	
٢٤٦ ـ طرائق الحداثة	تأليف: رايموند ويليامز	يونيو ١٩٩٩
ضد المتوائمين الجدد	ترجمة: فاروق عبدالقادر	
٢٤٧ ـ الأطفال والإدمان التليفزيوني	تأليف: ماري وين	يوليو ١٩٩٩
	ترجمة: عبدالفتاح الصبحي	
٢٤٨ ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف: د. علي الراعي	أغسطس ١٩٩٩
(الطبعة الثانية)		
٢٤٩ ـ اختلاق إسرائيل القديمة	تأليف: كيث وايتلام	سبتمبر ١٩٩٩
إسكات التاريخ الفلسطيني	ترجمة: د. سحر الهنيدي	
	مراجعة: د. فؤاد زكريا	
٢٥٠ ـ تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ ـ ١٩٧٩)	تأليف: د. آمال السُبكي	أكتوبر ١٩٩٩
٢٥١ ـ العدد	تأليف: جون ماكليش	نوفمبر ١٩٩٩
من الحضارات القديمة حتى	ترجمة: د. خضر الأحمد	
عصر الكمبيوتر	د. موفق عبول	
	مراجعة: د. عطية عاشور	
٢٥٢ ـ النهضة العربية والنهضة اليابانية	تأليف: د. مسعود ضاهر	ديسمبر ١٩٩٩
تشابه المقدمات واختلاف النتائج		

العنوان	المؤلف والمترجم	التاريخ
٢٥٣- ثورة الإنفوميديا الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك؟	تأليف : فرانك كيلش ترجمة : حسام الدين زكريا مراجعة : عبد السلام رضوان	يناير ٢٠٠٠
٢٥٤- كوكب الأرض: نقطة زرقاء باهتة رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء	تأليف : كارل ساجان ترجمة : د. شهرت العالم مراجعة : حسين بيومي	فبراير ٢٠٠٠
٢٥٥ - النقد العربي نحو نظرية ثانية	تأليف : د. مصطفى ناصف	مارس ٢٠٠٠
٢٥٦ - قصف العقول الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي	تأليف : فيليب تايلور ترجمة : سامي خشبة	أبريل ٢٠٠٠
٢٥٧ - النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة	تأليف : د. حازم الببلاوي	مايو ٢٠٠٠
٢٥٨ - سيكولوجية فنون الأداء	تأليف : جلين ويلسون ترجمة : د. شاكر عبد الحميد مراجعة : د. محمد عناني	يونيو ٢٠٠٠
٢٥٩ - الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر	تأليف : آر . إيه. بوكانان ترجمة : شوقي جلال	يوليو ٢٠٠٠
٢٦٠ - فجر العلم الحديث	تأليف : توبي هف ترجمة : د. محمد عصفور	أغسطس ٢٠٠٠
٢٦١ - تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر	تأليف : جون كينيث جالبريث ترجمة : أحمد فؤاد بلبع تقديم : إسماعيل صبري عبد الله	سبتمبر ٢٠٠٠
٢٦٢ - الذكاء العاطفي	تأليف : دانييل جولمان ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة : محمد يونس	أكتوبر ٢٠٠٠
٢٦٣ - اللغة والاقتصاد	تأليف : فلوريان كولماس ترجمة : د. أحمد عوض مراجعة : عبد السلام رضوان	نوفمبر ٢٠٠٠
٢٦٤ - فلسفة العلم في القرن العشرين الأصول ـ الحصاد ـ الآفاق المستقبلية	تأليف : د. يُمنى طريف الخولي	ديسمبر ٢٠٠٠
٢٦٥ - الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي	تأليف : د. نبيل علي	يناير ٢٠٠١
٢٦٦ ـ إبداعات النار تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذري	تأليف : كاتي كوب هارولد جولد وايت ترجمة : د. فتح الله الشيخ مراجعة : شوقي جلال	فبراير ٢٠٠١

العنوان	التأليف والترجمة	التاريخ
٢٦٧ - التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني	تأليف : د. شاكر عبد الحميد	مارس ٢٠٠١
٢٦٨ - اليـابــان رؤيـة جـديـدة	تأليف : باتريك سميث ترجمة : سعد زهران	أبريل ٢٠٠١
٢٦٩ - نهاية اليوتوبيا السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة	تأليف: راسل جاكوبي ترجمة : فاروق عبدالقادر	مايو ٢٠٠١
٢٧٠ - رؤى مستقبلية كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين	تأليف : ميتشيو كاكو ترجمة : د. سعد الدين خرفان مراجعة : محمد يونس	يونيو ٢٠٠١
٢٧١ - التنين الأكبر الصين في القرن الواحد والعشرين	تأليف : دانييل بورشتاين أرنيه دي كيزا ترجمة : شوقي جلال	يوليو ٢٠٠١
٢٧٢ - المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية	تأليف : د. عبد العزيز حمودة	أغسطس٢٠٠١
٢٧٣ - ما العولمة الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم	تأليف : بول هيرست جراهام طومبسون ترجمة : د. فالح عبد الجبار	سبتمبر ٢٠٠١
٢٧٤ - الأنا ـ الآخر ازدواجية الفن التمثيلي	تأليف : د. صالح سعد تقديم : د. شاكر عبد الحميد	أكتوبر ٢٠٠١
٢٧٥ - الجينوم السيرة الذاتية للنوع البشري	تأليف : مات ريدلي ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي	نوفمبر ٢٠٠١
٢٧٦ - الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)	تأليف: د. نبيل علي	ديسمبر ٢٠٠١
٢٧٧ ـ هذا هو علم البيولوجيا (دراسة في ماهية الحياة والأحياء)	تأليف: إرنست ماير ترجمة: د. عفيفي محمود عفيفي	يناير ٢٠٠٢
٢٧٨ ـ عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التجديد)	تأليف: باربارا باومان بريجيت أوبرله ترجمة: د. هدى شريف مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي	فبراير ٢٠٠٢
٢٧٩ - الإبهام في شعر الحداثة (العوامل والمظاهر وآليات التأويل)	تأليف: د. عبدالرحمن محمد القعود	مارس ٢٠٠٢
٢٨٠- الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع	تأليف: د. عبدالستار إبراهيم	أبريل ٢٠٠٢
٢٨١- تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص	تأليف: جان شارل سورنيا ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي	مايو ٢٠٠٢
٢٨٢- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر(ج ١) الاقتـصـاد العـالمي، الدولة القـومـيـة، المحليات	تأليف: بيتر تيلور كولن فلنت ترجمة: عبد السلام رضوان د. إسحق عبيد	يونيو ٢٠٠٢

العنوان	التأليف	التاريخ
٢٨٣- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر (ج ٢) الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات	تأليف: بيتر تيلور كولن فلنت ترجمة: عبد السلام رضوان د. إسحق عبيد	يوليو ٢٠٠٢
٢٨٤- أديب الأسطورة عند العرب جذور التفكير وأصالة الإبداع	تأليف: فاروق خورشيد	أغسطس ٢٠٠٢
٢٨٥- البيئة وقضايا التنمية والتصنيع دراسات حول الواقع البيئي في الوطن العربي	تأليف: د. أسامة الخولي	سبتمبر ٢٠٠٢
٢٨٦- بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية	تأليف: أنطوني جيدنز ترجمة: شوقي جلال	أكتوبر ٢٠٠٢
٢٨٧- المخ البشري مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك	تأليف: كرستين تمبل ترجمة: د. عاطف أحمد	نوفمبر ٢٠٠٢
٢٨٨ـ البحث عن حياة على المريخ الصخرة المريخية ولغز الحياة	تأليف: دونالد جولدسميث ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	ديسمبر ٢٠٠٢
٢٨٩ـ الفكاهة والضحك رؤية جديدة	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	يناير ٢٠٠٣
٢٩٠- سيكولوجية الذاكرة قضايا واتجاهات حديثة	تأليف: د. محمد قاسم عبدالله	فبراير ٢٠٠٣
٢٩١- الكون في قشرة جوز شكل جديد للكون	تأليف: ستيفن هوكنج ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي	مارس ٢٠٠٣
٢٩٢- أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية	تأليف: كارل بوبر تحرير: مارك أ. نوترنو ترجمة: د. يمنى طريف الخولي	إبريل ـ مايو ٢٠٠٣
٢٩٣- الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي	تأليف: د. وائل أبو هندي	يونيو ٢٠٠٣
٢٩٤- العصر الجينومي استراتيجيات المستقبل البشري	تأليف: د. موسى الخلف	يوليو ٢٠٠٣
٢٩٥- فخ العولمة الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية (طبعة ثانية)	تأليف: هانس بيتر مارتين وهارالد شومان ترجمة وتقديم: د. عدنان عباس علي مراجعة وتقديم: د رمزي زكي	أغسطس ٢٠٠٣
٢٩٦- المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الإغريق القدماء إلى عصر النهضة	تأليف: توماس جولد شتاين تصدير: إيزاك أسيموف ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد	سبتمبر ٢٠٠٣
٢٩٧- الكتاب في العالم الإسلامي الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط	تحرير: جورج عطية ترجمة: عبدالستار الحلوجي	أكتوبر ٢٠٠٣
٢٩٨- الخروج من التيه دراسة في سلطة النص	تأليف: د. عبدالعزيز حمودة	نوفمبر ٢٠٠٣

٢٩٩- جامعة الدول العربية
مدخل إلى المستقبل
تأليف: د. مجدي حماد
ديسمبر - يناير ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤

٣٠٠- قضايا أدبية عامة
آفاق جديدة في نظرية الأدب
تأليف: إيمانويل فريس
وبرنار موراليس
ترجمة: د. لطيف زيتوني
فبراير ٢٠٠٤

٣٠١- مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين
آفاق جديدة للفكر الإنساني
تحرير: أوليفر ليمان
ترجمة: مصطفى محمود محمد
مراجعة: د. رمضان بسطاويسي
مارس ٢٠٠٤

٣٠٢-الإسلام شريكا
دراسات عن الإسلام والمسلمين
تأليف: فريتس شتيبات
ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي
أبريل ٢٠٠٤

٣٠٣- التنمية حرية
مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر
تأليف: أمارتيا صن
ترجمة: شوقي جلال
مايو ٢٠٠٤

٣٠٤- العمارة الإسلامية والبيئة
الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي
تأليف: د. م. يحيى وزيري
يونيو ٢٠٠٤

٣٠٥- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية
لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية
تأليف: دونالد ر. هيل
ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا
يوليو ٢٠٠٤

٣٠٦- أنثوية العلم
العلم من منظور الفلسفة النسوية
تأليف: د. ليندا جين شيفرد
ترجمة: د. يمنى طريف الخولي
أغسطس ٢٠٠٤

٣٠٧- نهاية عصر البترول
التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل
تأليف: كولن كامبيل (وآخرين)
ترجمة: د. عدنان عباس علي
سبتمبر ٢٠٠٤

٣٠٨- الثقافة الحضرية في مدن الشرق
استكشاف المحيط الداخلي للمنزل
تأليف: جينيفر سكيرس
ترجمة: ليلى الموسوي
أكتوبر ٢٠٠٤

٣٠٩- من الحداثة إلى العولمة (ج١)
رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي
تأليف: ج. تيمونز روبيرتس
إيمي هايت
ترجمة: سمر الشيشكلي
نوفمبر ٢٠٠٤

٣١٠ - من الحداثة إلى العولمة (ج٢)
رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي
تأليف: ج. تيمونز روبيرتس
إيمي هايت
ترجمة: سمر الشيشكلي
مراجعة: محمود ماجد عمر
ديسمبر ٢٠٠٤

٣١١ - عصر الصورة
السلبيات والإيجابيات
تأليف: د. شاكر عبدالحميد
يناير ٢٠٠٥

٣١٢ - جغرافية الفكر
كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف.. ولماذا؟
تأليف: ريتشارد إي نيسبت
ترجمة: شوقي جلال
فبراير ٢٠٠٥

٣١٢ - سيكولوجية المقامر
التشخيص والتنبؤ والعلاج
تأليف: د. أكرم زيدان
مارس ٢٠٠٥

٣١٤ - البحر والتاريخ
تحديات الطبيعة واستجابات البشر
تأليف: إ. إ. رايس
ترجمة: د. عاطف أحمد
أبريل ٢٠٠٥

العنوان	المؤلف / المترجم	التاريخ
٣٣٠ ـ الذكاء الإنساني اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية	تأليف: د. محمد طه	أغسطس ٢٠٠٦
٣٣١ ـ الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا	تأليف: د. وهب رومية	سبتمبر ٢٠٠٦
٣٣٢ ـ الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية (١)	تأليف: مايكل زيمرمان ترجمة: معين رومية	أكتوبر ٢٠٠٦
٣٣٣ ـ الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية (٢)	تأليف: مايكل زيمرمان ترجمة: معين رومية	نوفمبر ٢٠٠٦
٣٣٤ - كامي وسارتر	تأليف: رونالد أرونسون ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ٢٠٠٦
٣٣٥ - اقتصاد يغدق فقرا التحول من دولة التكافل الاجتماعي إلى المجتمع المنقسم على نفسه	تأليف: هورست أفهيلد ترجمة: د.عدنان عباس علي	يناير ٢٠٠٧
٣٣٦ - السيطرة الصامتة الرأسمالية العالمية وموت الديموقراطية	تأليف: نورينا هيرتس ترجمة: صدقي حطاب	فبراير ٢٠٠٧
٣٣٧ - الأنماط الثقافية للعنف	تأليف: باربرا ويتمر ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران	مارس ٢٠٠٧
٣٣٨ - الصناعات الإبداعية كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ (١)	تحرير: جون هارتلي ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي	أبريل ٢٠٠٧
٣٣٩ - الصناعات الإبداعية كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ (٢)	تحرير: جون هارتلي ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي	مايو ٢٠٠٧
٣٤٠ - الصيف الطويل دور المناخ في تغيير الحضارة	تأليف: براين فاغان ترجمة: د. مصطفى فهمي	يونيو ٢٠٠٧
٣٤١ - سوسيولوجيا الفن طرق للرؤية	تحرير: ديفيد إنغليز - جون هغسون ترجمة: د.ليلى الموسوي مراجعة: د.محمد الجوهري	يوليو ٢٠٠٧
٣٤٢ - اللغة والهوية قومية - إثنية - دينية	تأليف: جون جوزيف ترجمة: د.عبدالنور خراقي	أغسطس ٢٠٠٧
٣٤٣ - العقل مدخل موجز	تأليف: جون ر. سيرل ترجمة: أ.د.ميشيل حنا متياس	سبتمبر ٢٠٠٧
٣٤٤ - الاستبعاد الاجتماعي محاولة للفهم	تحرير: جون هيلز - جوليان لوغران - دافيد بياشو ترجمة وتقديم: أ.د. محمد الجوهري	أكتوبر ٢٠٠٧
٣٤٥ - جامعة الدول العربية مدخل إلى المستقبل (طبعة ثانية)	تأليف: مجدي حماد	نوفمبر ٢٠٠٧

العنوان	المؤلف/المترجم	التاريخ
٣٤٦ - التنوير الآتي من الشرق (اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي)	تأليف: جي. جي. كلارك ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ٢٠٠٧
٣٤٧ - علم الاجتماع الآلي (مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب)	تأليف: د. علي محمد رحومة	يناير ٢٠٠٨
٣٤٧ - الخلية الجذعية	تأليف: خالد أحمد الزعيري	فبراير ٢٠٠٨
٣٤٨ - الثقافة (التفسير الأنثروبولوجي)	تأليف: آدم كوبر ترجمة: تراجي فتحي مراجعة: د. ليلى الموسوي	مارس ٢٠٠٨
٣٥٠ - فلسفة الكوانتم (فهم العلم المعاصر وتأويله)	تأليف: رولان أومنيس ترجمة: أ.د. أحمد فؤاد باشا أ.د. يمنى طريف الخولي	أبريل ٢٠٠٨
٣٥١ - سيكولوجية المال (هوس الشراء وأمراض الثروة)	تأليف: د. أكرم زيدان	مايو ٢٠٠٨
٣٥٢ - الهوية والعنف (وهم المصير الحتمي)	تأليف: أمارتيا صن ترجمة: سحر توفيق	يونيو ٢٠٠٨
٣٥٣ - جنوسة الدماغ	تأليف: ميليسا هاينز ترجمة: د. ليلى الموسوي	يوليو ٢٠٠٨
٣٥٤ - العولمة والثقافة (تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان)	تأليف: د. جون توماينسون ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	أغسطس ٢٠٠٨
٣٥٥ - أنماط الرواية العربية الجديدة	تأليف: د. شكري عزيز الماضي	سبتمبر ٢٠٠٨
٣٥٦ - أخلاق العناية	تأليف: فيرجينيا هيلد ترجمة: ميشيل حنا متياس	أكتوبر ٢٠٠٨
٣٥٧ - إمبراطورية الثروة التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية (الجزء الأول)	تأليف: جون ستيل جوردون ترجمة: محمد مجدالدين باكير	نوفمبر ٢٠٠٨
٣٥٨ - إمبراطورية الثروة التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية (الجزء الثاني)	تأليف: جون ستيل جوردون ترجمة: محمد مجدالدين باكير	ديسمبر ٢٠٠٨
٣٥٩ - الفيل والتنين صعود الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعا	تأليف: روبين ميريديث ترجمة: شوقي جلال	يناير ٢٠٠٩
٣٦٠ - الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	فبراير ٢٠٠٩
٣٦١ - الخجل	تأليف: راي كروزير ترجمة: أ. د. معتز سيد عبدالله	مارس ٢٠٠٩
٣٦٢ - السلطوية في التربية العربية	تأليف: د. يزيد السورطي	أبريل ٢٠٠٩
٣٦٣ - منظور جديد للفقر والتفاوت	تحرير: ستيفن بي جنكينز جون مايكلرايت ترجمة: بدر الرفاعي	مايو ٢٠٠٩

العنوان	المؤلف / المترجم	التاريخ
٣٦٤ - حكمة الغرب - الجزء الأول (ط٢) عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي	تأليف: برتراند رسل ترجمة: د. فؤاد زكريا	يونيو ٢٠٠٩
٣٦٥ - حكمة الغرب - الجزء الثاني (ط ٢) الفلسفة الحديثة والمعاصرة	تأليف: برتراند رسل ترجمة: د. فؤاد زكريا	يوليو ٢٠٠٩
٣٦٦ - التلامس الحضاري الإسلامي - الأوروبي	تأليف: د. إيناس حسني	أغسطس ٢٠٠٩
٣٦٧ - الطرق إلى الحداثة التنوير البريطاني والتنوير الفرنسي والتنوير الأمريكي	تأليف: غيرترود هيملفارب ترجمة: د. محمود سيد أحمد	سبتمبر ٢٠٠٩
٣٦٨ - الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا	تأليف: د. محمد رضا شفيعي كدكني ترجمة: د. بسام ربابعة	أكتوبر ٢٠٠٩
٣٦٩ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج١) مظاهر الأزمة ومقترحات بالحلول	تأليف: د. نبيل علي	نوفمبر ٢٠٠٩
٣٧٠ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج٢) مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول	تأليف: د. نبيل علي	ديسمبر ٢٠٠٩
٣٧١ - انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود	تأليف: أولريش شيفر ترجمة: د. عدنان عباس علي	يناير ٢٠١٠
٣٧٢ - لماذا العلم؟	تأليف: جيمس تريفيل ترجمة: شوقي جلال	فبراير ٢٠١٠
٣٧٣ - النموذج النرويجي إدارة المصادر البترولية	تأليف: فاروق القاسم	مارس ٢٠١٠
٣٧٤ - تكنولوجيا النانو من أجل غد أفضل	تأليف: أ. د. محمد شريف الإسكندراني	أبريل ٢٠١٠
٣٧٥ - يقظة الذات براغماتية بلا قيود	تأليف: روبرتو مانغابيرا أونغر ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	مايو ٢٠١٠
٣٧٦ - الثوحد بين العلم والخيال	تأليف: لور اشريبمان ترجمة: د. فاطمة عياد	يونيو ٢٠١٠
٣٧٧ - أوديسا التعددية الثقافية (ج١) سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع	تأليف: ويل كيمليكا ترجمة: د. إمام عبدالفتاح	يونيو ٢٠١١

٣٧٨	ـ أوديسا التعددية الثقافية (ج ٢) سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع	تأليف: ويل كيمليكا ترجمة: د. إمام عبدالفتاح	يوليو ٢٠١١
٣٧٩	ـ الإشعاع الذري واستخداماته السلمية	تأليف: د. عبدالحميد الجزار محمد عبدالمنعم صقر	أغسطس ٢٠١١
٣٨٠	ـ المعلقات وعيون العصور	تأليف: د. سليمان الشطي	سبتمبر ٢٠١١
٣٨١	ـ مدن المعرفة المداخل والخبرات والرؤى	تحرير: فرانشيسكو خافيير كاريللو ترجمة: د. خالد علي يوسف مراجعة: د. عمرو عبدالرحمن طيبة م. محمد سيد محمد مرسي	أكتوبر ٢٠١١
٣٨٢	ـ الثقافة والمساواة (ج ١) نقد مساواتي للتعددية الثقافية	تأليف بريان باري ترجمة: كمال المصري	نوفمبر ٢٠١١
٣٨٣	ـ الثقافة والمساواة (ج ٢) نقد مساواتي للتعددية الثقافية	تأليف بريان باري ترجمة: كمال المصري	ديسمبر ٢٠١١
٣٨٤	ـ الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	يناير ٢٠١٢
٣٨٥	ـ الحضارات في السياسة العالمية وجهات نظر جمعية وتعددية	تأليف: بيتر جي كاتزنشتاين ترجمة: فاضل جتكر	فبراير ٢٠١٢
٣٨٦	ـ وسائل الإعلام والمجتمع وجهة نظر نقدية	تأليف: آرثر آسا بيرغر ترجمة: د. صالح خليل أبوإصبع	مارس ٢٠١٢
٣٨٧	ـ مختصر تاريخ العدالة	تأليف: ديفد جونستون ترجمة: مصطفى ناصر	أبريل ٢٠١٢
٣٨٨	ـ وجه غايا المتلاشي	تأليف: جيمس لفلوك ترجمة: د. سعد الدين خرفان	مايو ٢٠١٢
٣٨٩	ـ تاريخ العلم ١٥٤٣ – ٢٠٠١ (ج١)	تأليف: جون غريبين ترجمة: شوقي جلال	يونيو ٢٠١٢
٣٩٠	ـ تاريخ العلم ١٥٤٣ – ٢٠٠١ (ج٢)	تأليف: جون غريبين ترجمة: شوقي جلال	يوليو ٢٠١٢
٣٩١	الانفجار السكاني والاحتباس الحراري	تأليف: أ. د. عبدالمنعم مصطفى المقمر	أغسطس ٢٠١٢
٣٩٢	ـ البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث	تأليف: د. موفق رياض مقدادي	سبتمبر ٢٠١٢
٣٩٣	ـ العرقية والقومية وجهات نظر أنثروبولوجية	تأليف: توماس هايلاند إريكسن ترجمة: د. لاهاي عبدالحسين	أكتوبر ٢٠١٢
٣٩٤	ـ الغرب والإسلام الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي	تأليف: أنتوني بلاك ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب	نوفمبر ٢٠١٢
٣٩٥	ـ نقض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد – استعماري ونسوي	تحرير: أوما ناريان ساندرا هاردنغ ترجمة: د. يمنى طريف الخولي	ديسمبر ٢٠١٢

٣٩٦ ـ نقض مركزية المركز (ج٢) — تحرير: أوما ناريان، ساندرا هاردنغ — يناير ٢٠١٣
الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات
بعد - استعماري ونسوي
ترجمة: د. يمنى طريف الخولي

٣٩٧ ـ جغرافيات العولمة — تأليف: د. ورويك موراي — فبراير ٢٠١٣
قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية
والسياسية والثقافية
ترجمة: د. سعيد منتاق

٣٩٨ ـ إشكالية الأنا والآخر — تأليف: د. ماجدة حمود — مارس ٢٠١٣
في الرواية العربية

٣٩٩ ـ فيزياء المستحيل — تأليف: ميشيو كاكو — أبريل ٢٠١٣
ترجمة: سعد الدين خرفان

٤٠٠ ـ مختصر تاريخ العالم — تأليف: إي أتش جومبريتش — مايو ٢٠١٣
ترجمة: د. ابتهال الخطيب
مراجعة: د. عبدالله هدية

٤٠١ ـ الثقافة في عصر العوالم الثلاثة — تأليف: مايكل دينينغ — يونيو ٢٠١٣
ترجمة: أسامة الغزولي

٤٠٢ ـ المسرح الشعري العربي — تأليف: د. مصطفى عبدالغني — يوليو ٢٠١٣
الأزمة والمستقبل

٤٠٣ ـ لماذا تتحارب الأمم؟ — تأليف: ريتشارد نيد ليبو — أغسطس ٢٠١٣
دوافع الحرب في الماضي والمستقبل
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم علي

٤٠٤ ـ ما المعرفة؟ — تأليف: دنكان بريتشارد — سبتمبر ٢٠١٣
ترجمة: مصطفى ناصر

٤٠٥ ـ السعادة — تأليف: نيكولاس وايت — أكتوبر ٢٠١٣
ترجمة: سعيد توفيق

٤٠٦ ـ مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج١) — تأليف: بيني موريس — نوفمبر ٢٠١٣
ترجمة: أ. د. عماد عواد

٤٠٧ ـ مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج٢) — تأليف: بيني موريس — ديسمبر ٢٠١٣
ترجمة: أ. د. عماد عواد

٤٠٨ ـ الثقافات الثلاث — تأليف: جيروم كيغان — يناير ٢٠١٤
العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات
ترجمة: د. صديق محمد جوهر

٤٠٩ ـ تاريخ إيران الحديثة — تأليف: أروند أبراهيميان — فبراير ٢٠١٤
ترجمة: مجدي صبحي

٤١٠ ـ أفريقيا والتحدي	تأليف: وانغاري ماثاي ترجمة: أشرف محمد كيلاني	مارس	٢٠١٤
٤١١ ـ مدار الفوضى تغير المناخ والجغرافيا الجديدة للعنف	تأليف: كريستيان بارينتي ترجمة: د. سعد الدين خرفان	أبريل	٢٠١٤
٤١٢ ـ الحضارة ومضامينها	تأليف: بروس مازليش ترجمة: د. عبدالنور خراقي	مايو	٢٠١٤
٤١٣ ـ السياسة الدينية والدول العلمانية مصر والهند والولايات المتحدة الأمريكية	تأليف: سكوت هيبارد ترجمة: الأمير سامح كريم	يونيو	٢٠١٤
٤١٤ ـ الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟	تأليف: ديفيد فيشر ترجمة: أ. د. عماد عواد	يوليو	٢٠١٤
٤١٥ ـ الفيض (ج١) أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء التالية بين البشر	تأليف: ديفيد كوامن ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	اغسطس	٢٠١٤
٤١٦ ـ الفيض (ج٢) أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء التالية بين البشر	تأليف: ديفيد كوامن ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	سبتمبر	٢٠١٤
٤١٧ ـ عصور نهضة أخرى مدخل جديد إلى الأدب العالمي	تحرير: شيلدجن، تشو، غيلمان ترجمة: د. علاء الدين محمود	أكتوبر	٢٠١٤
٤١٨ ـ مشروع الديموقراطية التاريخ، الأزمة، الحركة	تأليف: ديفيد غريبر ترجمة: أسامة الغزولي	نوفمبر	٢٠١٤
٤١٩ ـ هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ اللغة الإنجليزية ومستقبل البحث العلمي	تأليف: سكوت ل. مونتغمري ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب	ديسمبر	٢٠١٥
٤٢٠ ـ انتقام الجغرافيا ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة والحرب ضد المصير	تأليف: روبرت د.كابلان ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم	يناير	٢٠١٥
٤٢١ ـ فكرة حقوق الإنسان	تأليف: تشارلز أر. بيتز ترجمة: شوقي جلال	فبراير	٢٠١٥
٤٢٢ ـ أمة من العباقرة كيف تفرض العلوم الهندية هيمنتها على العالم	تأليف: أنجيلا سايني ترجمة: طارق راشد عليان	مارس	٢٠١٥
٤٢٣ ـ المستقبل (الجزء الأول) ستة محركات للتغيير العالمي	تأليف: آل غور ترجمة: د. عدنان جرجس	أبريل	٢٠١٥

٤٢٤ ـ المستقبل (الجزء الثاني) ستة محركات للتغيير العالمي	تأليف: آل غور ترجمة: د. عدنان جرجس	مايو	٢٠١٥
٤٢٥ ـ الدراسات الثقافية مقدمة نقدية	تأليف: ساهون ديورنغ ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران	يوليو	٢٠١٥
٤٢٦ ـ القسطنطينية (الجزء الأول) المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤	تأليف: فيليب متنسيل ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم	يوليو	٢٠١٥
٤٢٧ ـ القسطنطينية (الجزء الثاني) المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤	تأليف: فيليب متنسيل ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم	اغسطس	٢٠١٥
٤٢٨ ـ الطفولة في التاريخ العالمي	تأليف: بيتر ن. ستيرنز ترجمة: وفيق فائق كريشات	سبتمبر	٢٠١٥
٤٢٩ ـ عبر منظار اللغة لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى	تأليف: غاي دويتشر ترجمة: حنان عبدالمحسن مظفر	أكتوبر	٢٠١٥
٤٣٠ ـ الساحل البشري	تأليف: جون آر. غيليس ترجمة: د. ابتهال الخطيب	نوفمبر	٢٠١٥
٤٣١ ـ يوميات السرطان حل أعمق أسرار الطب	تأليف: جورج جونسون ترجمة: د. إيهاب عبد الرحيم	ديسمبر	٢٠١٥
٤٣٢ ـ تفسيرات وراثية المعقول واللامعقول	تحرير: شيلدون كريمسكي وجيرمي غروبر ترجمة: د. ليلى الموسوي	يناير	٢٠١٦
٤٣٣ ـ في ظل العنف السياسة والاقتصاد ومشكلات التنمية	تحرير: دوغلاس سي. نورث وآخرون ترجمة: كمال المصري	فبراير	٢٠١٦
٤٣٤ ـ التقشف تاريخ فكرة خطرة	تأليف: مارك بليث ترجمة: عبد الرحمن أياس	مارس	٢٠١٦
٤٣٥ ـ صندوق النقد الدولي قوة عظمى في الساحة العالمية	تأليف: أرنست فولف ترجمة: د. عدنان عباس علي	أبريل	٢٠١٦
٤٣٦ ـ علم النفس السياسي رؤى نقدية	تأليف: كريستيان تيليغا ترجمة: أسامة الغزولي	مايو	٢٠١٦
٤٣٧ ـ القلق	تأليف: موشي زيدنر + جيرالد ماثيوس ترجمة: أ.د.معتز سيد عبد الله + أ.د.الحسين محمد عبد المنعم	يونيو	٢٠١٦
٤٣٨ ـ حياتنا وإن طالت علم دراسة طول العمر والشيخوخة	تأليف: جوناثان سيلفرتاون ترجمة: سحر توفيق	يوليو	٢٠١٦

٤٣٩	ـ الهجرة كيف تؤثر في عالمنا؟	تأليف: بول كولير ترجمة: مصطفى ناصر	أغسطس	٢٠١٦
٤٤٠	ـ الفن الضائع (الجزء الأول) ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل	تأليف: جون إدوارد هوث ترجمة: د. سعد الدين خرفان	سبتمبر	٢٠١٦
٤٤١	ـ الفن الضائع (الجزء الثاني) ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل	تأليف: جون إدوارد هوث ترجمة: د. سعد الدين خرفان	أكتوبر	٢٠١٦
٤٤٢	ـ عود على العود الموسيقى العربية وموقع العود فيها	تأليف: د. نبيل اللو	نوفمبر	٢٠١٦

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	15 د . ك
للمؤسسات	25 د . ك

دول الخليج

للأفراد	17 د . ك
للمؤسسات	30 د . ك

الدول العربية

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100

دولة الكويت

بدالة: 22416006 (00965)

داخلي: 1196/ 1195/ 1194/ 1153/1193/ 1152

اتحاد الموزعين العرب
ARAB DISTRIBUTORS UNION

كشف بأسماء وأرقام وكلاء التوزيع - أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت

م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820/1/2	00965 24826823	im_grp50@yahoo.com
		ثانياً: التوزيع الخارجي			
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /14419933 - 14418972	009661 12121766 - 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 - 36616168	00973 17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501/2/3	00971 43918354 - 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 24492936 - 24496748 - 24491399	00968 24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 44621942 / 44622182	00974 44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	00202 25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314/5	00961 1653259 00961 1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 71322499	00216 71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 522249200	00212 522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 6535885 - 797204095	00962 65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 22980800	00970 22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 1240883	00967 1240883	alkaidpd@yahoo.com
14	السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	002491 83242702	002491 83242703	daralryan_cup22@hotmail.com daralryan_12@hotmail.com

تنويـــه

للاطـلاع علـى قائمـة كتـب السلسـلة انظـر عدد ديسـمبر (كانـون الأول) مـن كل سـنة، حيـث توجد قائمة كاملة بأسماء الكتب المنشورة في السلسلة منذ يناير 1978.

قسيمة اشتراك في إصدارات
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

البيان	سلسلة عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسات داخل الكويت	25		12		12		20		12	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:

العنوان:

اسم المطبوعة: **مدة الاشتراك:**

المبلغ المرسل: **نقدا / شيك رقم:**

التوقيع: **التاريخ:** / / 20م


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

هذا الكتاب...

يُقال إن السياسي لا يكذب، ولكنه «يقتصد في قول الحقيقة». ولأن السياسة هي «فن الممكن»، فإنها أكثر عُرضة للكذب كسلوك إنساني موجود بكثرة في الممارسة السياسية العادية. وفي حين أن الكذب يصبح جزءا من أدوات الفعل السياسي على المستوى الداخلي، وربما يُكشَف ويُكتشَف في سياق الأحداث الجارية، وما ينتج عن ذلك من تسجيل نقاط على «الكاذبين» باعتبارهم قد جاءوا بأفعال منافية للقيم العامة والأخلاق، وربما القانون، فقد بقي دور الكذب في السياسة الدولية بعيدا عن الفحص المنهجي، وقلما تُعُومِل معه كمبحث قائم بذاته.

يحاول كتاب «لماذا يكذب القادة؟: حقيقة الكذب في العلاقات الدولية» للبروفسور جون ميرشيمر الإجابة عن جملة تساؤلات تتعلق بدور وفاعلية الكذب في العلاقات الدولية، مع التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية، وما قام به عدد من رؤسائها حيال الأزمات التي واجهتهم في الإطار الدولي.

يسعى الكتاب إلى الإجابة عن أسئلة تتعلق بأنماط الكذب في السياسة الدولية، وأسبابه ومبرراته لدى القائد الكاذب، ووظيفة الكذب في تعزيز وتقوية المعيار التفاوضي في السياق الدولي، وهل الكذب مقبول ومبرر كفعل، أم أنه مرفوض ومستنكر؟ وهل يكذب القائد على شعبه أم على الدول الأخرى؟ وهل ينجح الكذب في تحقيق أهدافه؟ وماذا يحدث عادةً حين تُكتشَف الكذبة؟ وهل يدفع من صاغ الكذبة ثمن ذلك الفعل؟ وما طريقة تحمل المسؤولية؟ وما مدى فداحتها؟ وهل يظهر الكذب أكثر في الدول الديموقراطية أو في الدول ذات الحكم المركزي؟

يجيب جون ميرشيمر عن كل تلك الأسئلة من خلال استحداثه تصنيفا جديدا لأنواع الكذب، وكيفية تداخل الظروف الداخلية والخارجية لإبراز نوع على حساب نوع آخر.

ويفتح الكتاب آفاقا واسعة لمزيد من الدراسات في دور الكذب في السياسة، وهي الظاهرة المسكوت عنها في مجمل الدراسات السياسية.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 531-0